الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

الموضوع:

جمالية الخطاب في القصص القرآني

قصّة إبراهيم عليه السّلام أنموذجا

إعداد الطّالبتين:
سمية بن زنين
رفيقة جمّان

إشراف:
أ.د. عبد الحفيظ بورديم

لجنة المناقشة		
أ.د.	خناثة بن هاشم	رئيسا
د.	محفوظ سالمي	ممتحنا
أ.د.	عبد الحفيظ بورديم	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1441هـ-1442هـ/2020م-2021

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾

الكهف 109.

إهداء

- إلى قلب علّمني معنى العطاء والخير دون انتظار المقابل، فقط لأصالة النّفس ومحبّتها، وعلمّني محبّة قرب الله فرحمها ربّها وأسكنها فسيح جنانه: "جدّتي".
- إلى قدوتي الأولى ونبراسا دربي، اللّذان ينيرانه، إلى من علّماني أن أصمد أمام أمواج البحر الثّائرة، إلى من أعطياني ولم يزل يعطياني بلا حدود، إلى من رفعت رأسي عاليا افتخارا بهما، إليكما يا من أفديكما بروحي: "أمّي" و "أبي".
- إلى سندي في هذه الحياة، من زرع فيّ طموحا، صار يدفعني نحو الأمام إلى مستقبل ناجح، رفيق دربي: "زوجي".
- إلى خير مكاسب الدّنيا، وزينة الرّخاء، وعدّة البلاء ومعونة على الأعداء: إخوتي وأخواتي.
- إلى صفحة بيضاء، وحياة صفاء ثغر باسم، وقلب نقيّ وروح براءة، إلى قرّة العين ومثلج الصّدر: "أبنائي".
- إلى أناس احتضنوا العلم، وعشقوا الحياة، وتغلّبوا على مصاعبه -العلم- كلّ أستاذ ومعلّم.
- إلى كلّ المخلصين من أبناء هذا الوطن الغالي...

أهدي هذا العمل المتواضع....

رفيقة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

- أمّ لم تلدني ... ظللت أرقب خطاها...
- لأرتمي في حضنها وأشرب من ضرعها...
- علّ حرقة الوصال تنطفئ من قلبي...
- التفتّ إلى إخوان من صلبي لم يحملوا لقبي...
- ليكسروا معي حواجز القضبان...
- ونخلّص أَمَةً من مُكْنَةِ الغدر...
- أبت وقالت: ما بالكم تنصروني دونما قيصركم؟
- وهل ينفع الفرار عند أفول البدر؟!!
- قلنا: مالنا صبرا عليك يا حُبّاه واحتسبي...
- لربّ أَخْلَى سبيل عتقك من تصفيد المكر...
- إليك يا أرض فلسطين وشعبها...

سمية

شكر وتقدير

- ♥ نتقدّم بعظيم الامتنان للأستاذ الدّكتور "عبد الحفيظ بورديم" على قبوله الإشراف علينا، الذي اتّسع وعاء علمه لنا؛ حيث نهلنا قطرة من علمه الوافر، ففتق كلّ غشاوة أعاقت بصيرتنا، وأزاح كلّ عثرة احتجزت طريقنا، وسهّل كلّ عسير عرقل سير خطّتنا، وكشف عن كلّ مبهم جهلته قرائحنا... فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشرّ:

لك المحيّا كبدر في روائعه ... والبدر يكمل أحيانا وينكسف.

- ♥ نشكر أستاذ العلوم الإسلامية الدّكتور "ابن زيد باي" الذي شرّفه أن يكون القرآن الكريم عنوان مذكّرتنا، فلم تبخل نفسه في تقديم المساعدة من مراجع قيّمة، اختصرت لنا مسافة البحث، وخفّفت عنّا مشقّة التّنقيب، مذ موافقة اللّجنة على الموضوع إلى نهايته، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك له في صحّته وذريته.
- ♥ نشكر أيضا الأخت "صور فوزية" خرّيجة قسم العلوم الإسلامية التي فتحت ذراعيها لكلّ مسألة طرقناها على بابها، جازاها الله كلّ خير.
- ♥ نتقدّم بجزيل الثّناء والعرفان للأستاذين القديرين: الدّكتور "محفوظ سالمي" والأستاذة الدّكتورة "خناثة بن هاشم"، اللّذين نفخر بهما مناقشين لمذكّرتنا، ونأمل أن نكون عند حسن ظنّهما، راجون من المولى عزّ و جلّ أن ينفعنا بعلمهما.
- ♥ نحيي كلّ عضد أيقظ في أنفسنا روح المثابرة التي جعلتنا نستمرّ في الاجتهاد.

لكم منّا أسمى عبارات الحبّ، الاحترام والتّقدير...

مقدّمة

مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم، والحمد لمن أنزل الكتاب المبين، هداية للمؤمنين، والصّلاة والسّلام على خاتم المرسلين، خير خلق الله أجمعين، نسل إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، وعلى آله وصحبه والتّابعين بإحسان إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

تحتلّ القصّة مكانة رفيعة في نفوس البشر على اختلاف أجناسهم، ومللهم ونحلهم، وذلك لما فيها من استهواء للنّفوس، ولما في أسلوبها من مسايرة للفطرة يستوجب الولوع بها، والحرص على تحصيلها، فالقصّة أوّل عمل حكائي يميل الطّفل لسماعه ويصغي له باهتمام، فتعي ذاكرته ما يروى له فيحاكيه ويقصّه.

ولأنّ القصّة القرآنية تمتاز بسموّ الغاية، وشرف المقصد، وصدق الكلمة والموضوع وتحرّي الحقيقة، بحيث لا يشوبها شائبة من الوهم أو الخيال، أو مخالفة الواقع، فتبقى المتصدّرة من حيث الإقبال عليها وتوظيفها في الحياة، ذلك لقوّة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق، فكانت الوسيلة النّاجعة للمربّي في التّوجيه والإرشاد.

القصّة القرآنية ما هي إلّا قطعة صغيرة من التّركيب المكوّن للأساس الأعظم للقرآن والذي هو بناء فريد ذو هندسة ونسب فنية تتحدّى المقدرة المبدعة لدى الإنسان، باعتراف من الجاحد قبل المصدّق، إنّه قوّة إعجازية دوّت بصداها المتفجّر من قلب الكون نفسه فزعزعت النّفوس وقلبت الأفكار، وشتّت الأذهان، لتحوّل مسار الحضارة من التّغلغل في الأرض إلى الارتقاء في الفضاء.

ومنه، يمكننا اعتبار الثّقافة الجديدة أو الحضارة الوليدة، ما هي إلّا امتداد للظّاهرة القرآنية -كما وصفها ابن نبي- التي تحمل في عمقها عبقرية اللّغة، وسحر الأفكار، والمعجزات الشّاملة لمختلف مناحي الحياة.

وباحتواء هذه الظّاهرة على ثروات لفظية وفكرية وثقافية وعلمية... إلخ من الثّروات ولتعلّق النّفس البشرية بمعرفة أخبار الذين سبقوه من الملل، قد وقفنا على رائعة من روائع القصص القرآني، متمثّلة في قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، فهو أبو الأنبياء ورسول الحنفية الأوّل، وتتبّعنا مسار القصّة من الاصطفاء بالنبوّة إلى الجزاء النّهائي.

وأثناء التّنقّل والتّرحال بين مشاهد حلقات القصّة، استهوتنا التّحفة الفنية بالوقوف على بعض من مكوّناتها الإعجازية المتحفّرة في مادّتها والتي تجذب كلّ نفس مستكشفة منبهرة بعالم الجماليات والمعجزات.

وقد اخترنا هذا الموضوع رغبة منّا في التّقرّب من القرآن الكريم، واستجلاء أسراره ومكنوناته البلاغية والأدبية والفنية واللّغوية، حتّى نزداد إيمانا بعد إيمان بعظمة الخالق المنّان، وبإيماننا أنّ للأدب وظيفة هامّة هي إثارة الوعي والمساهمة في التّغيير والتّأثير على من حوله، إضافة إلى استيقاظ السّحر الحكائي الذي كان خاملا في نفوسنا، فاستهواه مجال البحث للانطلاق إلى عالمها القصصي، وممّا لاشكّ فيه حبّا منّا في إثراء موسوعاتنا الفكرية والأدبية والثّقافية، والرّقيّ بالأسلوب، لأنّ أسلوب القرآن يؤثّر في متلقّيه ويرقى بهم من الحسن إلى الأحسن ومن الجميل إلى الأجمل، وفي الأخير أملنا بالإسهام ولو بالقليل بإثراء هذا المجال –المزاوجة بين الأدب والقرآن– بمثل هذه البحوث المتواضعة.

وقد اعترضت سبيلنا –شأن كلّ باحث– بعض الصّعوبات في إنجاز هذا البحث، أهمّها داء الكوفيد وما انبنى عليه من منع الاجتماع واللّقاء وفتح المكتبات، فكان سببا في الشّعور بالعجز، وضيق الوقت، ومنع من الإلمام بجميع نواحي الموضوع، فجماله السّحري يشدّ باحثه في عمليّة الغوص والاستكشاف الدّائمة، لما يبهر عقله وفكره من جمال هو ملاقيه فيستهويه ويدفع به للبحث أكثر ولرؤية المزيد.

وأكيد أنّ الحرص الشّديد على عدم تجاوز المحظور في عالم البحث والتّنقيب وحساسية موضوعنا، جعلنا نقف على مواطن الصّدق ونتحرّى الصّواب في توظيف المعلومة وانتقائها من عالم مختلف التّوجّهات، مليء بالذرّات، يحتاج لقوّة البصر والبصيرة وللتّوفيق والهداية من الرّحمن، فبقي الخوف والرّيبة يشدّنا بين الفينة والأخرى، ويؤرّقنا تارة أخرى، إلّا أنّه وبرحمة وتوفيق من الله، استطعنا السّباحة على شواطئه، وهدانا للتّمعّن في بعض من أصدافه التي لا تقلّ جمالا ولا إعجازا، سواء في شكلها أو تركيبها، لأنّها بضعة من الجمالية الأمّ –القرآن المعجز–.

والقصّة إحدى تلك الأصداف، وأثناء التّأمل والبحث في جمالها الفنّي وسحرها الإبداعي، استوقفتنا بعض الاستفسارات والاستفهامات، كانت عن أهمّ المكوّنات الفنية والجمالية في القصّة القرآنية –قصّة إبراهيم عليه السّلام بالتّحديد– وما هي مظاهر الفروق بينها وبين النّوع الأدبي شكلا

ومضمونا، وما مدى فساحة كيانها للألوان الأسلوبية القديمة والحديثة، وتكيّف نظامها اللّغوي وتناسبه مع العصور، وأيضا ما سرّ التّناغم القائم بين الجمالي والبياني في مشاهدها عبر امتداد حلقاتها.

ونظرا لطبيعة بحثنا، اعتمدنا المنهج الفنّي اللّغوي، مستعينين بالاستقراء والتّحليل طول مسار بحثنا، فالمنهج الفنّي وظّفناه في فصلنا الأوّل للوقوف على الفنّيات السّردية للقصّة ومركّباتها، دون الاستغناء عن عمليّة الاستقراء والتّحليل التي كانت متواصلة في الفصل الثّاني، إلّا أنّنا تحوّلنا من المنهج الفنّي إلى المنهج اللّغوي؛ حيث تطلّبت العملية البحثية الانتقال من الجانب الفنّي والشّكلي للقصّة إلى الجانب الأسلوبي البلاغي.

ولأنّنا اخترنا موضوعا وسمناه بـ "جمالية الخطاب القصصي القرآني" وانتقينا قصّة إبراهيم عليه السّلام أنموذجا للجانب التّطبيقي، فقد قسّمناه إلى فصلين، واستهللناه بمقدّمة، عرضنا فيها أسباب اختيار الموضوع وأهمّ المصادر المعتمدة والمنهج المتّبع، ثمّ مدخلا جاء تحت مسمّى مفاهيم اصطلاحيّة حاولنا فيه تحديد مصطلحي الجمالية والخطاب، لنقف في الفصل الأوّل على سردية الخطاب في قصّة إبراهيم عليه السّلام، فكانت مباحثه بين جمع مشاهد حلقات القصّة وإعادة ترتيبها وتصنيفها من بداية الاصطفاء بالنّبوّة إلى ختام الجزاء الإلهي بالإمامة وبين الوقوف على التّكوينات الفنية لسردية القصّة القرآنية من شخصيات وحوار وزمان ومكان.

وبعده انتقلنا في فصلنا الثّاني إلى الجانب الأسلوبي للخطاب القصصي من خلال مباحثه الثّلاث، في المبحث الأوّل تحدّثنا عن أنواع الخطاب، ثمّ انتقلنا في المبحث الثّاني إلى بعض من أساليب بلاغة الخطاب، وفي المبحث الثّالث تطرّقنا إلى أساليب الانسجام والاتّساق داخل الخطاب القصصي، لنصل في الختام إلى أهمّ النّتائج المحصّلة في بحثنا المتواضع.

وفي بحثنا هذا لا يمكننا أن نغمض حقّ من سبقنا بالدّرس والتّحليل في نفس مجال موضوعنا، على سبيل المثال "محمود عوض" في رسالته الموسومة بـ "قصّة إبراهيم عليه السّلام في ضوء علم اللّغة النصّي"، كما اعتمدنا كتبا كانوا نعم العون لنا والمنارة المرشدة والموجّهة لمركبنا عبر بحار المعرفة، نذكر منها: كتاب "الكشّاف" للزّمخشري، وكتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب "البرهان في علوم القرآن" للزّركشي، و "قصص الأنبياء" لابن كثير الدّمشقي، وكتابا "في ظلال القرآن" و "التّصوير الفنّي" لسيّد قطب، و "تفسير التّحرير والتّنوير" للطّاهر بن عاشور، وكتاب "خصائص

النّظم القرآني في قصّة إبراهيم عليه السّلام" للشحّات أبو ستّيت، وكتاب "لسانيات النصّ" لمحمّد خطابي، و "معجم تحليل الخطاب" لشارودو و منغونو.

وختاما، نرجو أن نكون قد توصّلنا للإجابة عن بعض تلك التّساؤلات، والتي حاولنا إزالتها من خلال بحثنا هذا، ويبقى ما توصّلنا إليه غير نهائي، قابل للتّمديد والتّجديد والبحث المعمّق، فالإعجاز البياني للقرآن شاسع يتخطّى حدود الكون، لأنّ إعجازه مرتبط بقوّة الله وحكمته، وجماليته مرتبطة بجمالية الإيمان في قلب الإنسان.

وأخيرا، لا يمكننا أن ننسى الدّعم والتّوجيه اللّذين لقيناهما وحظينا بهما من قبل أستاذنا الفاضل الأستاذ الدّكتور "عبد الحفيظ بورديم"، والذي لم يبخل علينا بالإرشاد والنّصح عبر محطّات بحثنا هذا، فجزيل الشّكر له وجميل العرفان على وقته الثّمين، فإن كنّا قد وفّقنا لإنهاء بحثنا هذا بقليل من التّوفيق فيكون بعد الله وبعد توجيهاته، كما نشكر كلّ من ساند على إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، والحمد لله في كلّ بدء ومختتم.

الطّالبتان: رفيقة جمّان، سمية بن زنين.

تلمسان يوم: 06 جوان 2021م.

المدخل:

مفاهيم اصطلاحية (الجمالية والخطاب)

مرتكز معرفي:

الجمالية هي مصطلح حديث، تضمّنت معان كثيرة كانت متداولة من قبل، مشتقّ من الجمال ويرتبط بالذّوق والإحساس والشّعور.

أوّلا: الجمالية

1/ معناها اللّغوي والاصطلاحي:

أ: لغة

ورد ذكرها أوّل مرّة –حسب اطّلاعنا– في معجم "المنجد" بلفظة الجمالية، لتدلّ على معنى "علم الجمال"[1]، كما ورد أصلها الاشتقاقي "الجمال" في الاستعمال العربي، فهي بذلك مألوفة مستساغة، ومن ذلك قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾[2]، أي بهاء وحسن، وقول الرّسول ﷺ "إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ"[3]، أي حسن الأفعال، كامل الأوصاف.

ثمّ هي في "لسان العرب" لابن منظور، تنصرف إلى معنى "البهاء والحسن".[4]

ب: اصطلاحا

يرى النقّاد أنّ علم الجمال هو دراسة تعنى بتحليل الشّكل والمضمون والنّمط والذّوق، وحينئذ تتبلور الجمالية "مرتكزا نقديّا، يسعى إلى كشف المكوّنات الإبداعية للنصّ الأدبي وكيفية تحقّق

[1]– لويس معلوف اليسوعي، المنجد معجم مدرسيّ للعربية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط 07، نيسان 1931م، ص 102، مادّة (ج م ل).

[2]– النّحل 06.

[3]– محمّد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ط 21، 1425هـ/2004م، ص 156.

[4]– ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم الشّاذلي، دار المعارف، مصر، ص 685، مادّة (ج م ل).

وظيفتها الاتّصالية، أي أنّها تهتمّ بشكل عام بالبحث عن الخلفيات الشّكلية المنظّمة لعملية الإبداع الفنّي، التي تسهم بشكل فاعل في قبوله وتلقّيه".[1]

ومنه فإنّ الجمال سمة يتميّز بها الفنّ، فهو المنتج المتحقّق نتيجة عمل معيّن، بحيث قد يكون جميلا وقد لا يكون، كما أنّ الجمال قد يتحقّق في الفنّ وفي غير الفنّ.

ولعلّ الطّبيعة تقدّم خير دليل على ذلك، بما تشتمل عليه من مناظر خلّابة، لا دخل للفنّ فيها، غير أنّ الفنّ في المجال الأدبي لا يذكر إلّا مقترنا بالجمال، باعتبار أنّ الغاية التي يسعى إلى تحقيقها هي جوهر الوجود الجمالي، وهذا ما فرض على دارسي الأدب ونقّاده أن يقرنوا العمل الفنّي بالجمال، بل إنّ من الغايات التي ترمي إليها الدّراسات النّقدية في البحث عن المكوّنات الجمالية لإبراز وظائفها في التّواصل الذي يشكّل غاية لكلّ مبدع".[2]

2/ مصطلح الجمالية عند الفلاسفة الغربيين:

كان الفيلسوف "بومجارتن" أوّل من استعمل مصطلح (الاستطيقا)، ويقصد بها العلم الذي يولي الاهتمام إلى دراسة الحساسية التي تنشأ من هيمنة الأفكار البسيطة في تعاملها مع الظّواهر الفنية، وهي أفكار ليست بالغامضة ولا بالواضحة، فهي كما يقول: "تقدّم معارف حسية انفعالية، منسّقة تنسيقيّا، أي بهيجة وجميلة".[3]

ومن هذا المنطلق نرى بأنّ مصطلح الجمالية قد علا صيته في الغرب كمصطلح جديد، وكان أكثر تداولا من قبل النقّاد الغربيين بمفهومه الحداثي وبشكله المستجدّ.

---

[1]- لطفي فكري محمّد الجودي، جمالية الخطاب في النصّ القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرّؤية وآليات التّكوين، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط 01، 1435هـ/2014م، ص 23.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 53.

[3]- المرجع نفسه، ص 46.

علم الجمال حسب رؤية "بومجارتن Boumgarten" هو العلم الذي يدرس انفعالات الإنسان ومشاعره ونشاطاته وعلاقاته الجمالية في ذاته، دون أن يربط ذلك مباشرة بوجه استعمالي أو بمنفعة عملية".[1]

الفيلسوف الألماني "إمانويل كانط E mmanouel kant" فيرى بأنّ "حكم الذّوق هو ما يتوصّل إلى معرفة الجمالي، وأنّ هذه الوسيلة متميّزة كلّ التّميّز عن الحكم التّصوّري؛ حيث إنّ الأوّل ينتمي إلى مجال الوجدان أو الشّعور، بينما الثّاني يعود إلى العقل النّظري".[2]

الجمال عند "هيجل Hegel" هو "التّجلّي المحسوس للفكرة، أمّا صورته فتتلخّص في تصويرها المحسوس والخيالي".[3]

الفيلسوف الإيطالي "بنديتو كروتشه Benedeto croce" فهو يعتبر الجمالي "حدسا أو إحساسا فطريّا بالطّبيعة، ولكنّه معرفة كذلك تنبع من العقل والخيال معا، ويتمّ إدراك مكوّناتها بملكة تتفاوت درجتها وقوّة إدراكها بين بني البشر".[4]

يقول إيزر Eizer" "إنّ هناك قطبين للعمل الأدبي، يمكن لنا أن ندعوهما القطب الفنّي والقطب الجمالي، فالقطب الفنّي هو نصّ المؤلّف، أمّا القطب الجمالي فهو إدراك القارئ لهذا النصّ".[5]

ثمّ تأتي بعد ذلك كلّا من المدرستين الشّكلية والبنيوية، لتحدّدا مفهوم الجمالية، فالمدرسة الشّكلية ترى "أنّ الإدراك الجمالي يكتسب فعاليته في النصّ الأدبي من الخصائص النصية المصمّمة

---

[1]- جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال تخطيط النّظرية في علم الجمال، تر: مُحَمَّد بدوي، مراجعة: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص 53.

[2]- عبد الرّحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط 01، 1984م، ج 01، ص 272.

[3]- راوية عبد المنعم عبّاس، القيم الجمالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 143.

[4]- بنديتو كروتشه، علم الجمال، تر: نزيه الحكيم، مراجعة: بديع الحسم، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1963م، ص 156.

[5]- ولفانج إيزر، التّفاعل بين النصّ والقارئ، تر: مالك سلمان، مجلّة علامات النّادي الأدبي، جدّة، المجلّد 07، ص 25.

للشّكل، أمّا المدرسة البنيوية فإنّها ترى بأنّ العمل الفنّي لا يتحدّد جماليّا، إلّا بالقبض على العلاقات الدّاخلية التي تتحكّم في إنشاء النصّ في مساره الفنّي".[1]

ويذهب "ديكارت Descartes" في عرض نظريته في الجمال "إلى أنّ جميع الفنون تنطوي على لذّة (عقلية وحسية)، وهي لا تحدث إلّا إذا توافر شعور الملائمة والانسجام بين عنصري الحسّ والعقل معا".[2]

يرى "باسكال Pascal" أنّ "التّذوّق الأدبي ينشأ عن ضرب من المشاركة الوجدانية بين الأدب والمتذوّق".[3]

وهكذا فإنّ الجمالي في منظور الذّهنية الغربية، مرهون باللّذّة والمتعة والذّاتية، ويرى "فكري لطفي" أنّ الغربيين قد أهملوا الجانب الأخلاقي والقيمي، فالأدب عندهم "لا اعتبار فيه لشيء سوى الجانب الشّكلي والفنّي".[4]

3/ مصطلح الجمالية في المدوّنة النّقدية العربية:

إنّ الجمالية وإن غابت كلفظ منصوص عليه في المدوّنة النّقدية العربية، فإنّها لم تغب عنها "كمفهوم نقديّ تناوله العرب بإدراك ووعي حقيقيّ، يعكس أبعاد الصّناعة الشّعرية ويؤسّس –بقدر ما– لضوابط فنّية، تؤهّلنا على الأقل لأن يدّعى بأنّنا قد امتلكنا مفاهيم مفتاحية لنظرية جمالية عربية إسلامية".[5]

---

[1]– لطفي فكري محمّد الجودي، جمالية الخطاب في النصّ القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرّؤية وآليات التّكوين، ص 51.

[2]– راوية عبد المنعم عبّاس، القيم الجمالية، ص 81.

[3]– المرجع نفسه، ص 81.

[4]– لطفي فكري محمّد الجودي، جمالية الخطاب في النصّ القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرّؤية وآليات التّكوين، ص 52.

[5]– المرجع نفسه، ص 43.

ولو نظرنا حولنا، لوجدنا أوّل تجلّ معروف للجمالي عند العربي، كان في العصر الجاهلي، وقد جاء مرتبطا بالمنتج الشّعري، فما دام هناك حسّ شعري، هناك بكلّ تأكيد جمالية "فالشّعر في صورته القديمة النّاضجة، يكون انفعالا بجمال الأشياء أو قبحها".[1]

وقد كانت لبعض النقّاد العرب اجتهادات كثيرة في تحديد تلك المعايير الفنية الجمالية؛ حيث يرى "الجاحظ" (776م) أنّ أبلغ الكلام هو ما تكون شمائله موزونة، وألفاظه معدّلة، ولهجته نقيّة، فإن جامع ذلك السّن والسّمت والجمال وطول الصّمت، فقد تمّ كلّ التّمام، وكمل كلّ الكمال.[2]

يرى "أبو حيّان التّوحيدي" (923م) أنّ الاستحسان يكمن في كمال الأعضاء وتناسب في الأجزاء وقبول عند النّفس".[3]

كما تناولت نظرية النّظم عند "عبد القاهر الجرجاني" (1009م) فكرة الإعجاز القرآني، ثمّ أفاد منها النقّاد في تفسير الظّاهرة الجمالية الإبداعية والحكم على جودة المنظوم والمنثور على حدّ سواء، لأنّها كانت تقترب من مفهوم الأسلوبية، ومن مفهوم الشّعرية الموازي للجمالية، فهي توصيف بنائي للخطاب، سواء أكان نصّا قرآنيّا أم شعريّا أم نصّا نثريّا، وخاصّيتها تبنى على مبدإ العلائقية، أي علاقة اللّفظ مع اللّفظ، وعلاقة المعنى مع المعنى، وعلاقة المعنى مع اللّفظ".[4]

وتقوم نظرية عمود الشّعر في شكلها النّهائي عند "المرزوقي" (1030م) على سبعة أسس، جمعت بين العناصر التّكوينية والجمالية والبنائية الفاعلة، جاءت لترسم ما يمكن أن يكون عليه، فيقول: "إنّهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحّته، وجزارة اللّفظ واستقامته، والإصابة في الوصف،...

---

[1]- عزّ الدّين إسماعيل، الأسس الجمالية في النّقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ/1992م، ص 109.

[2]- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتّبيين، قدّم له وشرحه: علي بوملحم، مكتبة الخانجي، 2006م، ص 36.

[3]- أبو حيّان التّوحيدي ومكسويه، الهوامل والشّوامل، نشر: أحمد أميد السيّد، أحمد صقر، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، سلسلة الذّخائر، القاهرة، العدد 68، ص 140.

[4]- الرّحموني بومنقاش، الشّعرية بين أرسطو طاليس وحازم القرطاجنّي دراسة مقارنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1429هـ/2008م، ص 07.

والمقاربة في التّشبيه والتحام أجزاء النّظم والتئامها على تخيير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللّفظ للمعنى، وشدّة اقتضائها للقافية حتّى لا منافرة بينها، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشّعر".[1]

وضع "حازم القارطاجنّي" (1211م) معايير لتحديد جمالية الشّعر، فذكر منها: (الوزن والتّأثير وحسن التّخييل، والمحاكاة المستقلّة، وتأليف الكلام، وقوّة الصّدق، والإعراب، وكما يقول: "وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن به من إغراب، فإنّ الاستغراب والتّعجّب حركة للنّفس والتّعجّب حركة للنّفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوّة انفعالها وتأثّرها".[2]

نخلص ممّا سبق أنّ العرب قديما أدركوا أنّ الجمال هو الغاية من النصّ الأدبي، واجتهد النقّاد في تحديد أسسه ومعاييره، ولئن فاتهم وضع المصطلح، فلم يفتهم إدراك المفهوم، ولأنّ الخطاب القرآني – في أصله تكوين لغوي– فهو معجز في بيانه وانسجام ألفاظه وتماسك عباراته وروعة توزيع حروفه وتأثيره في سامعيه.

وهذا "الرّافعي" يقول حول أثر إعجاز القرآن في المتلقّي: "إنّما يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللّغوية في انسجامه واطّراد نسقه واتّزانه على أجزاء النّفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة، كأنّها توقعه توقيعا ولا تتلوه تلاوة"[3]، فهذا "الوليد بن المغيرة" حين سمع القرآن، قال فيه قولا صادقا رغم كفره، فقد قال: "إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه ليحطّم ما تحته، وإنّه ليعلو وما يعلى عليه".[4]

هذا القول هو أكبر دليل على الإعجاز الجمالي الذي يخلّده القرآن في نفوس سامعيه رغم الإنكار، إلّا أنّ سحره أكبر من أن يغفل عنه.

---

[1]– المرجع السّابق، ص 37.

[2]– حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُحَمَّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1966م، ص 71.

[3]– مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 09، 1393هـ/1983م، ص 112-113.

[4]– سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، ط 17، 1425هـ/2004م، ص 13.

ويرى "سيّد قطب" أنّ الإعجاز في بيان القرآن وأسلوبه ونسقه البياني وتصويره الفنّي"[1]

وقال "إنّ تذوّق الجمال الفنّي في القرآن مرّ بثلاث مراحل، هي كالتّالي:[2]

- **المرحلة الأولى**: التّذوّق الفطري التي قام بها الصّحابة؛ حيث لم يعلّلوا ما كانوا يجدونه في أثر.
- **المرحلة الثّانية**: مرحلة إدراك بعض مواضع الجمال المتفرّقة التي قام بها المفسّرون والأدباء، وأثنى على الإمام "الزّمخشري" في لفتاته البيانية في الكشّاف، وعلى "الجرجاني" في نظرية النّظم القرآني.
- **المرحلة الثّالثة**: وهي إدراك الخصائص العامّة الموجودة للجمال الفنّي القرآني، وأنّ السّابقين لم يبيّنوها وأنّها تكمن في التّصوير الفنّي في الأسلوب القرآني.

نخلص من هذا إلى أنّ الجمالية ليست تمظهرا شكليّا ولا أخلاقيّا فحسب، بل لها كينونتها التي يلتحم فيها الشّكل بالمضمون، فيكوّنان عملا فنيّا ونسيجا ذا جودة عالية، فهي تعمل على إبراز مواطن الجمال في هذا التّركيب الفنّي لتحقيق الكفاية الجمالية والمتعة في الأدب، وذلك من خلال إيجاد فواتح لقراءة خطاباتها وتسهيل عملية تلقّيها وتوصيلها.

فليس الأمر غريبا ولا عجيبا أن يكون القرآن الكريم معجزة إلهية، حظيت فيها الجمالية بأن تكون "سمتها الكلامية علامة من علاماتها الإعجازية".[3]

ومن هنا يبقى مصطلح الجمالية مصطلحا واسعا، يضمّ في حيّزه العديد من المعاني والأبعاد، سواء حسية أو معنوية، فهو يدرك بالحواس كما أنّه يدرك بالعقل والقلب (الذّوق والشّعور والإحساس) هو البوصلة الموجّهة لكلّ منهما.

---

[1]- عصام العبد زهد، الإعجاز في نصّ الخطاب القرآني، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين، ص 11.

[2]- المرجع نفسه، ص 11.

[3]- لطفي فكري محمّد الجودي، جمالية الخطاب في النصّ القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرّؤية وآليات التّكوين، ص 61.

تنوعّت أساليب الخطاب في المقاربة النّقدية بتنوّع الفنون، إذ انفرد كلّ فنّ بخصائص تخدم نمطيّة استعماله باللّجوء إلى صياغات دلالية، تعبّر عمّا يريد المرسل إبلاغه إلى المتلقّي، بهدف التّشويق أو التّذكير أو الموعظة أو الإعلان...؛ حيث يكتسي كلّ خطاب ذوقا حسيّا، يميّزه عن غيره من حيث الإبداع، غايته الإقناع أو المعارضة أو الإدلال بالرّأي...

ثانيا: الخطاب

1/ تعريف الخطاب Le discoures:

أ: لغة

تعدّدت مفاهيم الخطاب عند اللّغويين، فقد ورد في "لسان العرب" لابن منظور "أنّ الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان".[1]

"ومنه قولهم: جلّ الخطب أي: عظم الأمر والشّأن" وفي التّنزيل العزيز: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ۝٣١ ﴾ وجمعه خطوب".[2]

ودلّ الخطاب في "القاموس المحيط" للفيروز أبادي أنّه "الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة"[3]، وأضاف "الزّمخشري": "خطب مخاطبة أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام".[4]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، ج 04، ص 180، مادّة (خ ط ب).

[2]- المصدر نفسه، ص 129.

[3]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، تح: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة بإشراف: نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، ط 06، 1998م، ص 81، مادّة (خ ط ب).

[4]- الزّمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنات، د ط، 2005م، ص 228، مادّة (خ ط ب).

ورد في "مختار الصّحاح" "الخطب، سبب الأمر، تقول ما خطبك"، قال "الأزهري": أي ما أمرك، وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خطوب و (الخطابية) من الرّافضة، ينسبون إلى أبي بكر بن الخطّاب، وكان يأمر أصحابه أن يشهدوا على من خالفهم بالزّور".[1]

ب: اصطلاحا

لقد توسّع اللّسانيون الغرب في التّعريف الاصطلاحي للخطاب فهو عند "ما نقيتو" مرادف للكلام عند "سوسور" وهو المعنى الجاري في اللّسانيات البنيوية، ولذلك يعتبره ملفوظا طويلا أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسة العناصر بواسطة المنهجية التّوزيعية، يقيم في النّهاية معارضة بين اللّسان والخطاب، فاللّسان ينظر إليه ككل منته وثابت العناصر نسبيّا، أمّا الخطاب فهو مفهوم باعتباره المآل الذي تمارس فيه الإنتاجية، وهذا المآل هو الطّابع السّياقي غير المتوقّع، الذي يحدّد قيما جديدة لوحدات اللّسان، فتتعدّد دلالات وحدة معجميّة هو أثر الخطاب الذي يتحوّل باستمرار إلى أثر اللّسان، يصبح الخطاب فيه خاصّا بالاستعمال والمعنى مع زيادة مقام الواصل وخاصية الإنتاج والدّلالية".[2]

يرى "هاريس" أنّ الخطاب: "ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل متعلّقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسة من العناصر بواسطة المنهجية التّوزيعية وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لسانيّ محض".[3]

يعتبر "فوكو" الخطاب جزءا لا يتجزّأ من المنطق، فهو عملية عقلية منظّمة تنظيما منطقيّا، أو عملية مركّبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية، أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض".[4]

---

[1]- الشّيخ الإمام محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصّلح، 1986م، ص 90، مادّة (خ ط ب).

[2]- عبد القادر شرشاب، تحليل الخطاب السّردي وقضايا النصّ، منشورات دار القدس العربي، وهران ط 01، 2009م، ص 69-70.

[3]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي (الزّمن، السّرد، التّبئير)، الثّقافي العربي، بيروت، ط 01، 1997م، ص 17.

[4]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللّاتينية، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 01، 1978م، ج 01، ص 204.

ويعرّفه "لالاند": "أنّه التّعبير عن الفكر وتورّطه بواسطة متوالية من الكلمات والقضايا المتسلسلة والمترابطة، ومن معانيها اللّسانية المعاصرة، الكلام المتبادلة بين الأفراد، المكوّنة من متوالية من الوحدات الدّالّة، أصغرها الجملة".[1]

وينظر "إميل بنفنيست" أنّه: "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل، وبمعنى آخر هو كلّ تلفّظ متكلّما ومستمعا، وعند الأوّل هدف التّأثير على الثّاني بطريقة ما".[2]

لقد ربط "بنفنيست" الخطاب بالسّرد واعتبره ترجمة للواقع المكتوب، وأشار إلى مستويين "مستوى ملافظة التّاريخ أو السّرد ومستوى ملافظة الخطاب، أمّا فيما يخصّ ملافظة الخطاب التي قد بدأت تتعدّد بالمفارقة مع ملافظة السّرد، فهي حسب تعبير "بنفنيست" كلّ ملافظة تفترض متكلّما، وعند الأوّل نيّة التّأثير في الآخر بأيّة حال، وإذا كانت ملافظة السّرد مخصّصة اليوم للّغة المكتوبة، فإنّ ملافظة الخطاب هي ملافظة مكتوبة مثلما هي ملافظة منطوقة".[3]

ليستخلص في الأخير إلى أنّ الخطاب هو "كلّ تلفّظ يفترض متكلّما ومستمعا، وعند الأوّل هدف التّأثير على الثّاني بطريقة ما".[4]

يرى "عبد الله إبراهيم" أنّ "الخطاب هو منظر تحوّلي، مركّب من وحدات لغوية ملفوظة أو مكتوبة، ويخضع لقواعد في تشكّله وفي تكوينه الدّاخلي، قابلة للتّنميط والتّعيين، بما يجعله خاضعا لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه سرديّا كان أم شعريّا".[5]

---

[1]- عبد السّلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب من سوسيولوجيا التّمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشّبكة العربية للأبحاث، لبنان، ط 01، 2008م، ص 13.

[2]- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط 01، 1999م، ص 09.

[3]- السّعيد هادف، مصطلحا السّرد والخطاب مقاربة بين النّظرية الغربية والنّظرية اللّغوية العربية القديمة، مجلّة المبرّز، فيفري 2002م، ص 27-29.

[4]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي (الزّمن، السّرد، التّبئير)، ص 19.

[5]- عبد الله إبراهيم، الثّقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، بيروت، ط 01، 1999م، ص 116.

بمعنى أنّ له معنيين: أحدهما لغويّ يتعلّق بالألفاظ ومستوياتها النّحوية والصّرفية والتّركيبية، والآخر دلاليّ يتركّز على المعنى وصياغته وفق قواعد لغويّة قنّنها علماء النّحو والصّرف والعروض على الخاطبين: الشّعر والنّثر.

2/ أنواع الخطاب:

تعدّدت مشارب الخطاب حسب حاجة المجتمع إليها، فالإنسان يبحث في حياته عن صيغ متنوّعة، يعبّر بها عن أفكاره، ويبلّغ رسالته ويحقّق أهدافه، ويمكن تصنيف الخطاب في أنواع كثيرة منها:

أ: الخطاب القرآني:

هو كلام الله الموجّه إلى المكلّفين، يقصد تفهيمهم ما لهم وما عليهم، ممّا هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بينا واضحا لا إجمالا فيه ولا اشتباه، ولو كان فيه بحسب هنا القصد اشتباه وإجمال لناقص أصل المقصود من الخطاب فلم تقع فائدة"[1]، ولنا في خطاب القرآن حديث في الفصلين اللّاحقين.

ب: الخطاب الصّوفي:

يختصّ الخطاب الصّوفي بالعشق الإلاهي والحنين إلى الدّيار، بتوظيف أساليب ومعان تبرز مقصدية المبدع النّبيلة في خلق مشاعر تعكس جانبه الرّوحاني المتعلّق بالذّات الرّبانية، ولقد ارتقى الخطاب الصّوفي "عندما ربط بين التّجربتين السّلوكية والإبداعية، وهكذا فإنّ ازدواج الوعي يؤكّد الصّلة بين الذّات المبدعة وكتابتها".[2]

---

[1]- عبد الرّحمان سعود إبداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، سمير منصور للطّباعة، دروب النّشر والتّوزيع، الطّبعة العربية، 2016م، ص 15.

[2]- عبد الحميد هيمة، الخطاب الصّوفي وآليات التّأويل قراءة في الشّعر المغاربي المعاصر، دار الأمير خالد، ط 01، 2013م، ص 182-183.

إنّ أوّل من تناول الخطاب الصّوفي "أبو حامد الغزالي" في كتابه "إحياء علوم الدّين"، الذي يعتبر العروة الوثقى عند أهل السنّة؛ حيث عارض الفلاسفة في نظرتهم للتّصوّف، فقد "سيطرت عليه الحلولية متمثّلة في تصوّف الحلّاج الذي ماهى بين الذّات الصّوفية العارفة –العاشق– وبين الموضوع المعرفي –المعشوق– الذّات الإلاهية".[1]

ج: الخطاب النّقدي:

يحتاج الأدب إلى نقد للتّمييز بين جيّده ورديئه من أجل الارتقاء به إلى أعلى مراتب الجودة، فيعرّفه "عبد المالك مرتاض" بأنّه "لم يعد مجرّد إصدار أحكام ساذجة أو متميّزة بإصدار الأحكام الجاهزة للنصّ الأدبي أو عليه، ولكنّها تعمد إلى تحليل الظّاهرة الأدبية ضمن جنسها الأدبيّ، وتأويلها بواسطة شبكة من الإجراءات والأدوات المعرفية... لقد أمسى النّقد الأدبيّ جهازا معرفيّا، لا ينفكّ يتعقّد ويتعمّق كلّما أوغلنا في المعرفة الإنسانية المتطوّرة".[2]

جلّ الأدباء يرون أنّ النّقد يغربل الأعمال الأدبية ويثمّن قيمتها، فهو "الخطاب الواصف للأدب بصرف النّظر عن مستويات الوصف وتوظيفاته".[3]

ويضيف تعريفا ممتنعا له فيقول: "النّقد خطاب وكلّ خطاب يتعدّد بأطراف التّخاطب فيه وأكثرها إيقاع المخاطب الفاعل للخطاب والمخاطب المفعول له للخطاب ثمّ مضمون الخطاب".[4]

لقد حاول "عبد الله فيفي" "أن يقدّم نقدا ينطلق من فهم الذّات ويستجيب لشروط الحداثة، وهو ما أسميناه بالنّقد العقلاني المنفتح، وذلك من خلال الجمع بين المعطيات المعرفيّة والمنهجيّة المتعدّدة (العربية والغربية) بطريقة تقوم على الاختيار والتّنسيق الواعي، بدل الجمع والتّلفيق، والذي لا

[1]– نصر الدّين أبو زيد، الخطاب والتّأويل، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط 02، 2005م، ص 29.

[2]– عبد الملك مرتاض، في نظرية النّقد متابعة لأهمّ المدارس النّقدية المعاصرة ورصد لنظريتها، دار هومة، الجزائر، 2002م، ص 227.

[3]– عبد السّلام المسدي، الأدب وخطاب النّقد، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، د ط، 2004م، ص 29.

[4]– المرجع نفسه، ص 49.

يحقّق إلّا التّنافر والاضطراب، كما يمتاز نقده بوضوح الأفكار وسهولة اللّغة، وهي سمة إيجابية قد لا نجدها حتّى عند النقّاد الحداثيين الكبار الذين يخفقون أحيانا في تحقيق التّواصل مع القراءة بسبب غموض كتاباتهم".[1]

وعليه، ينبغي على النّاقد أن يكون واضحا في كشف عيوب أو جمالية الأعمال الأدبيّة، حتّى يتجلّى حسنها بلغة بسيطة يقبلها المنطق.

د: الخطاب الشّعري:

يقول "عبد الإله الصّائغ" "يمتلك الشّعر قدرة بليغة في التّأثّر بالمحيط والتّأثير فيه، حتّى يمكن أن يرى الإنسان من خلالها حركة الأشياء، فالشّعر حقّا ديوان العرب".[2]

تتوافق نظرة النقّاد العرب والغرب إلى الشّعر، فينوّه "عبد الملك مرتاض" عن رأيه بقوله: "كانت غايتنا أنّه نتهض بتجربة تحليلية نسهم بها في الأعمال الحداثية الأخراة التي بدأت تظهر في المغرب والمشرق في محاولة لإرساء مدرسة عربية تقوم على قراءة النصّ الشّعري العربي... إذا اتّخذ من مناهج الغرب الحداثية، فإنّه يظلّ في الوقت نفسه... عربي الذّوق، عربيّ الصّقل".[3]

ورد في معجمي "كريماص" و "كورتيس" تقاطع بين الشّعر العربي والغربي، اللّذان تضمّنا على "عدّة مداخل تتعلّق بالشّكل وهي الوقائع النّغمية والإيقاع... وعلى أخرى خاصّة بالمضمون مثل: التّشاكل والمعنى العرضي والاستعارة والانزياح والمرجعية الدّاخلية "[4]، "فهما يريان أنّ الخطاب الأدبي

---

[1]- عبد الحميد هيمة، الخطاب النّقدي بين النّقل والتّأصيل من خلال الكتابة "حداثة النصّ الشّعري في المملكة العربية السّعودية للدّكتور عبد الله فيفي. Revues. Univ. Ouargla n03 : .2012

[2]- عبد الإله الصّائغ: الخطاب الإبداعي الجاهلي والصّورة الفنية (القدامة وتحليل النصّ)، المركز الثّقافي العربي، لبنان، ط 01، 1997م، ص 275.

[3]- عبد الملك مرتاض، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري تحليل مستوياتي لقصيدة شنا شيللابنة الجبلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001م، ص 25.

[4]- محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية النصّ)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط 01، 1985م، ط 02، 1986م، ط 03، 1992م، ص 12.

رسمت حدوده التّقاليد ولم تعدّدها المقاييس الموضوعية الشّكلية، ومن ثمّة فهما يشكّلان في وجود خصوصية للخطاب الأدبيّ، وينسمان مفهوم الأدبية".[1]

هـ: الخطاب الرّوائي:

مع ظهور الرّواية الحديثة والجديدة التي أصبحت ملاذّ القارئ، استطاعت أن تهيمن على الفنون الأدبية، بما فيها الشّعر، لموسوعيّة معارفها وشمولية ثقافتها ومحاكتها للواقع "فالرّواية عند "باختين" جزء من ثقافة المجتمع، والثّقافة مثل الرّواية، مكوّنة من خطابات تعيها الذّاكرة الجامعية، وعلى كلّ واحد في المجتمع أن يحدّد موقعه وموقفه من تلك الخطابات، وهذا هو ما يفسّر حوارية الثّقافة وحوارية الرّواية، القائمة على تنوّع الملفوظات واللّغات والعلامات... ومن هذا المنظور لا تظلّ الرّواية صنعة وعناصر تقنية تكتسب، إنّها قبل كلّ شيء إدراك لأهميّة اللّغة داخل المجتمع، وفي التّراث المكتوب والشّفوي، وصياغة للحوار بين الذّات السّاعية للمعرفة وبين العالم الخارجي، وجميع المظاهر في الحياة، كما في الرّواية تسعفنا على قراءة الأيديولوجيات المحيطة بنا".[2]

إنّ الخطاب الرّوائي في أبسط تعريفاته "هو بنية دالّة على تشكيل لغويّ سرديّ دال، يصوغ عالما موحّدا خاصّا، تتنوّع وتتعدّد وتختلف في داخله اللّغات والأساليب والأحداث والأشخاص والعلامات والأمكنة والأزمنة، دون أن يقضي هذا التّنوّع والتّعدّد والاختلاف على خصوصيات العالم ووحداته الدّالّة".[3]

و: الخطاب الإعلامي:

مع ظهور الصّحافة أصبحت الجريدة "تبني استراتيجية خطابيّة، ترتبط من جهة بطريقتها في تنظيم مادّتها الصّحفية: من خلال منظرها الشّكلي كاختيار عنوان الجريدة وطريقة تقسيم الصّفحات

---

[1]- المرجع السّابق، ص 13.

[2]- ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائي، تر: محمّد برادة، دار الفكر للدّراسات، القاهرة، ط 01، 1987م، ص 22.

[3]- عالية صالح، مقاربات في الخطاب الرّوائي، دار الكنوز للمعرفة العلمية للنّشر، عمّان، الأردن، ط 01، 2011م، ص 10.

واستخدام الرّسوم والصّور والمظاهر التّيبوغرافية والطّبوغرافية وعنونة المقالات، وترتبط من جهة أخرى بالسنّ اللّغوي البحث الذي تعكسه الأساليب التّداولية والحجاجية من مقاطع وروابط حجاجية وتوظيف لظاهرة تعدّد الأصوات".[1]

وللخطاب الإعلامي علاقة أيضا بالكلام والإنسان... إنّه ينتقد ملفوظا... وإذا حلّل عملا يكشف وجهات النّظر التي تحفّزه ويصوغها لفظيّا".[2]

ز: الخطاب السّياسي:

يهدف الخطاب السّياسي إلى إقناع الشّعب بمهمّة معيّنة، باستعمال الحجج والبراهين والاستدلال العقلي، فهو كما "أشار "شايم برلمان" وَ "روسي تيتيكاه" إلى أنّ الموضوع السّياسي باعتباره خطابا إقناعيّا... هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم".[3]

لذلك يلزم على الرّجل السّياسي أن يكون ذا سلطة وتأثير في خطابه، حتّى يقبل الجمهور رسالته، ويمتلك سمعة مشرّفة لدى الرّأي العام.

ح: الخطاب الإشهاري :

يعدّ الخطاب الإشهاري صنعة ثقافية وإعلامية، تعتمد عليها جميع المجتمعات في مجالات الحياة من أجل التّرويج بمنتجاتها الفكرية والمادية فهو "يكتسي طابعا ثقافيّا يتمثّل في مكوّناته اللّغوية والسّيميائية والتّداولية، بالإضافة إلى بعديه الاقتصادي والاجتماعي والمرتبطين بالدّعاية التّجارية".[4]

---

[1]- عمر بلختير، الخطاب الصّحفي الجزائري المكتوب (دراسة تداولية)، دار الحكمة، ط 01، 2009م، ص 10.

[2]- ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائي، ص 116.

[3]- راضية بوبكري، الخطاب السّياسي الخصائص واستراتيجيات التّأثير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عنّابة، الجزائر، ص 01.

[4]- عبد القادر سلّامي، الخطاب الإشهاري، مجلّة Semat، العدد 01، 2014م، ص 51.

وممّا لاشكّ فيه أنّ "الاهتمام بالخطاب الإشهاري لا تتعلّق بغاياته التّجارية النّفعية، بقدر ما ترتبط بخواصّه التّركيبة والفنية، وهو اتّجاه أخرج الخطاب من دائريته الضيّقة، كونه مظهرا حياتيّا بامتياز"[1]، ومنه يتبيّن لنا أنّ الخطاب يحمل أوجها متعدّدة، ويلبس ألف ثوب.

3/ أسلوبية الخطاب:

الأسلوب في المعنى اللّغوي هو الطّريق والمذهب والفنّ[2]، أمّا الأسلوبية فيقول "بالي": "أنّها تدرس وقائع التّعبير اللّغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي تدرس فعل الوقائع اللّغوية على الحساسية".[3]

إنّ المتأمّل إلى هذا التّعريف، يخلص إلى أنّ الأسلوبية تهتمّ بالدّراسات النّسقيّة للنصّ التي تصف خصائص اللّفظية ولغته من حيث الاتّساق والانسجام.

ويعتبره "جان كوهان" "كلّ ما ليس شائعا ولا عاديّا ولا مطابقا للمعيار العام المألوف... إنّه انزياح بالنّسبة إلى المعيار، أي أنّه خطأ ولكنّه خطأ مقصود".[4]

أمّا "سوفينسكي" فيعرّفه "أنّه استعمال بدلائل لغويّة مناسبة ومجدّدة استعمالا متوتّرا لأغراض تعبيرية مجدّدة"[5]، أو بمعنى آخر أن تحمل اللّغة عدّة دلالات وتوظّف في سياقات مختلفة، وهو ما يسمّى بالانزياح.

---

[1]- عبد الواحد كريمة، سيسيولوجيا الاتّصال في الخطاب الإشهاري البصري، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، جامعة غرداية، المجلد 07، العدد 02، 2014م، ص 37.

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 02، ص 157، مادّة (س ل ب).

[3]- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط 01، 2002م، ص 31.

[4]- جان كوهان، بنية اللّغة الشّعرية، تر: محمّد الوالي و محمّد العمري، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986م، ص 15.

[5]- فيلي ساندرس، نحو نظرية لسانية، تر: خالد جمعة، دار الفكر، سوريا، ط 01، 2003م، ص 46.

4/ تحليل الخطاب:

إنّ الخطاب عند الإنجليز "يعني الحوار، ولذلك يرتبط تحليل الخطاب لديهم بنمط معيّن من تحليل الحوار عبر تحديد مجموعة من الوحدات الحوارية"[1]، وقد بقي هذا المفهوم سائدا في الغرب؛ حيث عمل موشلر" على حصر تحليل الخطاب عبر ثلاث مناطق: "كان أوّل ظهوره في فرنسا؛ حيث اهتمّ بالجانب اللّساني بالمعنى السّوسوري، فتناول في دراسته للكلام من النّاحية السّياقية الأيديولوجية، ليصبح تحليل الخطاب تحليلا سيميائيّا ذا وظيفة دلالية، في حيث تعارض تحليل الخطاب مع تحليل الجملة عند التّوليديين؛ حيث ارتكز على تحديث نحو خاصّ للخطاب، يختلف عن أنحاء الجملة، أمّا التّقليد الأنجلوساكسوني الخاصّ بمدرسة بيرمنكام، فقد ارتبط تحليل الخطاب بلغة الحوار، وما ينجم عنه من علاقات ووظائف تحقّق أهدافا معيّنة، ولاسيما العلاقة المبينة بين المعلّم والتّلميذ".[2]

أمّا "باتريك شارودو" فقد جسّد تحليل الخطاب عبر دورة تواصل، تنحصر في ماهية الكلام، غرض الهوية، هادفيّة الغاية: حوارية القول ومناسبة الفعل: "أمّا عقد الكلام فيتمثّل فيما تحقّقه عملية التّواصل من تبادل لغويّ، يحدّد هويّة الإنسان، وترمي إلى غاية هدفها تبادل الأفكار والخبرات واكتشاف المواهب والقدرات التي تولّدت من ظروف سابقة".[3]

إنّ التّحليل الأسلوبي لأيّ خطاب، يهدف إلى فهم مضمونه واكتشاف جمالياته، ونقد إبداع الكاتب في رصد أفكاره للمتلقّي" فعلى القارئ أن يبحث عن الجانب السّياقي للنصّ وعلاقته بالظّروف الخارجية، ويربط دلالة الألفاظ والعبارات بحياة الكاتب والمجتمع، ثمّ عليه أن يحلّل الموضوع بطريقة موضوعية حيادية، بعيدة عن نفسيّة الكاتب وتأثيراته بالمجتمع، بل يعتمد على معايير

[1]- رزان حمود إبراهيم، خطاب النّهضة والتّقدّم في الرّواية العربية المعاصرة، دار الشّروق، ط 01، 2003م، ص 17.

[2]- ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي (الزّمن، السّر، التبئير)، المركز الثّقافي العربي، لبنان، ط 04، 2005م، ص 24-25.

[3]- ينظر: باتريك شارودو، دومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، ص 139.

موضوعية علمية لاستنباط أحكام النصّ، ومعرفة رؤية الكتاب ووجهة نظره نحو القضيّة المعالجة، من خلال توظيفاته اللّغوية من نحو وصرف ودلالة وبنية إيقاعية".[1]

بناء على ما سبق، نستخلص أنّه على المبدع أن يتمتّع بأسلوب يناسب مقام الخطاب، ويحقّق هادفيّة الرّسالة التي يبغي ترسيخها للقارئ أو السّامع، باستعمال تراكيب سليمة خالية من اللّحن اللّغوي، الذي يشين المتن، وينتقص من قدر كاتبه...

[1]- ينظر: أيوب جرجيس، الأسلوبية في النّقد العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، د ط، 2014م، ص 143.

الفصل الأوّل:

سردية الخطاب في قصّة إبراهيم عليه السّلام

مرتكز معرفي:

ألمّ القرآن الكريم بتشريعات مختلفة شملت: العقيدة، العبادة والمعاملة، فغطّى جميع مناحي حياة الإنسان اجتماعيّا، سياسيّا، اقتصاديّا وعاطفيّا، لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1]، وعني أيضا بقصص الأنبياء حتّى تتجلّى لعباده معالم الأسوة الحسنة، ويتبيّن لديهم إشراقة الحقّ أمام إضلالة الباطل، لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.[2]

إنّ قصص الأنبياء "تمثّل مركب الإيمان في طريقه الممتدّ الواصل الطّريق، ويعرض قصّة الدّعوة إلى الله واستجابة البشرية لها جيلا بعد جيل، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النّخبة الممتازة من البشر وطبيعة تصوّرهم للعلاقة بينهم وبين ربّهم الذي خصّهم بهذا الفضل العظيم".[3]

تعدّ قصّة إبراهيم عليه السّلام أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم، إذ "نالت حظّا وافرا من التّكرار؛ حيث ذكرت نحو عشرين موضعا"[4]، إلّا أنّها كانت ترد مجزّأة إلى مشاهد تطول وتقصر على حسب الغرض الدّيني في السّورة، "فمرّة تعرض القصّة من أوّلها، ومرّة من وسطها، ومرّة من آخرها، وتارة تعرض كاملة".[5]

لقد خصّ الله تعالى سورة باسم إبراهيم عليه السّلام، التي جاءت كما قال "مُحَمَّد علي الصّابوني": "تخليدا لمآثر أبي ب [كذا] الأنبياء، وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السّلام، الذي حطّم الأصنام، وحمل راية التّوحيد، وجاء بالحنفية السّمحة ودين الإسلام، الذي بعث به خاتم الأنبياء، وقد

---

[1]- النّحل 89.

[2]- يوسف 111.

[3]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط 01، 1972م، ط 02، 2003م، المجلّد 01، ص 55.

[4]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، دار الشّروق، القاهرة، ط 17، 1425هـ/2004م، ص 174.

[5]- المرجع نفسه، ص 162.

قصّ علينا القرآن الكريم دعواته المباركات بعد انتهائه من بناء البيت العتيق، وكلّها دعوات إلى الإيمان والتّوحيد".[1]

أوّلا: أحداث قصّة إبراهيم عليه السّلام حسب ترتيب وقوعها:

يصوغ القرآن الكريم أحداث قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام في مشاهد عديدة:

1/ الاصطفاء بالنّبوّة:

أثنى الله عزّ وجلّ على نبيّه بالصّدق في القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾[2]؛ حيث كان "مصدّقا بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيّا في نفسه"[3]، ثمّ أكّد لهم أنّه جاء ليتمّ رسالة من سبقه من الأنبياء في قوله: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴾.[4]

وأنّ الله أتاه قلبا نقيّا من أدران الشّرك والنّفاق، سليما من شوائب الغلّ والحقد والضّغينة، تقيّا بالإيمان، فرسالته كما فسّرها "عبد الرّحمن الثّعالبي" مكمّلة لما جاء به نوح عليه السّلام، على قول "ابن عبّاس" رضي الله عنه أو مكمّلة من طرف النّبي الذي جاء بعده وهو مُحَمَّد ﷺ على قول "الطّبري" و "الفرّاء"[5]، كما ألهمه الرّشد في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾[6]، "معنى أنّه آتاه "توفيقه وصلاحه"[7]، ويظهر ذلك جليّا عندما يدعو والده بالموعظة واللّين، حين يتعنّت عن الحقّ ويقسو قلبه، فيستقرّ في ذهنه، الثّبات في المعاملة، وهذا يدلّ على رجاحة عقله، ونضج

---

[1]- مُحَمَّد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار الجبل، بيروت، المجلّد 02، ص 84.

[2]- مريم 41.

[3]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 01، 1427هـ/2006م، ج 03، ص 1102.

[4]- الصّافّات 83... 48.

[5]- ينظر: عبد الرّحمن الثّعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: عمار الطالبي، عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة، ج1، ص 32.

[6]- الأنبياء 51.

[7]- المرجع السّابق، ص 86.

فكره، وحسن تصرّفه مع مجادله وإن كان أقرب النّاس، فقد أثنى الله عليه في عديد من الآيات، فقال: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴿٣٧﴾﴾.[1]

لقد توعّد الله سبحانه وتعالى من يحيد عن دين إبراهيم، ونعته بالسّفيه، لأنّ السّفهاء من النّاس لا يفقهون ما ينفعهم، ولعلّهم انصرفوا عمّا يصلح أحوالهم ولجأوا إلى ما يضرّهم، لذلك "استنكر الله عزّ وجلّ واستبعد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحقّ الذي هو ملّة إبراهيم عليه السّلام"[2]، ثمّ أكّد اصطفاءه في الدّنيا وصلاحه في الآخرة، "فجمع الكرامة عند الله في الدّارين، بأن كان صفوته وخيرته في الدّنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة، لم يكن أحد أولى بالرّغبة في طريقته منه"[3]، فقال فيه ربّه عزّ وجلّ: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿١٣٠﴾ ﴾[4]، والاصطفاء يتّضح في امتثال إبراهيم للإسلام، حين طلب منه ذلك في قوله: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿١٣١﴾ ﴾.[5]

كانت ثمرة إذعان إبراهيم عليه السلام لأمر ربّه أن تواترت تلك الرّسالة إلى أبنائه وأحفاده، فبيّن لهم أنّ اصطفاء الدّين ووضوح نهجه ينبري موت على الإسلام، هو أنّ طاعة الله تورّث بركة في الذرية، لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴿١٣٣﴾﴾.[6]

---

[1]- النّجم 37.

[2]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 148.

[3]- المرجع نفسه، ص 146.

[4]- البقرة 130.

[5]- البقرة 131.

[6]- البقرة 133/132.

وأشاد أيضا بمنزلة إبراهيم عليه السّلام وذريته في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧ ﴾.[1]

كما امتحنه بكيفية إحياء الموتى، فحقّق مراده في معرفة هذه الحقيقة عيانا، لأنّ إبراهيم عليه السّلام لا يختلجه شكّ في قدرة الله، ويدرك تماما أنّ ما أنزل من الوحي لا يكذّبه الواقع، "بل أحبّ أن يرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين".[2]

فأمره الله عزّ وجلّ أن يحتجز أربعة طيور، ثمّ يذبحهنّ ويقطعهنّ، وأن يضع كلّ جزء في جبل، بعد أن جزّأهنّ وخلط بعضها في بعض وأمسك برؤوسهنّ "فجعل ينظر إلى الرّيش يطير إلى الرّيش والدّم إلى الدّم واللّحم إلى اللّحم، والأجزاء من كلّ طائر يتّصل بعضها ببعض"[3]، حتّى تشكّل كلّ طير على صفته الأولى، وأتى إلى إبراهيم ليأخذ من يده "فإذا قدّم له غير رأسه أباه، فإذا قدّم له رأسه تركّب مع بقيّة جسده"[4]، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَ لَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٢٦٠ ﴾[5]، وبذلك تيّقن إبراهيم عليه السّلام من قدرة الله عزّ وجلّ على إحياء الموتى، فاستحال الإيمان القلبي حسيّا يشاهد بالعين، وتحقّقت الطّمأنينة التي كان يبحث عنها.

---

[1]- ص 45... 47.

[2]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 03، ص 409.

[3]- محمود المصري، معجزات الأنبياء وكرامات الصّحابة، مكتبة الصّفا، القاهرة، ط 01، 1433هـ/2012م، ص 57.

[4]- المرجع نفسه، ص57.

[5]- البقرة 260.

2/ اعتراض إبراهيم عليه السّلام على أبيه:

أكبر مصيبة ابتلي بها إبراهيم عليه السّلام في دعوته، اعتراض أبيه لها، فقد سرد الله تعالى هذا المشهد المؤثّر قائلا: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾.[1]

حاول إبراهيم عليه السّلام أن يهدي أباه، منتهجا سياسة الاستعطاف، فاستماله بأسلوب ليّن متودّد إليه بالطّاعة، خائف عليه من عذاب النّار، مستنفرا إيّاه من عبادة الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرّا، "وهذا برهان جليّ دالّ على أنّ عبادة النّاقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا، ودلّ تنبيهه وإشارته أنّ الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العبادة نعمة إلّا منه، ولا يدفع عنهم نقصه إلّا هو، هو الله تعالى".[2]

لم يكن لإبراهيم عليه السّلام أن يكره أباه دخول الإسلام، بل أراد أن يعتنقه طواعية، فاستدرجه في الدّعوة؛ حيث بدأ بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه وأنّه موجب باتّباعه وطاعته والاهتداء إلى صراط مستقيم ، ثمّ نهاه عن عبادة الشّيطان وأخبره بما فيها من المضارّ، ثمّ حذّره عقاب الله ونقمته على حاله وأن يكون وليّا للشّيطان"[3]، لكنّ ذلك لم يزده إلّا إصرارا على عبادة الأوثان، وتهديدا لابنه بالهجران، فقسا قلبه وأعماه هواه عن عبادة الخالق، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾.[4]

---

[1]- مريم 42... 46.

[2]- عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنّان في تفسير القرآن، دار ابن الجوزي، السّعودية، ط 01، 1422هـ، ص 1000.

[3]- خالد أبو الجندي، الجانب الفنّي في القصّة القرآنية منهجها وأسس بنائها، دار الشّهاب للطّباعة والنّشر، د ط، د ت، ص 148.

[4]- الحج 46.

مع كلّ ذلك العناد والثّبات على المعصية، وعد إبراهيم عليه السّلام أن يستغفر له الله، ظنّا منه أنّه سيتوب إليه، ويحيد عن عبادة الأصنام، لكنّ ظنّه خاب في أبيه، كما اتّضح في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾.[1]

قرأ إبراهيم على أبيه سلام الفراق، ووكّل أمره إلى الله عندما يئس من عودته إلى الحقّ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾[2]، فكان "سلام توديع ومشاركة"[3]، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾.[5]

أمّا "الزّمخشري" يجوّز "أنّه قد دعا له بالسّلامة استمالة له"[6]، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾[7]، الرّاجح أنّه تبرّأ منه عندما أدرك أنّه عادى الله، وأغلق باب التّوبة على قلبه.

وفي حديث رواه "أبو هريرة" ﷺ في مسألة مقابلة إبراهيم عليه السّلام لأبيه يوم القيامة: "يَلْقَى إبْراهِيمُ أباهُ آزَرَ يَومَ القِيامَةِ، وعلَى وجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ، فيَقولُ له إبْراهِيمُ: ألَمْ أقُلْ لكَ: لا تَعْصِنِي؟ فيَقولُ أبُوهُ: فاليومَ لا أعْصِيكَ، فيَقولُ إبْراهِيمُ: يا رَبِّ، إنَّكَ وعَدْتَنِي أنْ لا تُخْزِيَنِي يَومَ يُبْعَثُونَ، فأيُّ

---

[1]- التّوبة 114.

[2]- مريم 47.

[3]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، 1984م، ج 16، ص 121.

[4]- القصص 55.

[5]- الفرقان 63.

[6]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 03، ص 1104.

[7]- الممتحنة 04.

خِزْيٍ أَخْزَى مِن أَبِي الأَبْعَدِ؟ فيَقولُ اللَّهُ تَعالَى: إنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ علَى الكافِرِينَ، ثُمَّ يُقالُ: يا إبْراهِيمُ، ما تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فإذا هو بِذِيخٍ* مُلْتَطِخٍ، فيُؤْخَذُ بقَوائِمِهِ فيُلْقَى في النَّارِ".[1]

كان من عادة إبراهيم عليه السّلام أن يرجو لطف ربّه عندما قال في شأنه: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴿٤٧﴾ ﴾ فيستجيب دعوته، إلّا أنّه عزّ وجلّ يردّ دعوته لأبيه، لأنّه مات على الشّرك، وقد حرّم الله الجنّة على الكافرين، وبيّن له أنّ إسلامه واستقامته لا تنفع والده ما دام أصرّ على المعصية.

3/ اعتراض إبراهيم عليه السّلام على قومه:

يقدّم القرآن الكريم مشهد المواجهة بين إبراهيم عليه السّلام وقومه في سور وآيات كثيرة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴿٨٢﴾ ﴾.[2]

الشّاهد في هذه الآيات، أنّ قوم إبراهيم عليه السّلام كانوا متمسّكين بدين الأجداد، فجعلوا من عبادة الأصنام ملاذّهم في استجلاب الرّزق وتحقيق الأماني، فكانوا يتقرّبون إليها زلفى، دون أن يعوا أنّها تفتقد لأدنى علامات القبول، التي تتمثّل في السّمع والبصر، فأنّى لمخلوق أعمى وأصمّ أن

---

*- **الذّيخ**: ذكر الضّبع الكثير الشّعر، فيجده ملطّخا بالرّجيع أو بالدّم، فيؤخذ بقوائمه، –وهي يداه ورجلاه– فيطرح في النّار، وقيل: إنّما ظهر له في هذه الصّورة المستبشعة ليتبرّأ منه، والحكمة في كونه مسخ ضبعا دون غيره من الحيوان، أنّ الضّبع أحمق الحيوان، ومن حمقه أنّه يغفل عما يجب التّيقّظ له.

[1]- مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تح: مُحَمَّد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النّجاة (مصورة عن السّلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط 01، 1422هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴿١٢٥﴾﴾ سورة النّساء، الآية 125، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ سورة النّحل، الآية 120، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴿١١٤﴾﴾ سورة التّوبة، الآية 114، وقال أبو ميسرة: الرّخيم بلسان الحبشة، رقم: 3350، ج 04، ص 193.

[2]- الشّعراء 69... 82.

ينفع غيره ولم يستطع أن ينفع نفسه؟! وكيف لفاقد الشّيء أن يعطيه؟! ثمّ يعود ليذكّرهم بأنعم الله عليه، أن هداه واصطفاه إلى دين التّوحيد وأطعمه وسقاه، وأشفاه من مرضه وسيحييه بعد مماته، ويغفر له ذنوبه في الآخرة، فمن كملت صفاته وجلّت قدرته، حقّت ربوبيته.

وفي المقام نفسه يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.[1]

حاول إبراهيم عليه السّلام أن يبيّن لقومه، أنّ دينهم داحض، وأن آباءهم كانوا على ضلال لما عبدوا آلهة من حجارة، فاتّهموه أنّه يتلاعب بمشاعرهم ويستهزئ بما اتّبعه أجدادهم، ويظهر ذلك جليّا في قوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.[2]

لقد تعدّدت أسماء الأصنام التي كان يعبدها قوم إبراهيم عليه السّلامّ وتنوّعت دلالاتها، إذ يقول "مُحَمَّد الطّاهر بن عاشور": "والأصنام التي كان يعبدها الكلدان قوم إبراهيم هي (بَعْل) وهو أعظمها، وكان مصوغا من ذهب، وهو رمز الشّمس في عهد "سميرميس"، وعبدوا رموزا للكواكب، ولاشكّ أنّهم

[1]- الأنبياء 52... 56.

[2]- العنكبوت 16... 23.

كانوا يعبدون أصنام قوم نوح: ودّا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وقد دلّت الآثار على أنّ من أصنام أشور (إخوان الكلدان) صنما اسمه (نسروخ) وهو نسر لا محالة".[1]

بيّن إبراهيم عليه السّلام لقومه أنّه مبعوث ليبلّغهم رسالة ربّه، وأنّهم ملزمون بطاعته، ابتغاء الرّزق منه، لأنّ بيده ملكوت السّموات والأرض، ثمّ ذكّرهم بعاقبة الأمر التي سبقتهم في الكفر، وكيف أنّ الله خسف بهم الأرض وألحق بهم الدّمار، ثمّ يطلب منهم أن يسيروا في الأرض وينظروا كيف يستخلف خلقا بعد خلق، ويميت أقواما ويحيي آخرين، حتّى تتجدّد البشرية ويستمرّ ناموس الكون، إلى أن يأذن الله بالفناء... هي نظريّة الخلق، أراد أن يفهمها لقومه، لكنّهم لا يفقهون إلّا قليلا، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾.[2]

4/ هدم الأصنام:

ورد ما يدلّ على هذا المشهد سور وآيات متعدّدة، منها قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝٨٧ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ۝٨٩ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ۝٩٣ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ۝٩٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ۝٩٦ ﴾.[3]

ساء إبراهيم عليه السّلام ما رآه في قومه من عبادتهم للأصنام، فضاقت عليه الأرض بما رحبت من اعتقاداتهم السّخيفة التي لا معنى لها ولا غاية، فشكا إلى ربّه سقم حاله، "ويروى أنّه كان للقوم عيد، يخرجون فيه إلى الحدائق والخلوات، بعد أن يضعوا الثّمار بين يدي آلهتهم لتباركها، ثمّ يعودون بعد الفسحة والمرح، فيأخذون طعامهم المبارك، وأنّ إبراهيم عليه السّلام بعد أن يئس من استجابتهم

---

[1]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 16، ص 94.

[2]- الممتحنة 04.

[3]- الصّافّات 85... 96.

له، وأيقن فطرتهم الانحراف الذي لا صلاح له، اعتزم أمرا، وانتظر هذا اليوم الذي يبعدون فيه عن المعابد والأصنام، لينفّذ ما اعتزم، وكان الضّيق بما هم فيه من انحراف، قد بلغ منه أقصاه وأتعب قلبه وقواه، فلمّا دعي إلى مغادرة المعبد، قلب نظره إلى السّماء وقال إنّي سقيم".[1]

الحاصل في هذه الحادثة أنّ إبراهيم عليه السّلام استراح من مغادرتهم؛ حيث كان يفضّل الوحدة لينفرد بحاله ويشكو لربّه ما يسبّبه له قومه من تعب وآلام، فرأى أنّها الفرصة المواتية ليتخلّص من تلك الأصنام التي لطالما أنهكت تفكيره.

أراد أن يستنطقها لتفصح عن سبب امتناعها عن الأكل، لكن بدون جدوى، ممّا زاده غيظا وحسرة على التّفكير العقيم الذي أفضى إليه قومه، فانهال عليها ضربا مفرغا غضبه عليها، فلمّا بلغهم الخبر، هلمّوا مسرعين يستعلمون الحدث، فاستنكر عبادتهم لحجارة يصنعونها بأيديهم ويتركون الخالق الذي صوّرهم فأحسن تصويرهم.

"قيل كانت الأصنام سبعين صنما مصطفّة ومعها صنم عظيم، وكان هو مقابل باب بيت الأصنام، وبعد أن كسّرها جعل الفأس في رقبة الصّنم الأكبر استهزاء بهم"[2]، وما يدلّ على هذا المشهد، قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾[3]، غضب القوم على ما صنعه إبراهيم

[1]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 23، ص 2992-2993.

[2]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 17، ص 98.

[3]- الأنبياء 57... 67.

عليه السّلام بآلهتهم، لكنّهم رجعوا يجرّون أذيال الخيبة لما عجز كبير أصنامهم أن يبوح بمن كسّر البقيّة.

5/ مواجهة مع الملإ الأعلى:

لم يكن لأبي إبراهيم وقومه معبودا واحدا، بل تعدّدت آلهتهم من أصنام وكواكب ونجوم، لقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ ۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.[1]

برهن إبراهيم عليه السّلام لقومه أنّ المخلوق الذي يظهر مرّة ويأفل أخرى، تستحيل ألوهيته، فكانت له معهم ثلاث وقفات:

- **أوّلها:** مع الذين زعموا أنّ الكوكب إله، فلمّا خيّم الظّلام أبطل ألوهيته.
- **ثانيها:** مع الذين زعموا أنّ القمر إله، فلمّا أفل نفى ربوبيته.
- **ثالثها:** مع من اعتبروا الشّمس إلها، فلمّا غربت استبعد ألوهيتها...

[1]- الأنعام 74... 82.

كانت مناظرة قويّة، ذات حجج دامغة، اعتمد فيها إبراهيم عليه السّلام على براهين عقلية، حتّى يثبت صدق دينه، ويرضخ قومه إلى عبادة ربّ الكواكب، متوعّدا إيّاهم بالخسران المبين لمن يخالف عقيدة التّوحيد.

6/ مناظرة إبراهيم عليه السّلام للملك:

بعد هدمه للأصنام وعجز الكهنة، ناظره الملك المتجبّر، وهو "نموذج من النّاس، ظاهرهم يغري، وباطنهم يؤذي"[1]، لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾.[2]

تشير الآية أنّ الله تعالى رزق النّمرود مُلكا، دام "أربعمائة سنة"[3]، لكنّه بدّل نعمة الله كفرا وجحودا، فحاجّ إبراهيم عليه السّلام في ربّه، مدّع لنفسه الرّبوبية.

يفسّر "إسماعيل بن كثير" هذا المشهد فيقول: "قال قتادة والسدّي ومُحَمَّد بن إسحاق، يعني أنّه إذا أتى بالرّجلين قد تحتّم قتلهما، فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنّما قد أحيا هذا وأمات الآخر".[4]

طفِحَ تمرّد النّمرود عن الحقّ حتّى بلغ درجة الوقاحة، حين أدلى بحجج ضعيفة عكست خبثه المضمر للشرّ، فما كان لإبراهيم عليه السّلام إلّا أن يناظره بحجج أقوى، كسرت غروره وكبرياءه؛ حيث أمره أن يأت بالشّمس من المغرب ما دامت تشرق من المشرق، فأخرسه هذا الطّلب، وخسر المعركة مع نبيّ الله، روى إسماعيل بن كثير عن زيد بن أسلم أنه قال: "بعث الله إلى ذلك الملك الجبّار

---

[1]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص 44.

[2]- البقرة 258.

[3]- إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، تح: عبد القادر يعرب، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، د ت، ص 120.

[4]- المرجع نفسه، ص 121.

ملكا يأمره بالإيمان بالله، فأبى عليه، ثمّ دعاه الثّانية فأبى عليه، وقال: اجمع جموعك، واجمع جموعي، فجمع النّمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشّمس، فأرسل الله عليه ذبابا من البعوض، بحيث لم يروا عين الشّمس، وسلّطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاما بادية، ودخلت واحدة منهم منخر الملك، فمكثت في منخره أربعمائة سنة عذّبه الله تعالى بها، فكان يضرب رأسه بالمزراب في هذه المدّة كلّها، حتّى أهلكه الله عزّ وجلّ بها".[1]

7/ محاولة الإحراق:

لما كسر إبراهيم عليه السّلام آلهة قومه، قرّروا أن يثأروا لها، فعزموا على حرقه لقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾[2]، كانت النّار الخلاص الأنجع لإبراهيم عليه السّلام، وقيل أنّ "الذي أمر بالإحراق هو النّمرود، ومن أشار بالرّأي رجل من القوم كرديّ اسمه هينون".[3]

وفي آية أخرى يظهر أنّهم كانوا بين إحراقه وقتله، ولعلّهم اختاروا الإحراق لأنّه أشدّ عذابا من القتل، أو لعلّهم أرادوا أن يستمتعوا بمشهد النّار التي تأكل جسده، حتّى يطفئوا الغيظ الذي يملأ قلوبهم؛ حيث قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤ ﴾[4]، لكي يكون وقع النّار مؤثّرا، اختاروا أن يبنوا له بناء خاصّا، ويملؤوه نارا ثمّ يلقوه فيه، وهم على حافّة البناء يتلذّذون بلهيب النّار تذيب بدنه، فلم يكن له منجى غير

[1]- إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص 121.

[2]- الصّافّات 98/97.

[3]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 17، ص 105 (هكذا وردت، وهي من القصص الغريبة التي لا تستند إلى أساس حقيقي).

[4]- العنكبوت 24.

تضرّعه إلى ربّه بقول: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، فسخّر له من خلقه حيوانات ودوابّ، تتصارع مع النّار لتطفئها، إلّا الوزغ الذي كان يزيد من اشتعالها بنفخه عليها.[1]

روى البخاري ومسلم عن أمّ شريك ﵂ قالت: "أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَمَرَ بقَتْلِ الوَزَغِ*، وقالَ: كانَ يَنْفُخُ علَى إبْرَاهِيمَ عليه السَّلَامُ".[2]

أراد الله عزّ وجلّ أن ينقذ عبده من حرّ النّار التي تلفحه لتصيّره رمادا، فأوحى لها أن تكون بردا وسلاما عليه لقوله عزّ وجلّ: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾[3]، فخرج منها سالما معافى، واستحالت الهزيمة نصرا والخوف أمانا، ويعدّ هذا المشهد من القصص العجائبية الخارقة للعادة، وهي معجزة الله خصّها لرسوله حتّى يثبت لقومه صدق نبوّته وبطلان حججهم.

وما نلحظه أنّ الآيات التي تتناول احتيال القوم على إبراهيم عليه السّلام وتخطيطهم للتّخلّص منه، مقترن بنصره وهلاكهم، كقوله تعالى: ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ ﴾[4]، وفي آية أخرى: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾[5]، بعدما كانوا في الأعالي يترقّبون نهايته فرحين بنصرهم، صاروا أذلّة سافلين مهانين بخسارتهم.

---

[1]- ينظر: صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، ط 01، 1419هـ/1998م، ج 01، ص 361-362.

*- **الوزغ**: دابّة ممسوخة، يسمّى "سام أبرص" وهو يعيش على الجدران والسّقوف والشّقوق.

[2]- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ النّساء 125، رقم الحديث: 3559، ج 04، ص 141.

[3]- الأنبياء 70/68.

[4]- الصّافّات 98.

[5]- الأنبياء 70.

بعد حادثة الحرق، رأى إبراهيم عليه السّلام أنّه قد طفح الكيل وبلغ السّيل الزّبى، فقرّر أن يتبرّأ من قومه ويعتزلهم، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨ ﴾.[1]

فضّل إبراهيم عليه السّلام أن يعيش وحيدا، بمعزل عن أبيه وقومه، على أن يتحمّل أوزارهم، ويتجشّم معاناة عصيانهم...كانت كلمة باقية عاهد بها نفسه، لقوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ۝٤٨ ﴾.[2]

8/ الهجرة الأولى والبشرى بالولد إسماعيل عليه السّلام:

لما تيقّن إبراهيم عليه السّلام أنّ قومه لا يستجيبون لدعوته، وأنّهم ليسوا أهلا لذلك، أذن له ربّه بالهجرة حتّى يفرّ بدينه، فلبّى النّداء وإحساسه كلّه إحباط من نفور أبيه وأذى قومه له... كان يشعر أنّه منبوذ في أرضه يستميت نفسه للعدم، ففضّل مفارقة الأهل والخلّان على البقاء في بقعة ضالّ أهلها، داعيا مولاه أن يبدله خلفا صالحا: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ ﴾.[3]

يصوّر "سيّد قطب" المشهد المؤثّر فيقول: "هي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية، هجرة يترك وراءه فيها كلّ شيء من ماضي حياته، يترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه، وكلّ ما يربطه بهذه الأرض، وبهؤلاء النّاس، ويدع وراءه كذلك كلّ عائق وكلّ شاغل، ويهاجر إلى ربه متخفّفا من كلّ شيء... موقن أنّ ربّه سيهديه وسيرعى خطاه".[4]

---

[1]- الزّخرف 26... 28.

[2]- مريم 48.

[3]- الصّافّات 99... 101.

[4]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 23، ص 2994.

لم يدع الله إبراهيم عليه السّلام فردا، بل وهبه غلاما عوّضه الفراغ الذي زاغ في قلبه بعد افتقاده لأهله، وأحيا الفرحة في قلبه التي انتزعت منه، هاجر إبراهيم عليه السّلام العراق واتّجه إلى فلسطين، مصطحبا معه زوجه سارة وابن أخيه لوطا عليه السّلام الذي آمن به، وقيل أنّ هجرته إلى الشّام عادت إليه بالخير "لأنّ أكثر الأنبياء بعثوا، فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدّينية، وهي البركات الحقيقية وقيل: بارك الله فيه بكثرة الماء والشّجر والثّمر والخصب وطيب عيش الغنيّ والفقير"[1]، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ ﴾[2]، وقال أيضا: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾.[3]

يقال إنّ إبراهيم عليه السّلام "نزل بفلسطين، ولوط عليه السّلام بالمؤتفكة، وبينهما مسيرة يوم وليلة"[4]، ثمّ ارتحل إلى مصر مع سارة، فوقعت لهما حادثة مع ملكهما، فأهداها جاريته هاجر، وكانت امرأة ذات عفّة وإيمان، فقدّمتها سارة إلى زوجها، لأنّها كانت عقيما فسرّ بها.[5]

عاشت سارة مع هاجر عليهما السّلام تحت سقف واحد، تنهلان من علم أب الأنبياء، وشاء القدر أن يهبها ولدا، أسمته إسماعيل* عليه السّلام، وهي البشرى التي أنبأها الله تعالى لنبيّه أثناء هجرته.

---

[1]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 03، ص 1182.

[2]- الأنبياء 71.

[3]- العنكبوت 26.

[4]- المرجع السّابق، ج 03، ص 1182.

[5]- ينظر: صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص 310.

*- إسماعيل: هو الابن البكر لإبراهيم عليه السّلام، هو ولده من جاريته هاجر القبطية، وهو اسم معرّب من يشمعيل باليهودية، ومعنى إسماعيل بالعبرية: "الذي يسمع له الله، وقد سمع الله دعاء أمّه هاجر، إذ خرجت حاملا بإسماعيل مفارقة الموضع الذي فيه سارة مولاتها؛ حيث غارت منها لكونها عاقرا.

اشتدّت غيرة سارة عليها السّلام من هديّة الله لشريكتها، فطلبت من الخليل أن يغيّب وجهها عنها، فذهب بها وولدها، وسار بهما حتّى وضعهما حيث مكّة اليوم.[1]

9/ الهجرة الثّانية والبشرى بالبلد:

لقد استجاب إبراهيم عليه السّلام لطلب زوجته سارة، حتّى لا يزيد من غيظها ويعكّر مزاجها، فتوجّه إلى مكّة مع هاجر وابنهما إسماعيل عليهما السّلام، الذي كان رضيعا، ولما "ولّى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلّقت بثيابه، وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا هاهنا وليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها، فلما ألحّت عليه وهو لا يجيبها، قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: فإذن لا يضيّعنا".[2]

ودّع إبراهيم عليه السّلام أهله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[3]، وتركهما عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكّة يومئذ أحد وليس بها ماء... ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء.[4]

الملاحظ أنّ هجرة إبراهيم عليه السّلام الأولى كانت هروبا من فتنة قومه الذين أعرضوا عن رسالته، وهي هجرة شرعية قام بها سيّدنا مُحَمَّد ﷺ عندما تآمرت قريش على قتله، وأصحاب الكهف لما فرّوا من بطش الملك الظّالم، كما روى "أبو سعيد الخدري" رضي الله عنه أنّ الرّسول ﷺ قال: "يُوشِكُ أنْ يَكونَ خَيْرَ مالِ المسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبالِ ومَواقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ".[5]

---

[1]- ينظر: إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص 151.

[2]- المرجع نفسه، ص 151.

[3]- إبراهيم 37.

[4]- المرجع السّابق ص 152.

[5]- أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب التّقرّب بالفتنة، رقم الحديث: 7088، ص 1754.

أمّا الثّانية فكانت خضوعا لطاعة الله، فإبراهيم عليه السّلام أسكن أهله بوادٍ مجذب مقفر مجاور البيت الحرام، ليذكروا الله ويتقرّبوا إليه لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.[1]

بعد فترة زمنيّة من رحيل إبراهيم عليه السّلام، نفذ الماء والطّعام، فبدأت هاجر عليها السّلام تبحث يمينا ويسارا، علّها تجد شيئا يسدّ رمقها وابنها، فصعدت إلى الصّفا وأطالت النّظر، فلم تجد شيئا، ثمّ هبطت إلى المروى أملا أن تجد شيئا، لكن دون جدوى... فعلت ذلك سبع مرّات، وقد كان الجوّ حارّا والفيفاء قاحلة، إلى أن بعث الله مَلِكًا فجّر عينا من تحت قدمي إسماعيل عليه السّلام، فارتوت الأمّ وابنها، وقد اشتدّ فرحها برؤية الماء، فبدأت تغطّيه بالتّراب، خوفا أن ينقطع وهي تقول: (زمزم)، ومن ثمّ سمّيت بماء زمزم، وبشّرها المِلكُ أنّ بيت الله الحرام يبنى في هذا المكان.[2]

10/ الابتلاء بالولد

يصوّر القرآن الكريم هذا المشهد في سورة الصّافّات؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾[3]

الغلام الذي بشّر الله به نبيّه في هذه الآيات هو ابنه الأكبر من هاجر القبطيّة إسماعيل عليه السّلام.

---

[1]- إبراهيم 37.

[2]- ينظر: أبو القاسم محمّد بن عبد الله، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، 1920م، ص 65-66.

[3]- الصّافّات 100... 113.

لما ينع عليه السّلام وأزهرت طفولته، وبلغ مع أبيه السّعي "في أشغاله وحوائجه"[1]؛ حيث صار معتمد أبيه في قضاء بعض الأغراض، يلقّنه معنى المسؤولية بتربّث، ويحمّله بعض التّكاليف اليسيرة التي تهيّئه للرّجولة مستقبلا، وقد كان أرفق النّاس به وألطفهم عليه، وغيره ربّما عنف به الاستسعاء فلا يحتمله، لأنّه لم تستحكم قوّته، ولم يصلب عوده، وكان إذ ذاك ابن ثلاثة عشرة سنة[2]، رأى إبراهيم عليه السّلام في المنام أنّه يذبح ابنه، ورؤيا الأنبياء صادقة، لأنّها "اسم لما يرى من قبل الله تعالى، والمنام والحلم اسم لما يرى من قبل الشّيطان".[3]

وفي تأويل الرّؤيا يقول "الزّمخشري" ما فسّره: "الممتحن وقد رأى أنّه راكب في سفينة: رأيت في المنام أنّي ناج من هذه المحنة، وقيل: رأى ليلة التّروية كأنّ قائلا يقول له: إنّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلمّا أصبح روّى في ذلك من الصّباح إلى الرّواح، أَمِنْ الله هذا الحلم أو من الشّيطان؟ فمن ثمّ سمّي يوم التّروية، فلمّا أمسى رأى مثل ذلك، فعرف أنّه من الله، فمن ثمّ سمّي يوم عرفة، ثمّ رأى مثله في اللّيلة الثّالثة، فهم بنحره فسمّي يوم النّحر".[4]

توالت الرّؤى عينها على إبراهيم عليه السّلام، فأدرك أنّ هذا أمر من ربّه، ولابدّ أن ينفذه لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾[5]، يظهر أنّ إبراهيم عليه السّلام استشار ابنه في مسألة الذّبح، فامتثل الابن لطلب والده ولبّى الأب نداء الربّ، وقد تعلّق الأمر بالذّبح "بمأمورين: أحدهما يتلقّى الرّوح والآخر بتبليغ الرّسول إليه".[6]

---

[1]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 04، ص 1600.

[2]- المرجع نفسه، ج 04، ص 1600.

[3]- عبد الرّحمن الثّعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ص 35.

[4]- المرجع نفسه ص 42.

[5]- الصّافّات 102.

[6]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 23، ص 149.

كان صعبا على إبراهيم عليه السّلام أن يتّخذ ابنه ذبيحة، يشفّر سكّينه الحادّة، ويريق دمه، كيف لا، وقد أودع الله محبّة الأبناء في رحم الآباء، فجعلها عاطفة أزليّة قويّة، لا يكسرها حاجز... هي عاطفة طبيعية تخلق مع المرء وتدفن معه.

وردت تفسيرات كثيرة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ ﴾[1]، توضّح وضعية الذّبح؛ حيث قيل: ألقاه على وجهه، وقيل أراد أن يذبحه من قفاه، لئلّا نشاهده في حال ذبحه، وقيل بل أضجعه كما تضجع الذّبائح، وبقي طرف جبينه لاصقا بالأرض، وأسلما، أي سمّى إبراهيم وكبّر وتشهّد الولد للموت".[2]

الشّاهد أنّ عاطفتي الشّفقة والحزن بلغتا ذروتهما لدى الأب وهو يهيّئ ابنه للذّبح، كما عاطفة الخوف تأصّلت في قلب الولد وهو يستعدّ لتمرير الشّفرة الحادّة على عنقه ويقضي على حياته... غير أنّهما عاهدا نفسيهما على الاستسلام لأمر ربّهما.

لما تأهّب إبراهيم عليه السّلام لذبح ابنه، يروى أنّه هرب من أبيه عند الجمرة فرماه بسبع حصيّات حتّى أخذه، فبقيت سنّة في الرّمي، وروى أنّه رمى الشّيطان حين تعرّض له بالوسوسة عند ذبح ولده، وروى أنّه لما ذبحه، قال جبريل: الله أكبر الله أكبر، فقال الذّبيح: لا إله إلّا الله والله أكبر، فقال إبراهيم عليه السّلام: "الله أكبر ولله الحمد"[3]، ومن ثمّ أخذ المسلمون هذه الشّعائر عندما يذبحون أضاحيهم، كما أصبحت ظاهرة رمي الجمرات من واجبات الحجّ والعمرة.

تعدّدت الرّوايات في قصّة الذّبح، فيحكى أنّه حين أراد ذبحه قال: يا بنيّ خذ الحبل والمذية وانطلق بنا إلى الشّعب نحتطب، فلمّا توسّط شعب ثبير أخبره بما أمر، فقال له: اشدد رباطي لا أضطرب واكفف عنّي ثيابك، لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمّي فتحزن،

---

[1]- الصّافّات 103.

[2]- إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص 134.

[3]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 43.

واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي، حتّى تجهز عليّ، لأكون أهون فإنّ الموت شديد، واقرأ على أمّي سلامي، وإن رأيت أن تردّ قميصي على أمّي فافعل، فإنّه عسى أن يكون أسهل لها، فقال إبراهيم عليه السّلام: "نعم العون أنت يا بنيّ على أمر الله، ثمّ أقبل يقبّله وقد ربطه، وهما يبكيان".[1]

لم يهن لإبراهيم عليه السّلام أن يفارق فلذة كبده، وقد أكرمه الله به بعد صبر سنين، والأصعب أن يكون هو القاضي على حياته طاعة لمأمور، ونلاحظ أنّ إسماعيل عليه السّلام بالرّغم من صغر سنّه، إلّا أنّه فكّر في حال أمّه بعد موته، فاتّخذ كلّ الأسباب حتّى لا يبقي أثر ذبحه يحيي لديها ذاكرة الحزن والأسى.

والحاصل أنّ مشيئة الله أرادت غير ذبح إسماعيل عليه السّلام، فقد استبدل الله ملامح الخوف والحزن والفراق، إلى أمن وفرحة ولقاء، أن وهبه كبشا اتخذه ذبيحة، بدل ولده، جزاء لصبره وخضوعه لابتلاء ربّه، لقوله تعالى: ﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.[2]

يقول "الزّمخشري" مصوّرا هذا المشهد المفرح: "ثمّ وضع السكّين على حلقه فلم تعمل، لأنّ الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه، فقال له: كبني على وجهي، فإنّك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقّة تحول بينك وبين أمر الله، ففعل، ثمّ وضع السكّين على قفاه فانقلب السكّين، ونودي: يا إبراهيم قد صدّقت الرّؤيا، فنظر فإذا جبريل عليه السّلام معه كبش أقرن أملح، فكبّر جبريل والكبش، وإبراهيم وابنه، وأتى المنحر من منى فذبحه".[3]

[1]- المرجع السّابق، ص 43.

[2]- الصّافّات 105.

[3]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 43.

يصف "سيّد قطب" هذه الحادثة فيقول: "ثمّ كان هذا الطّفل يشبّ ويصبح فتى، حتّى يرى في المنام أنّه يذبحه، فيغلبه الإيمان الدّيني العميق، ويهمّ بإضاعة الإثارة، لولا أن يرفعه له ربّه، فيفديه بذبح عظيم".[1]

وينوّه "عبد الرّحمن بن السّعدي" هذا المشهد العظيم فيقول: "لما تعلّقت شعبه من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد الله أن يصفيّ وده، ويختبر خلّته، فأمره أن يذبح من زاحم حبّه حبّ ربّه، فلمّا قدّم حبّ الله وآثره على هواه وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذّبح لا فائدة فيه"[2]، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾.[3]

لقد تجسّدت أوصاف في الكبش الذي بعثه الله تعالى لإبراهيم فداء ذبح ولده، "فالمشهور عن الجمهور أنّه كبش أبيض أعين أقرن رآه مربوطا بسمرة* في ثبير*"[4]، لذلك يستحبّ أن يضحّي المؤمن بأحسن الأضاحي، تقرّبا إلى الله عزّ وجلّ، واقتداء بسنّة الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السّلام.

11/ ضيف إبراهيم عليه السّلام والبشرى بالولد إسحاق عليه السّلام:

تعدّ قصّة إبراهيم عليه السّلام من القصص العجائبية التي خرقتها المعجزة الإلهية، لكنّ أحداثها مستوحاة من الواقع، لأنّ "القصص القرآني لم يعمد في عرض الأحداث على عنصر الخيال، الذي من شأنه أن يلوّث الأحداث بغير ألوانها، أو أن يبدّل ويغيّر من صورها وأشكالها"[5]، بل ظلّت الواقعية

---

[1]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص 205.

[2]- عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنّان في تفسير القرآن، ص 1477.

[3]- الصّافّات 106.

*- **سمرة**: شجر من العضاه، لا يوجد أجود خشبا منه.

*- **ثبير**: جبل بمكّة.

[4]- إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص 134.

[5]- محمّد أحمد خلف الله، الفنّ القصصي في القرآن الكريم، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ط 02، 1975م، ص 288.

"جوهر الفعل القصصي وإطاره الموضوعي والفنّي، وهو علاقة الاستقطاب والدّفع التي تتحرّك عبرها شخصية أو شخصيات القصّة ضمن شروط السّياق الزّماني والمكاني".[1]

المقصود بضيف إبراهيم عليه السّلام، هي الملائكة التي حلّت على بيته، لتخبره بما أمرها ربّها في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.[2]

حيّت الملائكة إبراهيم عليه السّلام بتحيّة الإسلام، فردّ بأحسن منها، ثمّ أسرع إلى زوجه سارة يأمرها بإعداد الطّعام إكراما لهم، لأنّه عرف بسخائه واحترامه لقدسيّة الضّيف، فقدّم لهم عجلا حنيذا، والحنيذ عند "الطّاهر بن عاشور": "المشويّ، وهو المحنوذ، والشيّ أسرع من الطّبخ، فهو أعون على تعجيل إحضار الطّعام للضّيف"[3]، والعجيب أنّه أبصر أنّ أيديهم لا تصل إليه، فكره واستاء لأنّهم امتنعوا عن الطّعام "وإنّما نكرهم لأنّه حسب أنّ إمساكهم عن الأكل لأجل التبرّؤ من طعامه، وإنّما يكون ذلك في عادة النّاس في ذلك الزّمان إذا كان النّازل بالبيت يضمر شرّا لمضيّفه، لأنّ أكل طعام القرى كالعهد على السّلامة من الأذى، لأنّ الجزاء على الإحسان مركوز في الفطرة، فإذا كفّ أحد عن تناول الإحسان، فذلك لأنّه لا يريد المسالمة، ولا يرضى أن يكون كفورا للإحسان"[4]، ولما سألهم عن سبب إعراضهم عن الأكل مبديا خوفه منهم، ظنّا منهم أنّهم يضمرون له سوءا أو يدبّرون له مكيدة، بشّروه بأنّهم رسل الله وأنّه سيهبه ولدا.

---

[1]- سليمان عشراتي، مقاربة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 03، 1998م، ص 79.

[2]- هود 69... 73.

[3]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 29، ص 117.

[4]- المرجع نفسه، ج 29، ص 117.

تعجّب إبراهيم عليه السّلام لهذا الخبر، لأنّه وزوجه قد بلغا من الكبر عتيّا، وقد تجاوزا مرحلة الإنجاب، فلمّا سمعت سارة عليها السّلام الخبر –وهي تخدم ضيوفها– سرّها الخبر، فضحكت.

يقول "الطّاهر بن عاشور" مفسّرا الآية: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴿٢٩﴾﴾[1]، "وإنّما ضحكت امرأة إبراهيم عليه السّلام من تبشير الملائكة إبراهيم عليه السّلام بغلام، وكان ضحكها ضحك تعجّب واستبعاد، وقد وقع في التّوراة في الإصحاح الثّامن عشر في سفر التّكوين: وقالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: ها هي في الخيمة، فضحكت سارة في باطنها قائلة، أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟! فقال: الربّ: لماذا ضحكت سارة؟ فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك، لأنّها خافت، قال: لا بل ضحكت".[2]

لما رأت الملائكة أنّ تعجّب سارة من الخبر مكتوم بضحكها، طمأنتها أنّ الأمر برحمة من الله وبركته على أهل بيتها، لقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴿٥٦﴾ ﴾.[3]

إنّ الغلام الذي بشّرت به الملائكة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام هو غير ابنه الأوّل إسماعيل عليه السّلام؛ حيث كانت الأولى بشارة استجابة الدّعوة والثّانية بشارة كرامة.[4]

أراد الله عزّ وجلّ أن تقرّ عين إبراهيم بابن ثان، ليشدّ عضده به، وقد تحقّقت أمنيته في الولد، لقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴿٧٢﴾ ﴾.[5]

---

[1]- الذّاريات 29.

[2]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 12، ص 119.

[3]- الحجر 51... 56.

[4]- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 23، ص 149.

[5]- الأنبياء 72.

12/ موقف إبراهيم عليه السّلام من عذاب قوم لوط عليه السّلام:

لما سكت الخوف عن قلب إبراهيم عليه السّلام، أخبرته الملائكة أنّها ذاهبة إلى قوم لوط لتعذّبهم بما فعلوا، "وقد تشكّلت على صورة بشر كما جاءت إليه"[1]، غير أنّه جادلهم في الأمر رأفة بقوم لوط، وخوفا على الفئة التي آمنت به، لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.[2]

قال "عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي" عن سيّدنا إبراهيم عليه السّلام أنّه كان "من أرحم الخلق وأفضلهم وأحلمهم وأجلّهم، فلم يَدْعُ على قومه كما دعا غيره، وممّا يدلّ على ذلك أنّه راجع الملائكة في إهلاك قوم، وجادلهم ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه".[3]

الحاصل أنّ الملائكة رفضت اعتراض إبراهيم عليه السّلام عن عقاب قوم لوط، لأنّهم طغوا في الأرض، وأحدثوا فيها فسادا، وأتوا الفاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين، فكانوا يقطعون الطّريق، ويخونون الرّفيق، ويأتون ناديهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه، حتّى قيل "أنّهم كانوا لا يستحيون من مجالسهم، وربّما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل، ولا يستنكفون ولا يرعوون لوعظ واعظ ولا تصحيحة عاقل، وكانوا في ذلك كالأنعام، بل أضلّ سبيلا، ولم يقلعوا عمّا كانوا عليه في الحاضر، ولا ندموا على ما سلف من الماضي، ولا راموا في المستقبل تحويلا، فأخذهم الله أخذا وبيلا"[4]، لقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[5]، مطمئنّة إبراهيم عليه السّلام أنّ العذاب يستثني المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ

---

[1]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج23، ص 149.

[2]- هود 74... 77.

[3]- عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنّان في تفسير القرآن، ص 1311.

[4]- إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص 115.

[5]- الذّاريات 32... 33.

لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، فأدرك إبراهيم عليه السّلام "أنّ الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله، ولن يدخلوا الجنّة إطلاقا، وأنّ القبول والدّخول أمر مستحيل".[2]

أمّا قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴿٧١﴾ ﴾[3]، فللزّمخشري تأويل آخر عند ضحك سارة؛ حيث يرى أنّه "إنكار لغفلتهم، وقد أظلّهم العذاب، وقيل: كانت تقول لإبراهيم: "اضمم لوطا ابن أخيك إليك فإنّي أعلم أنّه ينزل بهؤلاء القوم عذاب، فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهّمت".[4]

أراد الله عزّ وجلّ من الملائكة أن تنتقم لقوم لوط، جزاء بما كسبوا، ليكونوا عبرة للعالمين، فيصون الشّرف، ويحفظ العرض.

13/ بناء البيت العتيق:

لقد ذكر الله تعالى قصّة إبراهيم عليه السّلام مع البيت الحرام في عدّة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴿٤١﴾ ﴾.[5]

---

[1]- الحجر 58... 59.

[2]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص 38.

[3]- هود 71.

[4]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 304.

[5]- إبراهيم 35... 41.

لقد أوحى الله عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السّلام أن يبني الكعبة، فبدأ هذا المشروع الربّاني بهجرته مع هاجر وابنها إسماعيل بواد عند البيت الحرام لقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.[1]

كان أوّل ما فُرِضَ عليه، تطهير البيت من الأوثان والأنجاس لأهله، حتّى يؤدّون شعائر الله لقوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[2]، وبعدها أمره أن يرفع قواعده بمعيّة ابنه إسماعيل عليه السّلام، لأنّ رفعها شاقّ ويحتاج إلى مساعدة، وسنّ إبراهيم آنذاك لم يسمح له ببذل جهد كبير، إذ "جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية البناء"[3]، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾.[4]

وعند فراغهما، دعوا ربّهما بالقبول والثّناء الحسن؛ حيث يقول "سيّد قطب" في هذا المقام "هنا حركة عجيبة في الانتقال من الخبر إلى الدّعاء، هي التي أحيت المشهد وردّته حاضرا"[5]، فاكتمال العمل وأدائه بأحسن وجه، يبعث البهجة والشّعور بالطّمأنينة، لهذا دعيا ربّهما أن يبارك لهما في عملهما، بعد أن قضيا أيّاما في تطهيره ورفع قواعده، فأيّ عمل مضن ومتقن، إلّا وينتظر صاحبه أن يثمر وينتج، كما أثنى على ربّه أن وهبه على كبره ولدان صالحان طيّعان في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ

[1]- إبراهيم 37.

[2]- الحجّ 26.

[3]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 144.

[4]- البقرة 126... 129.

[5]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص 57.

ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]، فكان جزاء الربّ من جنس عمل عبده، فلمّا ابتلاه الله عزّ وجلّ في شرائع الإسلام، طبّقهن دون تماطل لقوله تعالى: ﴿ ۞وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾.[2]

يقول "الزّمخشري" أنّ الله تعالى "دعا إبراهيم عليه السّلام بكلمات من الدّعاء فعلى المختبر هل يجيبه أم لا؟... وقيل في الكلمات هنّ خمس في الرّأس والفرق وقصّ الشّارب والسّواك والمضمضة والاستنشاق، وخمس في البدن: الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط، وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهما، عشر في براءة ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ﴾[3]، وعشر في الأحزاب ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾[4]، وعشر في المؤمنون ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ

---

[1]- إبراهيم 39.

[2]- البقرة 124... 126.

[3]- التّوبة 112.

[4]- الأحزاب 35.

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴿٣٤﴾ ﴾.[1]

اختلفت التّأويلات في تفسير الكلمات التي أمرهنّ الله لعبده؛ حيث يقول "الزّمخشري" أيضا أنّها "مناسك الحجّ كالطّواف والسّعي والرّمي والإحرام والتّعريف... وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشّمس والختان وذبح ابنه والنّار".[2]

لقد كان لإبراهيم عليه السّلام شرف رفع الكعبة وعمارتها وهدم الشّرك، فقد دعا ربّه أن يجعل هذا البلد آمنا في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[3]، واعتبره "مقصد النّاس بالتّعظيم"[4]، لقوله أيضا: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[5]، أي أودع الله تعالى الأمن للبلد منذ الجاهلية، إلى يومنا هذا، فما من مؤمن تطأ قدمه في بيت الله الحرام، إلّا ويشعر بالطّمأنينة والأمان، وتلك كانت دعوى إبراهيم عليه السّلام منذ سنين خلت، ثمّ أمر عباده أن يتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى، وهو "الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السّلام؛ حيث بنائه ليرتفع لوضع الحجارة في أعلى الجدار، وقد ثبتت آثار قدميه في الحجر، وهذا الحجر يعرف إلى اليوم بالمقام، وقد ركع النّبي ﷺ في موضعه ركعتين بعد طواف القدوم، فكان الرّكوع عنده سنّة الفراغ من الطّواف"[6]، أمّا المصلّى فهو موضع الصّلاة، وصلاتهم يومئذ الدّعاء والخضوع إلى الله تعالى، وكان إبراهيم عليه السّلام قد وضع المسجد الحرام حول الكعبة، ووضع الحجر الذي كان يرتفع عليه البناء حولها، فكان المصلّى على الحجر المسمّى بالمقام، فذلك يكون المصلّى متّخذا من مقام إبراهيم".[7]

---

[1]- المعارج 01... 34.

[2]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 144.

[3]- البقرة 124.

[4]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 01، ص 708.

[5]- البقرة 125.

[6]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 01، ص 710.

[7]- المرجع نفسه، ج 01، ص 711.

يروي "الزّمخشري" "عن عطاء مقام إبراهيم: عرفة والمزدلفة والجمار، لأنّه قام في هذه المواضع، ودعا فيها، وعن النّخعيّ: الحرم كلّه مقام إبراهيم".[1]

إنّ بيت الله الحرام مكان مبارك ببركة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، خيره على أهله نازل، ونورهم عليهم ساطع، من دخله كان آمنا، واستغنى بخيراته، ومن غادره يشتاق للعودة إليه، إذ نلمح ذلك الحنين عند الحجّاج والمعتمرين الوافدين إليه، فما إن يرجعون إلى ديارهم إلّا وينتابهم شوق للعودة إليه، وهذا أثر دعوة إبراهيم عليه السّلام، لقوله تعالى: ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.[2]

لقد جعل الله تعالى البيت الحرام متعبّد النّاس في الأرض، وهو نفسه المكان الذي أفاض خيرا على زوجة إبراهيم وابنهما، لما حلّ عليهما الجفاف والقحط، ولا يزال يفيض بشوقه وخيراته على زوّاره لقوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿ أَوَ لَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا ﴾.[4]

14/ الآذان بالحجّ:

عندما أتمّ إبراهيم عليه السّلام وابنه بناء الكعبة، أمره ربّه أن يؤذن بالنّاس للحجّ، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ

[1]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 145.

[2]- إبراهيم 37.

[3]- العنكبوت 67.

[4]- القصص 57.

فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾[1].

بعد أن طَهُرت الكعبة من النّجاسة وأدران الشّرك، أصبحت مهيّأة للعبادة، فأمر الله تعالى من إبراهيم عليه السّلام، أن يلقّنهم مناسك الحجّ من نحر أضحية، وإطعام الفقير، وما يحلّ لهم بعد الإحرام من حلق وتقصير وتقليم للأظافر واستحمام وطواف بعد تمام الحج، وبيّن لهم أنّه سيتوافد على الكعبة عدد كبير من الحجّاج، راجلين وركّابا، ليستفيدوا من منافعه، ولا تزال هذه الظّاهرة قائمة إلى يومنا هذا.

يقول "سيّد قطب" معقّبا، بأنّ الله تعالى: "يستطرد إلى بعض شعائر الحجّ وما وراءها من استجاشة القلوب للتّقوى وذكر الله والاتّصال به، وينتهي إلى ضرورة حماية المسجد الحرام من عدوان المعتدين، الذين يصدّون عنه ويغيّرون الأساس الذي قام عليه، ويوعد الله للمدافعين بالنّصر متى نهضوا بالتّكاليف التي تفرضها حماية العقيدة"[2] لقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾.[3]

لقد حافظت الكعبة على هيبتها مذ عهد إبراهيم عليه السّلام، الذي طهّرها وبناها وحصّنها من أيادي المشركين وأرسى مناسكها، ولا تزال محفوظة إلى يوم الدّين، لا يمسّها سوء ولا نصب، وهي مستهلّ كافّة النّاس في العبادة، إليها يلجؤون لتأدية فريضة الحجّ وسنّة العمرة، وفي أرضها تستجاب الدّعوات، وتسرّ الأنفس، وتكسب الأرزاق.

[1]- الحجّ 26... 29.

[2]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 17، ص 2417.

[3]- البقرة 137.

15/ الجزاء الإلهي:

لقد نالت رسالة إبراهيم عليه السّلام قسطا وافرا من التّبليغ، استقطبت فئة مؤمنة أصابت فيضا من إصلاح على عقول فَحُلَتْ من الجهل، وأخرى كافرة ظلّت تصارع العصيان متشبّثة بمبادئ هشّة، لا تسمن ولا تغني من جوع... أمّا عن إبراهيم عليه السّلام فقد لاذ بالفوز العظيم ك:

أ: الظّفر بالذريّة الصّالحة

أكبر غنيمة حصدها بعد طول البلاء، أنّ الله وهبه من صلبه ابنين صالحين، صارا خليفته في الأرض، وهي أكبر نعمة يتمنّاها المرء في حياته؛ حيث بشّره الله تعالى في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾[2]، وقوله كذلك: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ ﴾.[3]

من كرم الله على عبده أنّه أطال في عمره حتّى رأى حفيده يعقوب عليه السّلام من ابنه إسحاق، يقول "الطّاهر بن عاشور": "وهبه إسحاق له ازدياده له على الكبر، وبعد أن يئست زوجه سارة من الولادة... وهبه يعقوب ازدياده لإسحاق بن إبراهيم في حياة إبراهيم ورؤيته كهلا صالحا"[4]، وقد أثنى إبراهيم عليه السّلام ربّه عن وهبه الذّكرين فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾.[5]

---

[1]- الأنبياء 72.

[2]- العنكبوت 27.

[3]- الأنعام 84.

[4]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 17، ص 108.

[5]- إبراهيم 40/39.

ب: نيل الدّرجات العلى:

لقد رفع الله تعالى شأن إبراهيم عليه السّلام، ومنحه شرف المنزلة أن جعله خليله وهذا "مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله"[1]، فقال عنه عزّ وجلّ: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾.[2]

لما طبّق إبراهيم عليه السّلام منهاج ربّه، وسار على الطّريق القويم، وقام بجميع ما أمره دون قيد أو شرط، منحه الخلّة، كما أعطى الكلام لموسى عليه السّلام، والرّوح لعيسى عليه السّلام، والاصطفاء لآدم عليه السّلام، والشّفاعة لمحمّد ﷺ، فقال فيه ربّه عزّ وجلّ: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ ﴾.[3]

وسبب تسمية الله للخليل، أنّ "إبراهيم عليه السّلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت النّاس يمتار منه، فقال خليله: لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت، ولكنّه يريدها للأضياف، فاجتاز غلمانه بيطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من النّاس، فلمّا أخبروا إبراهيم عليه السّلام ساءه الخبر، فحملته عيناه وحمدت امراته إلى غرارة منها، فأخرجت أحسن حوّارى، واختبزت واستنبه إبراهيم عليه السّلام فاشتمّ رائحة الخبز، فقال: من أين لكم؟ فقالت امرأته: من خليلك المصري، فقال: بل من عند خليلي الله عزّ وجلّ: فسمّاه الله خليلا".[4]

كما جعل منه أمّة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ ﴾[5]، وللفظ الأمّة تفسيران: "أحدهما أنّه كان وحده أمّة من الأمم، لكماله في جميع صفات الخير، وعن "مجاهد": كان مؤمنا وحده والنّاس كلّهم كفّار، والثّاني: أن يكون أمّة، بمعنى مأموم، أي: يأمه النّاس

[1]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 440.

[2]- النّساء 125.

[3]- النّجم 37.

[4]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 440.

[5]- النّحل 120.

ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى مؤتم به كالرّحلة والنّخبة"[1]، والرّاجح أنّ إبراهيم عليه السّلام حقّق بمفرده ما تحقّقه أمّة بأكملها، فهو مثال للكمال، أمّا "الحنيف": هو المائل عن ملّة الإسلام غير الزّائل عنه، ونفى عنه الشّرك تكذيبا لكفّار قريش في زعمهم أنّهم على ملّة أبيهم إبراهيم".[2]

وجعله إماما على العالمين، يهتدي به النّاس، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴿٧٣﴾﴾.[3]

لقد رفع الله مقام إبراهيم عليه السّلام، لما منحه الحجج الدّامغة لهداية قومه، فقال: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴿٨٣﴾﴾.[4]

ج: شمولية رسالته

نالت رسالة إبراهيم عليه السّلام توسّعا في الدّعوة، فكانت خير سلف لخير خلف؛ لقوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾﴾.[5]

لقد أكمل إبراهيم عليه السّلام رسالة نوح، ثمّ بعث الله من بعدهما رسلا باشروا في الدّعوة، وأتمّوها على قوم خلفوا من بعد.

تكمن عالمية دعوة إبراهيم عليه السّلام في التّعاليم التي فرضها على النّاس، التي شهدت على تمام دينه بعد وفاته لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ

[1]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 02، ص 1007.

[2]- المرجع نفسه، ج 02، ص 1007.

[3]- الأنبياء 73.

[4]- الأنعام 83.

[5]- الأنعام 84.

أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾.[1]

وقد أوصى الله تعالى مُحَمَّدا ﷺ أن يتّبع دعوة إبراهيم عليه السّلام، فقال: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2]، والملّة عند "الطّاهر بن عاشور" تعني "الدّين والشّريعة".[3]

د: القدوة الحسنة:

لقد خصّ الله تعالى إبراهيم عليه السّلام بالنّبوّة، لأنّه سما بأخلاقه، فصبر على عناد قومه وأذاهم، وثبت عند الابتلاء بالولد والوالد، وكان شاكرا لنعم الله، لقوله تعالى: ﴿ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ ﴾.[4]

ذكر "الزّمخشري" معنى" الاجتباء" أنّه "اختصّه واصطفاه للنّبوّة ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، أي إلى ملّة الإسلام"[5]، ويروى سبب شكره لأنعم الله: "أنّه كان لا يتغدّى إلّا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفا، فأخّر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطّعام، فخيّلوا له أنّ بهم جذاما؟ فقال: الآن وجبت مواكلتكم، شكرا لله على أنّه عافاني وابتلاكم".[6]

---

[1]- الحجّ 78/77.

[2]- النّحل 123.

[3]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 14، ص 350.

[4]- النّحل 121.

[5]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 02، ص 1008.

[6]- المرجع نفسه، ج 02، ص 1008.

إبراهيم عليه السّلام نموذج للتّضحية والإخلاص والاستقامة، فحريّ على النّاس أن يقتدوا بهداه، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾.[2]

هـ: الانتصار في الدّنيا والآخرة

لقد بشّر الله تعالى عبده بالفوز في الدّارين، جزاء بما كسب، لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.[3]

يرجّح "الزّمخشري" أنّ الحسنة في الدّنيا تعني "الأموال والأولاد"[4]، أمّا "الطّاهر بن عاشور" يرى "كلّ ما فيه راحة العيش من اطمئنان القلب بالدّين والصحّة والسّلامة وطول العمر وسعة الرّزق الكافي وحسن الذّكر بين النّاس"[5]، وهو نفسه الجزاء الذي ظفر به إبراهيم في دنياه وأتبعه في الآخرة، كما أكّده القرآن في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.[6]

أراد الله عزّ وجلّ "أن يكشف عن حال أولئك الذين يهيّئ لهم المعرفة، فيفرّون منها، كأن لم تهيّأ لهم أبدا، ثمّ يعيشون بعد ذلك هابطين، تطاردهم أنفسهم وأهواؤهم بما عملوا وبما جهلوا، فلا هم استراحوا بالغفلة، ولا هم استراحوا بالمعرفة".[7]

---

[1]- النّساء 125.

[2]- الممتحنة، 04.

[3]- النّحل 122.

[4]- محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، ج 2، ص 1008.

[5]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 14، ص 317.

[6]- العنكبوت 27.

[7]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص 44.

أمّا إبراهيم عليه السّلام فقد أدّى الأمانة التي وكّل بها على أكمل وجه، وصبر أمام كلّ المحن التي اعترضته في دعوته، فغنم منحة عظيمة هي رضا الربّ، وسعادة القلب، كما اشتملت قصّة إبراهيم عليه السّلام على مكوّنات سرديّة، حرّكت أحداثها، تمثّلت في:

ثانيا: الشّخصيات

لقد اهتمّت الرّواية التّقليدية بالشّخصية، لكن مع ظهور الرّواية الجديدة، انسلخت عن قواعدها "رافضة للتّاريخ، منكرة لوجود الشّخصية على أنّها تمثّل صورة من صور الحياة الاجتماعية، فنادوا بأنّ لا شيء يوجد خارج اللّغة، وأنّ الشّخصية ليست مجرّد عنصر من عناصر المشكلات السّردية الأخرى، ولا ينبغي لها أن تتبوّأ تلك المنزلة الرّفيعة التي كانت تتبوّؤها"[1]، بينما عُني الخطاب القرآني بها؛ حيث "جعلها تدخل في صميم الفكرة العامّة، ومن ثمّ حدّد أوصافها التي تمارسها دورا في بنية القصّة، وأدخلها على التّدفّق الرّوائي كمفصل متحرّك من مفاصل الحركة العامّة لنموّ الفكرة".[2]

تنوّعت الشّخصيات في قصّة إبراهيم عليه السّلام واختلفت أدوارها باختلاف المشاهد؛ حيث اتّسمت كلّ شخصية بأوصاف معيّنة حرّكت الحدث، وأضافت عليه لمسة خلقت تصوّرات في ذهن المتلقّي، ومن بين الشّخصيات المذكورة في القرآن الكريم:

1/ الله عزّ و جلّ:

رافقت إبراهيم عليه السّلام قوّة عليا خفيّة، منحته قدرة خارقة على مواجهة قومه الضالّين، مدّته بمعجزات أخرست جبروتهم، وأيّدته بالعون والتّفريج، كما حصل في حادثتي الإحراق وذبح ابنه.

[1]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1997م، ص 92.

[2]- خالد أبو الجندي، الجانب الفنّي في القصّة القرآنية منهجها وأسس بنائها، دار الشّهاب للطّباعة والنّشر، الجزائر، د ط، د ت، ص 148.

يعجز المرء أن يصف الله عزّ وجلّ، لقد جلّت قدرته وعلت عظمته على الخلق، له الأسماء الحسنى والصّفات العلى، حُقّ تنزيهه وتقديسه عن النّقائص، ووصف بصفات الكمال[1]، لقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾.[2]

يستبعد تقدير حجم عظمة الله عزّ وجلّ أو مقارنتها بمخلوق، لأنّه مالك السّماوات والأرض، خالق الملائكة والإنس والجنّ، بيده الحياة والموت، وقد وردت آيات كثيرة تدلّ على قدرته في الكون منها، قوله عزّ وجلّ على لسان إبراهيم عليه السّلام، عندما يدعو ربّه متضرّعا: ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾[4]، وقوله كذلك: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾[5]، وقوله: ﴿ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ ﴾[6]، وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ﴾.[7]

إنّ عظمة الله تظهر من خلال قدرته على تغيير مصائر النّاس، وتبديل أحوال العباد من القبيح إلى الحسن أو العكس، كما حدث مع إبراهيم عليه السّلام، لما أغاثه من النّار من غير حول منه ولا قوّة في قوله تعالى: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾.[8]

---

[1]- علوي بن عبد القادر السقّاف، صفات الله عزّ وجلّ الواردة في الكتاب والسنّة، دار الهجرة للنّشر والتّوزيع، المملكة العربية السّعودية، ط 03، 1426هـ/2005م، ص 40.

[2]- الشورى 11.

[3]- الشعراء 82/77.

[4]- الأنعام 80.

[5]- البقرة 137.

[6]- البقرة 140.

[7]- الممتحنة 06.

[8]- الأنبياء 69.

الفرار من قدر الله إلى قدر الله لا يستطعيه إلّا الله عزّ وجلّ، يقول "مصطفى حلمي" "إنّ الإقرار الفطري بوجود الله يظهر كأوضح ما يكون عند الفزع إليه من الشّدائد، فهو من قبيل المعارف التي تحصل في النّفس بالأسباب الاضطرارية، وهي أثبت وأرسخ من المعارف التي ينتجها مجرّد النّظر القياسي".[1]

عظمة الله عزّ وجلّ وقدرته على تحريك الكون، كان لها أثرها البالغ على إلهام إبراهيم عليه السّلام الصّبر والثّبات عند البلاء، ونصرته على الضّلال.

2/ إبراهيم عليه السّلام:

يمثّل إبراهيم عليه السّلام الشّخصية الرّئيسية في القصّة، فهو العنصر الذي يثير التّشويق، ويخلق عاطفة قويّة لدى القارئ؛ حيث يشتدّ الصّراع بين خصومه، ويبلغ الابتلاء ذروته لينتهي بالنّصر المبارك، "فالشّخصية الرّئيسية هي التي تقوم بالفعل وتدفعه إلى الأمام، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشّخصية".[2]

وتتجلّى لديه ملامح الاتّزان والحياء عند دعوته لأبيه "ولعلّ ممّا يلفت النّظر، أنّه لا يترك مدخلا من المداخل يمكن أن يتلطّف من خلالها حتّى يزحزح أباه عمّا هو فيه من شرك"[3]، لقوله تعالى: ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٤﴾.[4]

لقد اصطفى الله نبيّه بصفات الكمال، فأصبح كبير زمانه، بانت فيه معالم الرّجولة منذ صغره، لذلك قال فيه "سيّد قطب" "ولو أنّه أصغر من أبيه سنّا وأقلّ تجربة، لكن المدد العلوي جعله يفقه

---

[1]- مصطفى حلمي، معرفة الله عزّ وجلّ وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1424هـ /2004م، ص 41، نقلا عن ابن تيمية، مجموعة الرّسائل الكبرى، ج 02، ص 81.

[2]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي، ص 68.

[3]- فضل حسن عبّاس، قصص القرآن الكريم، دار النّفائس، الأردن، ط 03، 2010م، ص 325.

[4]- الصّافّات 84/83.

ويعرف الحقّ، فهو ينصح أباه الذي لم يتلقّ هذا العلم"[1]، ناهيك عن رشد إبراهيم عليه السّلام وصفاء قلبه من الأمراض النّفسية، إلّا أنّ القرآن عدّد له أوصافا أخرى كالحلم والطّاعة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ۝٧٥﴾[2]، كما خلّص لسانه من الكذب عندما دعا ربّه: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ۝٨٤﴾[3]، فذكر صدق نبوّته في القرآن: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا۝٤١﴾[4]، وأثنى عليه لما استسلم لربّه وأذعن إليه فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝١٣١﴾[5]، كما برّأه ربّه من الشّرك لما اتّهمه قومه بذلك، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ۝٦٧﴾.[6]

كوّن إبراهيم عليه السّلام شخصية محورية في القصّة، فإنّ ملامح القدرة على مواجهة الصّعاب وتخطّي العقبات بالحكمة والرّأي السّديد، تبدو واضحة في كلّ المشاهد، خصوصا عندما تبرّأ من والده العاصي، وهجر قومه العصاة، كما اتّسم بروح التّحدّي والثّبات عند المواقف الانفعالية، ويتّضح ذلك عندما ابتلاه ربّه بذبح ابنه، وتميّز بحسن التّخطيط ودقّة التّدبير، حين أبعد زوجه هاجر من سارة عليهما السّلام، لما اشتّدت غيرتها لحظة إكرامها بالولد، ففعل ذلك تجاوزا لتوقّع أسوأ.

"إنّ إبراهيم عليه السّلام هو أفضل الأنبياء بعد مُحَمَّد ﷺ، هو الأب الثّالث للطّوائف الفاضلة، وهو الذي جعل في ذريته النّبوّة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر عمّا ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد".[7]

---

[1]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 01، ص 2311.

[2]- هود 75.

[3]- الشّعراء 84.

[4]- مريم 41.

[5]- البقرة 131.

[6]- آل عمران 67.

[7]- عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنّان في تفسير القرآن الكريم، المجلّد 01، ص 1000.

ينوّه عن شخصيته عليه السّلام "سيّد قطب" عندما حاول أن يقنع أباه وقومه التّخلّي عن عبادة الكواكب، أنّه "نموذج الهدوء والتّسامح والحلم، فها هو ذا في صباه يخلو إلى تأمّلاته، فيحثّ عن إلهه، فلمّا جنّ عليه اللّيل رأى كوكبا، وما كان يصل إلى هذا اليقين حتّى يحاول في برّ وودّ أن يهدي إليه أباه في أحبّ لفظ وأحياه".[1]

لقد نزّه الله تعالى أنبياءه من صفات النّقص، وألهمهم مكارم الأخلاق، ومنحهم نفسا طويلا ليستمرّوا في دعواتهم، وأيّدهم بمعجزات ليخالفوا البشر، فكان إبراهيم عليه السّلام واحدا ممّن أكرمهم برسالته واصطفاهم على خلقه.

3/ ضيف إبراهيم عليه السّلام:

ما نلاحظه في النصّ الرّوائي أنّ الشّخصية الثّانوية لا تقلّ تفاعلا عن الشّخصية الرّئيسية، فقد تؤدّي دور البطولة كعنصر مساعد ومكمّل لها، "فهي الشّخصية المساندة التي تعطي للعمل الرّوائي حيويته ونكهته وقدرته على إبلاغ رسالته".[2]

هي أدوار تظهر وتختفي في سيرورة الحدث "قد تكون صديق الشّخصية الرّئيسية أو إحدى الشّخصيات التي تظهر في المشهد بين الحين والآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له".[3]

الشّخصيات في النصّ الرّوائي غالبا ما تكون حاضرة جسدا وروحا، فهي مرئية تشاهد عيانا،، إذ يرى "النّقد الحديث أنّه على القاصّ أن يعرض علينا أشخاصا عاملين نراهم بقوّة ونفهم أخلاقهم،

[1]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص 203.

[2]- حمّودي باسم عبد الحميد، مدخل إلى الشّخصية الثّانوية في الرّواية العراقية، الأقلام، العدد 06، 1988م، ص 42.

[3]- صبيحة عودة زعرب، جماليات السّرد في الخطاب الرّوائي، دار مجدلاوى، عمّان، ط 01، 2006م، ص 132.

ونسايرهم بشعور سارّ إلى آخر القصّة، ومعنى ذلك أنّ أسلوب القصّة يكون أجود كلّما تجلّت شخصياتها متمايزة، وتوالت حوادثها وفصولها في أعمال أبطالها وحوارهم".[1]

أمّا النصّ القرآني قد يغيّب ظهور بعض الشّخصيات كشخصية الله عزّ وجلّ التي تظهر من خلال قدرتها على تصريف الكون، وشخصية الملائكة التي مثّلت دورا ثانويّا في قصّة إبراهيم عليه السّلام، وقد ظهرت مرّة واحدة عندما ضافته، متشخّصة صورة إنسان لقابليتها على التّشكّل.

يعرّف "عمر سليمان الأشقر" الملائكة بأنّها "عالم غير عالم الإنس وعالم الجنّ، وهو عالم كريم، كلّه طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء يعبدون الله حقّ العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبدا".[2]

تختلف طبيعة الملائكة عن الإنسان بحكم خلقيتها، ففي صحيح مسلم عن عائشة ﵂ أنّ الرّسول ﷺ، قال: "خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارِجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدَمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ".[3]

الملائكة مخلوقات نورانية، انسلخت عن الآدميّة من أكل وشراب ونوم ونكاح، قريبة إلى خالقها، تطيعه في كلّ أوامره، وهي قابلة للتّشكّل إلى صفة البشر، ويُروى أنّه "لم ير الملائكة في صورهم الحقيقية من هذه الأمة إلّا الرّسول ﷺ، فإنّه رأى جبريل مرّتين في صورته التي خلقه الله عليها، وقد دلّت النّصوص على أنّ البشر يستطيعون رؤية الملائكة، إذا تمثّل الملائكة في صورة بشر".[4]

---

[1]- ناصر جابر شبانة، أنماط السّرد في تراثنا العربي، مجلّة جامعة النّجاح للأبحاث، المجلّد 21، 2007، ص 02.

[2]- عمر سليمان عبد الله الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، دار النّفائس للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط 07، 1415هـ/1995م، ص 11.

[3]- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القيشري النّيسابوري (ت 261 هـ)، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، كتاب الزّهد والرّقائق، باب في أحاديث متفرّقة، رقم: 2996، ج 04، ص 2294.

[4]- المرجع السّابق، ص 11.

وما يدلّ على أنّ الملائكة بإمكانها أن تتمثّل على صورة إنسان، ما رواه مسلم في صحيحه والتّرمذي في سننه عن جابر ﷺ قال: "عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِياءُ، فإذا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجالِ، كَأنَّهُ مِن رِجالِ شَنُوءَةَ، ورَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السَّلامُ، فإذا أقْرَبُ مَن رَأَيْتُ به شَبَهًا عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ، ورَأَيْتُ إبْراهِيمَ صَلَواتُ اللهِ عليه، فإذا أقْرَبُ مَن رَأَيْتُ به شَبَهًا صاحِبُكُمْ، يَعْنِي نَفْسَهُ، ورَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ، فإذا أقْرَبُ مَن رَأَيْتُ به شَبَهًا دَحْيَةُ. وفي رِوايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: دَحْيَةُ بنُ خَلِيفَةَ".[1]

شاء الله تعالى أن يجعل الملائكة قبسا من نوره لقوله تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾[2]، ويتجلّى ذلك في طبيعتها الخلقية المستمدّة من روحانيات السّماء.

اختلف المفسّرون في عدد الملائكة التي حلّت ضيفا على إبراهيم عليه السّلام، ففي سفر التّكوين من التّوراة، إنّهم كانوا ثلاثة وعن "ابن عبّاس": "أنّهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعن "عطاء" جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر، ولعلّ سبب إرسال ثلاثة ليقع تشكّلهم في شكل الرّجال لما تعارفه النّاس في أسفارهم أن لا يقلّ ركب المسافرين عن ثلاثة رفاق".[3]

ومن صفات ضيف إبراهيم عليه السّلام أنّهم مكرّمون لقوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]، ولقد ذكر "الشحّات مُحَمَّد أبو ستيت" أنّ المكرمون "وصف لهم، وقد وصفوا بذلك لكرامتهم عند الله تعالى، وهذا لا يمنع من إكرام إبراهيم عليه السّلام لهم وفي وصفهم لاسم المفعول إثارة إلى ثبوت هذه الصّفة ورسوخها فيهم".[5]

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء بالرّسول الله ﷺ إلى السّماوات وفرض الصّلوات، رقم 167، ج 01، ص 153.

[2]- النّور 35.

[3]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 26، ص 357.

[4]- الذّاريات 24.

[5]- الشحّات مُحَمَّد أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني في قصّة إبراهيم عليه السّلام، مطبعة الأمانة، ط 01، 1412هـ/1991م، ص 306-307.

يتفّق "الطّاهر بن عاشور" مع هذا التّفسير، فيقول: "المقصود إنّ الله أكرمهم برفع الدّرجة، لأنّ الملائكة مقرّبون عند الله تعالى"[1]، كما ورد في كثير من الآيات كقوله عزّ وجلّ: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴿٢٦﴾﴾[2]، وقوله: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴿١١﴾ ﴾.[3]

ويُروى أنّه عندما قرّب إبراهيم عليه السّلام لضيوفه الطّعام وسألهم: "ألا تأكلون؟ قالوا له: لا نأكل حتّى ندفع ثمن الطّعام، فردّ من فوره أنّ ثمن هذا الطّعام أن تبدؤوه "ببسم الله" وتنهوه "بالحمد لله"، فيسمّى بـ "أبو اليقظان"[4]، فأدركت الملائكة السرّ الذي جعله الله خليله.

مثّلت الملائكة دورا ثانويّا في القصّة، يكمن في الضّيافة والإخبار، وردت فيها الأحداث وجيزة بطيئة الحركة، يغلب عليها التّنفيذ، لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴿٣١﴾ ﴾.[5]

4/ أب إبراهيم عليه السّلام:

اختلفت الرّوايات في الاسم الحقيقي لأب إبراهيم، فيذكر في الأثر أنّ "آزر" اسم صنم كان والد إبراهيم عليه السّلام يعبده ويؤازره ويلجأ إليه، وكان والده "تارخ" يبلغ من العمر خمسا وسبعين سنة؛ حيث وُلد له إبراهيم وناحور وهاران، وولد لهاران ابنه لوط النّبي".[6]

تبدو شخصية "آزر" صلبة في قراراتها، صامدة في مواقفها، متمسّكة بعبادة الأوثان، يصعب للدّاعية الولوج إلى قلبها، والتّأثير على مبادئها ولو كان أقرب النّاس، والدّليل على ذلك هو محاولة إبراهيم عليه السّلام التّقرّب من أبيه، والاستحواذ على مشاعره بأساليب ليّنة، لكنّ تلكم المحاولة

---

[1]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 26، ص 357.

[2]- الأنبياء 26.

[3]- الانفطار 11.

[4]- غزوان عبد السّلام الصّنيب، أحسن القصص، مؤسّسة زاد للنّشر والتّوزيع، ط 01، 1433هـ/2012م، ص 56.

[5]- العنكبوت 31.

[6]- المرجع السّابق، ص 58.

باءت بالفشل، بل لم تزد أبيه إلّا نفورا واستطرادا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾.[1]

يُصنّف أب إبراهيم عليه السّلام من الشّخصيات السّلبية "التي تطغى على تصرّفاتها وسلوكها عنصر الشرّ والتّخاذل والأعمال السّلبية والضارّة بأفراد المجتمع"[2]، ويظهر ذلك جليّا عندما أراه الحجج السّاطعة الدالّة على وحدانية الله، وإبطال عبادة الكواكب، غير أنّه ولّى معترضا دعوته، متمسّكا بعبادته.

5/ النّمرود:

يغفل القرآن ذكر اسم العلم "النّمرود" وهو من وضع المفسّرين "احتقارا له لأنّه ادّعى الألوهية"[3]، وهو من الشّخصيات السّلبية التي طغت في الأرض، وشهرت بكبريائها على النّاس.

تظهر هذه الشّخصية في مشهدين، أوّلهما: عند محاكمته له في هدم الأصنام، والأمر بحرقه، وثانيهما: عند ادّعائه بالرّبوبية ومناظرة إبراهيم عليه السّلام له، وفي كلا المشهدين يبدأ منتصرا ويغدو منهزما، لقوله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]، ليتبيّن له في الأخير أنّ سلطته ونفوذه لا يضمنان له النّصر، ولا يغنيان له من الحكم والجبرورة شيئا.

6/ قوم إبراهيم عليه السّلام:

من الشّخوص السّلبية الذين عتوا في الأرض، فعبدوا الأصنام والكواكب، ورفضوا دين التّوحيد، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.[5]

شخصيات قوم إبراهيم عليه السّلام تشبه أبيه، لأنّ عقيدتهم واحدة، وهدفهم مشترك وهو الإصرار على الشّرك، وأبرز ما يلاحظ في التّصوير القرآني للشّخصية بصفة عامّة: "أمانة النّقل في

---

[1]- البقرة 171.

[2]- محمّد هلال أبو جاموس، بناء الشّخصية في القصّة القصيرة في الأردن (نماذج مختارة من كتابات الألفية الجديدة)، مجلّة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، الأردن، العدد 45، 2018م، ص 195.

[3]- منصور عبد الحكيم، الملك النّمرود أوّل جبابرة الأرض، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، د ط، 2016م، ص 07.

[4]- البقرة 258.

[5]- الأنبياء 54.

حكاية أقوالها، ودقّة التّعبير عن مشاعرها، وصدق التّرجمة الباطنية عن خواطرها"[1]، فقوم إبراهيم عليه السّلام غلب عليهم طابع العناد والمجادلة الفارغة، التي تفتقد إلى أساليب الإقناع وتبعد عن المنطق، فانطبقت عليهم الآية ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[2].

لقد ندّد القرآن الكريم "بتصامم أقوام الأنبياء، وتعطيل عقولهم وذواتهم عن التّدبّر فيما جاء به أنبياؤهم بتقليد آبائهم، واقتدائهم بهم في المعتقدات، فرسم لجهودهم صورة زريّة، لا تليق بإنسان له شخصية تنبثق خصائصها من أعماق ذاته، فيتحدّى بها كلّ عائق، وكلّ ضغط خارجي"[3]، لأنّ بصائرهم طمست عن رؤية الحقّ، وتعلّقت قلوبهم بديانة الأجداد، دون أن يصرفوا النّظر إلى قيمة المعبود، ويدركوا ما يجلب لهم ولنفسه من منافع أو مضار.

7/ سارة عليها السّلام:

وردت الشّخصية النّسائية في القرآن الكريم في عدّة مواضع، "وقد أخذت المرأة مكانها في القصص القرآني، كإنسان لها شخصيتها التي تعبّر عنها بالقبول والرّفض، والفكر المستقلّ، والإرادة المتحرّرة، وكامرأة لها خصائص أنوثتها".[4]

تختلف شخصية سارة عليها السّلام عن باقي النّساء اللّواتي ذكرت في قصّة إبراهيم عليه السّلام فهي "رغم تعدّد مواقفها وتنوّعها في مواطن متفرّقة من القرآن، لا يتناسق جمعها في موضع أو سورة، لانعدام الوحدة الموضوعية بينها، لكنّنا نجد في تلك الشّخصية من توافق العناصر، وائتلاف الصّفات وتفاعل السّمات المزاجية والخلقية على الخصوص، ما يلقى الأضواء على جوانبها النّفسية"[5]، فمزاج سارة عليها السّلام عندما تزوّجها بسيّدنا إبراهيم عليه السّلام، يختلف لما علمت بحمل شريكتها هاجر عليها السّلام، لكنّها لا تعدو أن تكون امرأة مؤمنة وهبت نفسها لطاعة الله ونبيّه.

---

[1]- التّوهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1971م، ص 363.

[2]- البقرة 140.

[3]- المرجع السّابق، ص 391.

[4]- المرجع نفسه، ص 403.

[5]- المرجع نفسه، ص 363.

لم يصرّح القرآن الكريم باسم "سارة"، بل ذكرها بلفظ "امرأة" مسندة إلى ضمير الغائب الذي يعود إلى إبراهيم عليه السّلام، في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ ﴾[1]، وقوله في آية أخرى: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ ﴾[2]، هذه الشّخصية الجاهزة أو المكتملة التي تظهر في القصّة من دون أن يحدث في تكوينها أيّ تغيير، وإنّما يحدث التّغيير في علاقاتها في الشّخصيات الأخرى، وأمّا تصرّفاتها فلها دائما طابع واحد، فهي تفتقد أزمة صراع داخلي.[3]

الشّاهد أنّ مواطن الصّراع لم تذكر في قصّة إبراهيم عليه السّلام، بل ذكرته كتب التّفاسير، فلم يرد إلّا مشهد واحد، وهو تبشير الملائكة لها بالولد إسحاق عليه السّلام، وسرورها بهذا الخبر، وهو دلالة على الرّضا بالبشرى الطيّبة.

8/ لوط عليه السّلام:

يعتبر لوط عليه السّلام من الشّخصيات المتكرّرة في النصّ القرآني، وهو من الشّخصيات الاستذكارية التي "تقوم بوظيفة تنظيمية لاحمة، فهي تعدّ علامات مقوية لذاكرة القارئ، وغالبا ما تظهر هذه الشّخصيات في الحلم، أو مشاهد الاعتراف والبوح؛ حيث تنشأ شبكة من الاستدعاءات والتّذكيرات والاسترجاعات".[4]

ثبتت صفتي الجهاد والصّمود في شخصية لوط عليه السّلام، فقد حاول التّستّر عن طبائعهم السيّئة، رغم أنّهم كانوا قوما شاذّين، يأتون الرّجال شهوة من دون النّساء، ويظهر ذلك عندما جاءته الملائكة بهيئة حسنة تستضيفه، وتنبّئه بتدمير قراهم، ضاق صدره، وتمنّى مغادرتهم، لأنّه كان يعلم أنّ قومه سيرغبون فيهم لمرض أصاب قلوبهم، وعلّة سكنت عقولهم، لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ ﴾.[5]

---

[1]- هود 71.

[2]- الذّاريات 29.

[3]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998م، ص 89.

[4]- التّوهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص 362.

[5]- هود 77.

نلمح صبر لوط عليه السّلام في حرصه على هداية زوجته العاقّة، التي ابتلي بعصيانها، وقومه الضالّون الذين لم ينتهوا عن الفاحشة التي تأصّلت فيهم، والملاحظ أنّ إبراهيم عليه السّلام كان راضيا على ابن أخيه لوط عليه السّلام، لأنّه آمن بدعوته واصطحبه حين هجرته إلى أرض فلسطين، فقد ذكر إيمانه ونصرته في عدّة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ ۞فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[2].

والشّاهد أنّه كلّما ذكر النبيّ لوط عليه السّلام، اقترن ذكره بهلاك امرأته ونجاة آله، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

9/ إسماعيل عليه السّلام:

أراد إبراهيم عليه السّلام أن يختبر ابنه إسماعيل عليه السّلام ليكتشف شخصيته في حادثة الذّبح، فوجده ممتثلا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[4]، فقد تجلّت فيه سمات الطّاعة والانقياد لله تعالى في قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾[5]، وهذا دلالة على صدق بشارة الله لنبيّه بالولد الصالح لما قال عزّ وجلّ: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾[6]، فحلم إسماعيل عليه السّلام تحقّق بعد امتحان الله لأبيه في ذبحه، فوجده ابنا بارّا مستسلما لأوامر الله، راضيا بقضائه.

---

[1]- العنكبوت 26.

[2]- الأنبياء 71.

[3]- الحجر 60/59.

[4]- النّساء 59.

[5]- الصّافّات 102.

[6]- الصافات 101.

ثالثا: الحوار

يرتكز الحوار في البنية السّردية على نسج رسالة بين المرسل والمتلقّي بتحقيق غاية، "وإنّ طريقة القرآن الكريم في تصوير الحوار إنمّا تقوم على أساس الرّواية التي بلغ القرآن الكريم المثل الأعلى في إدارتها على الوجه الذي يقيم منه معجزة قاهرة تخضع لها الأعناق".[1]

زخر الخطاب القرآني بالأسلوب الحواري؛ حيث احتلّ مساحة أكبر في السّرد، وهذا ما لاحظناه في قصّة إبراهيم عليه السّلام، التي غلب عليها الحوار وأضفى إليها تشويقا وجمالية في رصد الأحداث، "ولاشكّ أنّ الحوار الذي يديره القرآن في دقّة وحساسية لإحياء المشاهد أو تصويره الانفعالات، أو الإقناع والتّأثير، يقتضي تنوّع أساليبه وطرقه باختلاف الأشخاص، وبحسب المواقف، حتّى يكون أبعد أثرا في نفوس سامعيه وهدايتهم وتوجيههم"[2]، ومن أنواع الحوار التي احتوتها قصّة إبراهيم عليه السّلام.

1/ الحوار الخارجي:

هو أن يخاطب الإنسان غيره، وهو حوار تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة".[3]

ويسمّى "الديالوج" ويستعمل "لتحديد علاقة زمنية ظاهرة في المشهد من خلال وضع الشخصيات في إطار الفعل والحركة والنطق، فتتوقف اللقطة عند فعل الشخصية نفسها بموضوعية معبّرة بصدق عن أفكارها ومشاعرها ومواقفها"[4]، كما يكون الحوار في البناء الدرامي للقصة القرآنية:

---

[1]- عبد الجواد محمّد المحص، أدب القصّة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، الدّار المصرية، الإسكندرية، ط 01، 2000م، ص 08.

[2]- التّوهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص 417.

[3]- قيس عمر محمّد، البنية الحوارية في النصّ المسرحي، ناهض الرّمضاني نموذجا، دار غيداء، عمّان، ط 03، 1443هـ/2012م، ص 35.

[4]- هيام شعبان، السّرد الرّوائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، إربد، عمّان، ط 01، 2004م، ص 214.

➢ **ثنائي**: وهو الحوار الذي يتم بين شخصين اثنين، وقد ورد في قصة إبراهيم عليه السّلام بين:

أ: الله عزّ و جلّ وإبراهيم عليه السّلام:

أبدعت القصّة القرآنية في "رسم الأحداث وإدارة الحوار وصدّ الصراع وإحكام الحبكة"[1]، ولقد ورد الحوار في أجلّ خطاباته بين الله عزّ وجلّ ونبيّه وحيا على هذا النّحو:

الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾.

إبراهيم عليه السّلام-: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾.

الله عزّ وجلّ: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[2]

أراد الله أن يبيّن لعبده أنّ كل مرئ رهين طاعته وعصيانه، فلا شفاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما لا تنفع استقامة العبد في العفو على الظالمين، فكان العهد بينهما أن يفوّض أمره إلى الله بقوله: ﴿ أَسْلِمْ ﴾، فأجاب: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، ومن هنا تتجلّى معاني العبودية والخضوع للخالق، ثمّ جرى حوار آخر بينهما لما أراد الله عزوجل أن يحقق مراد إبراهيم عليه السّلام في كيفية إحياء الموتى؛ حيث يفصّل القرآن هذا المشهد كالآتي:

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾؟

الله عزّ وجلّ: ﴿ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ﴾؟

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾.

---

[1]- صلاح الدّين عبد التوّاب، الصّورة الأدبية في القرآن الكريم، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، ط 01، 1995م، ص 100.

[2]- البقرة 124.

[3]- البقرة 131.

الله عزّ وجلّ: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾.[1]

كان الهدف من هذا الحوار التقرير بواقعية يوم البعث واختتم بالتقرير "باعتبار الشكّ في الفكرة موقفا مشتركا بين الطرفين يوحي لكل منهما بإعادة النظر في القضية ومحاولة مواجهتها من جديد كما لم يواجهها من قبل".[2]

ب: إبراهيم وأبوه:

قدّم إبراهيم عليه السّلام لأبيه أجمل عبارات الودّ ليستميله إليه، ويقرّبه إلى ربّه، مستعملا أساليب النّصح والاستعطاف، مستهلّا حواره بالاستفهام والنّداء في قوله: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾[3]، فما كان جواب أبيه إلّا أن استطرده وتوعده بالهجر في قوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾[4]، لكن ابنه سالمه، ووعده أنّه سيستغفر له الله في قوله: ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾[5]، ثم اختار لنفسه الاعتزال حتى لا ير ما يسوؤه من والده؛ حيث قال: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾.[6]

كانت نهاية الحوار دعاء إبراهيم عليه السّلام بالهداية، راجيا أن يختم على قلبه بالتّقى.

---

[1]- البقرة 260.

[2]- محمّد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، دار المنشوري للنّشر، الجزائر، د ط، د ت، ج 01، ص 55.

[3]- مريم 45/42.

[4]- مريم 46.

[5]- مريم 47.

[6]- مريم 48.

ج: إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السّلام:

لما تأهّب إبراهيم لذبح ابنه إسماعيل عليهما السّلام إذعانا لأمر الله، رأى أن يشارك ابنه الرّأي بحوار هادئ دار بينهما باستعمال أسلوب لطيف؛ حيث قال:

الأب: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾؟

الابن: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾.[1]

الشاهد في هذا الحوار أنّ الأب لم يفرض مسألة ذبحه، بل استشاره وأخذ برأيه إمّا احتراما لمشاعره أو امتحانا له في الطّاعة، لكنّ الابن كان عند حسن ظنّ أبيه وربّه به، فكان الغرض من الحوار "الطلب" واختتم بالاستسلام لأمر الله.

د: إبراهيم عليه السّلام والملك النّمرود:

لما ادّعى النّمرود لنفسه الرّبوبية، ناظره الخليل بالحجّة والبرهان ليبطل تمرّده، فقال:

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾.

النّمرود: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾.

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾.[2]

[1]- الصّافّات 102.

[2]- البقرة 258.

كان الغرض من هذا الحوار الإنذار، واختتم باستسلام النّمرود، لقوله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[1]، فقد "أبطل الخليل عليه دليله، وبيّن كثرة جهله، وقلّة عقله، وألجمه الحجّة، وأوضح له طريق المحجّة".[2]

2/ الحوار الجماعي:

هو حوار متعدّد الأطراف يكون بين أكثر من شخصين، وقد ورد في قصّة إبراهيم عليه السّلام بين:

أ: إبراهيم عليه السّلام وقومه:

كثر الجدل وطال الحوار بين إبراهيم عليه السّلام وقومه حول قضيّة التوحيد في عدّة مشاهد، منها قول:

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾؟

أحد القوم: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾.

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾؟

أحد القوم: ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؟.[3]

---

[1]- البقرة 258.

[2]- ابن كثير الدّمشقي، قصص الأنبياء، مؤسّسة المعارف، بيروت، لبنان، ط 02، 1430هـ/ 2009م، ص 142.

[3]- الشّعراء 77/70.

أراد إبراهيم عليه السّلام أن يبيّن لقومه أنّ الأصنام التي يتقرّبون إليها زلفى لا تنفع ولا تضرّ، فكان الغرض من هذه المحاورة النّصح والتّوجيه، واختتمت بالإقرار بنعم الله في قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ ﴾.[1]

وذكر القرآن الكريم مشهد تكسير إبراهيم عليه السّلام للأصنام ومحاولة حرقه في مقاطع حوارية كثيرة، منها قول:

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ ﴾؟

أحد القوم: ﴿ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ ﴾.

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٥٤ ﴾.

أحد القوم: ﴿ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ ﴾؟.[2]

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧ ﴾.

ولما انهال على الأصنام ضربا فكسرها، اجتمع عليه القوم، فقال:

أحدهم: ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ ﴾؟

أحد القوم: ﴿ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠ ﴾.

أحد القوم: ﴿ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ۝٦١ ﴾.

---

[1]- الشّعراء 82... 78.

[2]- الأنبياء 52... 55.

أحد القوم: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾؟!!

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾![1]

يقول "عبد السّلام الصّنيب" عن "مجاهد" قال: "ترك الصنم الأكبر، وعلّق الفأس الذي كسّر به الأصنام جعله في عنقه ليحتجّ عليهم"[2]، وينظر كيف يعلّلون على قدرة آلهتهم على جلب المنافع ودرأ الأضرار عنهم، وهي عاجزة أن تدافع عن نفسها حتّى...

ويذكر المفسّرون "أنّ النّمرود وأشراف قومه أحضروا إبراهيم عليه السّلام بمرأى من النّاس حتى يروه ساعة السّؤال بغرض أن تكون محاسبته على رؤوس الأشهاد كلّهم ليكون عقابه عبرة لمن يعتبر، فأجابهم إبراهيم –عليه السلام– إنّما حطّم آلهتكم الصّنم الكبير هذا فاسألوهم واسألوه".[3]

لما عجز القوم من مساءلة الأصنام، استحيوا من أنفسهم وولّوا خائبين، فردّ:

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؟

القوم: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾.[4]

استعمل إبراهيم عليه السّلام وقومه في حوارهما الجدلي أساليب الاستفهام التي تفضي عند الحقيقة، وبعض عبارات السّخرية والاستهزاء للانتقاص من قدر المجادل كما ورد القسم على لسان

[1]- الأنبياء 59... 63.

[2]- غزوان عبد السّلام الصّنيب، أحسن القصص، ص 79.

[3]- المرجع نفسه، ص 80.

[4]- الأنبياء 66... 68.

إبراهيم عليه السّلام للتّأكيد على هدم الأصنام، وقد تشكّل هذا الحوار في ثوب المحاكمة، واختتم بالنّصر لنبيّ الله عزّوجل في قوله: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾.[1]

وتقرأ حوارا آخر بين إبراهيم عليه السّلام وأبيه وقومه عبدة الكواكب، فقد وجد نبيّنا في "زمن ضلّت النّاس في عبادتهم لله، فكان من النّاس من يعبد الأصنام ويعظّمونها كما في العراق، ومنهم من يعبد الكواكب ويترقّبونها كما كان في بلاد الشّام ومنهم من يعبد (الملوك والحكّام) كما هو الحال في زمن النّمرود".[2]

أراد إبراهيم عليه السّلام أن يبرهن لأبيه وقومه أنّ الألوهية ينتفي فيها الزّوال، كزوال الكوكب في اختفاء الليل، وإضمار القمر في وهج النهار، وشرود الشّمس عند المغيب، "فأرشدهم إلى طريق النّظر والاستدلال، عرّفهم أنّ النّظر الصحيح مؤد إلى أنّ شيئا منها ليس بإله لقيام دليل الحدوث فيها، ولأنّ لها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالهم".[3]

استطاع إبراهيم عليه السّلام بذكائه وحكمته أن يقنع أباه وقومه بانتفاء صفات النّقص عن الإله، وأنّ الذين يعبدونهم تتجسّد فيهم معالم الفناء، فعل ذلك وقد كانوا شهود عيان، ويتجّسد هذا الحوار في سورة الأنعام، لما "فُرجت له السّماء والأرض، فرأى ببصره الملكوت الأعلى في السّماء والملكوت الأسفل في الأرض، ولذلك انتقل سيّدنا إبراهيم عليه السّلام من عالم الملك إلى عالم الملكوت الذي فيه مراحل اليقين (علم اليقين، وعين اليقين، وحقيقة اليقين) إكراما له، ويقينا عنه.

أمّا في تساؤلاته للكواكب التي ذكرها ككوكب الزّهرة والقمر والشّمس، ومن ثمّ غيابها عنه؛ حيث أفلت وقال أنّه لا يحبّ الأفلين".[4]

---

[1]- الأنبياء 70.

[2]- غزوان عبد السّلام الصّنيب، أحسن القصص، ص 58.

[3]- أحمد بن محمود النّسفي، تفسير النّسفي، المكتبة العصرية، ط 01، 1430هـ/2009م، المجلّد 01، ج 01، ص 354.

[4]- غزوان عبد السّلام الصّنيب، أحسن القصص، ص 58.

يذهب بعض الباحثين إلى أنّ حوار إبراهيم عليه السّلام في قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ٧٥ ﴾[1]، أنّه "قد شعر بوجود مشكلة أوّلا، وثانيا جمع بيانات كافية حول موضوع المشكلة، وثالثا وضع العروض، ورابعا قوّم فروضه، ووصل في نهاية المطاف إلى هدفه المنشود".[2]

كان الغرض من هذا الحوار الحجاج الذي اختتم بالاستفهام الانكاري الذي أكد على ضرورة الابتعاد عن الشّرك في قوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ٨١ ﴾.[3]

ب: إبراهيم عليه السّلام والملائكة:

جاء الحوار متفرّقا في عدّة سور وآيات من القرآن الكريم بين ضيف إبراهيم عليه السّلام والملائكة، سنحاول ترتيبه في هذا المقطع:

الملائكة: ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾.

إبراهيم عليه السّلام: (رادّا التحيّة): ﴿سَلَٰمٞۖ﴾.[4]

لما أسرع بإحضار لهم الطّعام، ورأى أنّهم لم يتناولوا منه شيئا سألهم قائلا: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ٢٧ ﴾؟[5] وقد بدا خوفه منهم وعدم ارتياحه لهم، لكن سرعان ما طمأنوه قائلين: ﴿ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ٥٣ ﴾.[6]

---

[1]- الأنعام 75.

[2]- عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشّخصية في القصص القرآني، مكتبة زهراء الشّرق، بيروت، ط 01، 1997م، ص 70.

[3]- الأنعام 81.

[4]- هود 69.

[5]- الذاريات 27.

[6]- الحجر 53.

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴿٥٤﴾﴾؟[1]

الملائكة: ﴿ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴿٥٥﴾ ﴾.[2]

تفاجأت زوجة ابراهيم عليه السّلام عند سماعها الخبر فقالت: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴿٧٢﴾ ﴾؟[3]

الملائكة: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴿٧٣﴾ ﴾؟[4]

الملائكة: ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴿٣٠﴾﴾.[5]

إبراهيم عليه السّلام: ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴿٣١﴾ ﴾؟[6]

الملائكة: ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴿٣٣﴾﴾.[7]

إبراهيم عليه السّلام: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾.

الملائكة: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴿٣٢﴾ ﴾.[8]

حمل الحوار الذي بين أيدينا خبرين، أحدهما سارّ وهو بشرى بالولد إسحاق، والثّاني سيّئ وهو نعي بتعذيب قوم لوط، وكلاهما يفيدان غرض العرض بشرط الموافقة، واختتم بالإقرار على قدرة الله من تغيير الأقدار.

---

[1]- الحجر 54.

[2]- الحجر 55.

[3]- هود 72.

[4]- هود 73.

[5]- الذاريات 30.

[6]- الذاريات 31.

[7]- الذاريات 32/31.

[8]- العنكبوت 32.

3/ الحوار الدّاخلي:

يقصد به "الحديث المنفرد مع الذّات، ويفهم منه أنّه يجري في باطن الشخصية وبصوت غير مسموع"[1]، بمعنى أن يكلّم الإنسان نفسه، بحيث يكون المرسل والمتلقي في نفس الوقت، لا يشاركه أحد في الحوار باعتباره "بنية سردية تمكّن الشخصية من الحوار مع نفسها، يتيح لها استخدام ضميريّ المتكلّم والمخاطب المفردين المحليين إلى ذات واحدة".[2]

ويصدر بسبب انفعالات داخلية كالجنون، الغضب، الاكتئاب، القلق وغيرها من الأمراض النّفسية التي تصيب الإنسان ليعبّر عنها على شكل خطابات منطوقة أو مكبوتة.

يقلّ الحوار الداخلي في النّص القرآني لطبيعة الخطاب الذي يقتضي المجاهرة في الدّعوة والمحاورة بين الأطراف.

4/ التّقنيات السّردية في الحوار:

ورد الحوار في قصّة إبراهيم عليه السّلام في عدّة صيغ، نذكر منها:

أ: الاسترجاع:

ويُعرف أيضا بالارتجاع، هو قطع "ويتم أثناء التّسلسل الزّمني للعمل الأدبي، يستهدف استطرادا يعود إلى ذكر الأحداث الماضية، بقصد توضيح ملابسات موقف ما"[3]، وهو ما يطلق عليه في الرواية الجديدة بالفلاش باك.

ورد الاسترجاع في حوارات عديدة في قصة إبراهيم عليه السّلام، تناولت مواضيع مختلفة منها:

---

[1]- ينظر: صبري مسلم، أنساق الحوار في الخطاب الأدبي، دار الكتب، صنعاء، اليمن، ط 1، د ت، ص 15.

[2]- محمّد القاضي ومجموعة من المؤلّفين، معجم السّرديات، دار محمّد عليّ للنّشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط 1، 2010، ص 432.

[3]- قيس عمر محمّد، البنية الحوارية في النصّ المسرحي، ص 72.

➢ **التّمسك بعبادة الأوثان:**

فشل إبراهيم عليه السّلام في إقناع أبيه بتوحيد الله، حيث عبّر عن تمسّكه بآلهته في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[1]، فكيانه مرتبط بما كان يعبد قديما من أوثان، ولا مناص من نزعها عن مخيّلته.

➢ **التّصديق بالرّؤيا:**

لما همّ إبراهيم عليه السّلام بذبح ابنه، أبدله الله عزوجل كبشا فداءً له، وذكّره أنّه جزاءً لتصديق رؤياه في قوله: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2]، أراد الله أن يبيّن لعبده، أنّ محنته تحوّلت إلى منحة بسبب طاعة سابقة عكست إخلاصه.

➢ **الحنين إلى دين الأجداد:**

من صفات قوم إبراهيم عليه السّلام أنّهم كانوا يفتخرون بدين أجدادهم، فالتّباهي بالأنساب خصلة تأصّلت فيهم إذ ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[3]، فيرد عليهم إبراهيم عليه السّلام مبيّنا بطلان ما يحنّون إليه حيث قال: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[4]، فالرّجوع إلى الماضي كان ملاذهم للهروب من الواقع، لكن إبراهيم عليه السّلام كان يذكّرهم بهلاك أمم سبقتهم اتّخذت آلهة أخرى من دون الله في قوله: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا

[1]- مريم 46.

[2]- الصّافّات 105.

[3]- الأنبياء 53.

[4]- الأنبياء 54.

ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، ثم أعلن براءته من عبادة الأصنام ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.[2]

نلاحظ أن الحوارات ترتبط بمعتقدات سابقة، وتحارب من أجل تنحيتها ونسخها بأفكار بديلة تخدم الدّين.

➢ **التّذكير بمعصية قوم لوط عليه السّلام:**

أخبرت الملائكة سيّدنا إبراهيم عليه السلام أنّها جاءت لإعلامه عن عذاب قوم لوط، بسبب الفاحشة التي كانوا يقومون بها من قبل في قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[3]، فكان جوابه: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ﴾[4]، فردّت الملائكة: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.[5]

هذا الحوار يسرد عادات قبيحة تطبّعت في قوم لوط وزوجته منذ زمن مضى، وعدم اقلاعهم عليها كان سبب هلاكهم.

ب: الاستباق

يقصد به أن يستبق المرء الأحداث "وهو عملية سردية تتمثّل في ايراد الحدث أو الإشارة إليه مسبقا، وهذه العملية تسمّى في النّقد التقليدي بسبق الأحداث"[6]، وتعدّ من النظرات الاستشرافية التي تنبّئ عن المستقبل بأحداث لم يصل إليها السّرد. ومن أمثلة هذا الحوار:

---

[1]- العنكبوت 18.

[2]- الزخرف 26.

[3]- العنكبوت 31.

[4]- العنكبوت 32.

[5]- العنكبوت 32.

[6]- محمّد القاضي وآخرون: معجم السّرديات، دار محمّد علي تونس ط1 2010، ص 161.

➢ **محاورة الله عزّ و جلّ النّار:**

لما اشتعلت النّار في جسد إبراهيم عليه السلام أمرها الله عزوجل أن تصرف مفعولها عليه، وتبعد أذاها عنه في قوله عزوجل: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[1]، فطبّقت ما أمرها لحظة إصدار القرار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]. فسبقت مشيئة الله مشيئة العباد، وغيّرت من قدر إبراهيم –عليه السلام– من الموت إلى الحياة، حيث سخّر البرد والسّلام للنّار، فخرج منها سالما معافى.

➢ **محاورة إبراهيم عليه السّلام نفسه:**

لما شعر عليه السلام أنه مبغوض قومه، بعد أن كادوا له ونصبوا له العداء، وحاولوا حرقه، قرّر الهجرة إلى ربّه فرارا بدينه، فقال: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾[3] محاورا نفسه (وهو ما يسمى بالحوار الداخلي)، متنبّئا أنّ هجرته ستضمن له هداية ربّه، وتؤمن له مستقبلا أفضل.

ج: تيار الوعي

هو نوع من أنواع الحوار، وظيفته "الدخول إلى المناطق المظلمة في الدّاخل الإنساني، وتقديم هذا الدّاخل الذي هو ارهاصات غير متشكلة في اللاوعي، ويقوم الكاتب باستخراج هذه الطّبقات من اللاّوعي عبر زمنها النّفسي، وذلك عبر تداعي الأفكار وكسر التّتابع بتدفقات سريعة"[4]. تعدّدت الأمثلة في هذا المجال، نذكر:

---

[1]– الأنبياء 69.

[2]– يس 82.

[3]– الصّافّات 99.

[4]– قيس عمر محمّد، البنية الحوارية في النصّ المسرحي، ص 67.

➢ **محاورة إبراهيم عليه السّلام أبوه:**

إنّ المتأمل في الخطاب القرآني أن إبراهيم –عليه السلام– لعب دور المرشد في جلّ حواراته، حيث قام بوظيفة المحلّل النّفساني في جلسته مع أبيه، فحاول الولوج إلى قلبه وطبطبة مشاعره بالكلمة اللطيفة والنّقاش الهادئ، مستعملا عبارات اللّين، التي تحمل في طيّاتها معاني الرّغبة في إنقاذه، والخوف من هلاكه كقوله مثلا: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾[1]، وقوله كذلك: ﴿ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾.[2]

➢ **محاورة إبراهيم عليه السّلام قومه:**

لكسب قلوب العصاة يجب "أن يقوم المسترشد كلّ ما لديه، من دون أن يستخدم أيّ وسيلة من وسائل الدّفاع، ودور المرشد أو المعالج التّحليلي تحديد المواد المكبوتة، فهم الأحداث والصّعوبات التي مرّ بها المسترشد"[3]، وهذا ما قام به إبراهيم –عليه السلام– مع قومه حيث استجمع قواه من أجل أن ينّظم حلقات دعويّة، مستحملا أقرب أساليب الخطاب إلى العقل، وأرغبها في القلب، مستدرجا إيّاهم في العبادة، مطبّقا منهاج الدّعوة في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4].

ضف أنّ إبراهيم عليه السلام كان ليّن القلب، رطب اللّسان في دعوته لأنّه يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾.[5]

---

[1]– مريم 45.

[2]– مريم 43.

[3]– أبو عماد، نظرية التّحليل النّفسي (سيجماند فرويد ودورها في الارشاد).

[4]– النّحل 125.

[5]– آل عمران 159.

فالتّداعي الحر حتم على إبراهيم عليه السلام أن يحاورهم بالحسنى، ويذكّرهم بنعم الله عليهم لقوله: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.[1]

كما طلب أن ينظروا إلى ذواتهم، ويتأملوا بديع صنعه، ويتمعنوا إلى اعجاز الخلق ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[2]. وغيرها من الحوارات التي تذيب القلب وتطاوع العقل.

➢ محاورة إبراهيم عليه السّلام الأصنام:

عندما اشتدّ غضب إبراهيم عليه السلام من التماثيل التي نصبت قامتها، وتشكّلت على هيئة بني آدم، وظلّت أشكالا هامدة لا حول ولا قوّة لها، وقد اتّخذها قومه الجهلة قبلة لهم يتضرّعون إليها، سألها على عدم قدرتها الأكل لما منحها الطّعام وعجزها على المواجهة بالكلام لما كسرها في قوله ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ ﴾.[3]

وهذا النّوع من الحوار "يظهر في النّصوص والمقاطع السّردية بضمير المخاطب، ويتميّز بإقامة وضع تلفّظي مشترك بين المتكلّم والمخاطب، دون أن يحدث تبادل بينهما، فالمخاطب لا يجيب، بل يظلّ شاهدا فقط على الخطاب الذي يلقى أمامه وعنه"[4]، لأنّ الجماد لا يتنظر منه جوابا، بل فعل إبراهيم عليه السّلام ذلك ليفرغ كتلة البركان الذي ينفجر في قلبه.

---

[1]- العنكبوت 17.

[2] - العنكبوت 20.

[3]- الصّافّات 92/91.

[4]- محمّد القاضي وآخرون: معجم السّرديات ص 161.

➢ **محاورة زوجة إبراهيم عليه السّلام نفسها:**

المعروف أنّ سارة كانت عقيما، وكان شوقها عظيما في الانجاب، وقد يئست من حملها لما تقدّم بها العمر، ولا شكّ أنّها مرّت بإرهاصات نكّدت حياتها، ولا سيّما عندما رزقت ضرّتها بإسماعيل، فوعيها كان مقيدا بفكرة الحمل التي ظلّت تراودها طيلة حياتها، لتبشّرها الملائكة بالولد بعد سنوات انقطع رجاؤها... من المؤكد أن ينزل عليها الخبر كالصّاعقة، ويصعب عليها تصديقه، فحاورت نفسها مذكّرة إيّاها بسنّها المتأخر، وقالت: ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾.[1]

د: المناظرة

يقول "الشّريف الجرجاني": المناظرة "لغة من النّظر أو من النّظر بالبصيرة، واصطلاحا هي النّظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب".[2]

ويعرّفها "ابن خلدون" على أنّها "معرفة بالتواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصّل بها إلى حفظ الرأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره".[3]

أمّا "غنيمي هلال" فيسوق المناظرة معنى الحوار؛ حيث يرى أنّهما يشتركان في تبادل الخطاب بين شخصين، إلّا أنّ المناظرة تعتمد على عرض وجهة نظر الطّرفين والتّدليل بحجّتها، ومحاولة كلّ طرف إبطال رأي مجادله، وإثبات حجّته ببراهين عقلية ونقلية".[4]

تناولت قصّة إبراهيم عليه السّلام مناظرتين:

---

[1]- الذاريات 29.

[2]- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 1403هـ/ 1983م، ج1، ص231-232.

[3]- ابن خلدون المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د.ط 1428هـ/ 2007م، ص 466.

[4]- ينظر: غنيمي هلال الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، د.ط 2001، ص 206.

➢ **مناظرة الملك:**

لما زعم الملك النّمرود الرّبوبية، وطغى على الأرض، وقال: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[1]، ناظره إبراهيم عليه السلام بالأدّلة السّاطعة بنية المنافسة لأنّه أراد "أن يشخّص حالة العناد السّخيف والمكابرة العمياء التي لا يجدي معها حجّة ولا برهان".[2]

فغلبه إبراهيم عليه السلام لأنّه امتلك مع الحوار أسرار الكون التي علّمها له الخالق، بينما ضعف استدلال النّمرود لأنّ عقله حشا بالزعبلات الخرافية.

➢ **مناظرة عبدة الكواكب:**

واجه إبراهيم عليه السلام عبدة الشّمس والنّجوم والكواكب بأفولها ، بحجّة أنّ الإله لا يأفل لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾[3]، وينتفي على جلاله الزوال، فأراد "أن يبرز الحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التّوحيد، ومن يتوزّع قلبه بين الإله الواحد والآلهة المتعدّدين، ويتفرّق احساسه بين الهدى والضّلال"[4]، وأنّ الذّين لا يرتابهم شكّ في عبادة الخالق، يفوزون في دنياهم وآخرتهم، لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾.[5]

---

[1]- النازعات 24.

[2]- سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 47.

[3]- البقرة 255.

[4]- المرجع السابق ص 44.

[5]- الأنعام 82.

هـ: المناجاة:

هي تقديم الشّكوى والالحاح لله بالطّلب، وتُصنّف من "أشكال الخطاب الدّعائي ذات الاتجاه الواحد من أنا إلى أنت (الله)، لذلك اعتبرها القدامى حديثا شخصيا سميّ "حديث النّفس"، فكانت مجرّد متتاليات دعائية تعبّر عن معان دينية وأخلاقية".[1]

تزخر النّصوص القرآنية بحوارات تتضمّن مناجاة إبراهيم عليه السّلام في لحظات الصّراع والتأزّم، راجيا التّفريج من ربّه، نذكر منها:

- **الشّكوى من المرض:**

لما ذهب القوم ليحتفلوا بالعيد، امتنع مشاركتهم في اللّهو، وتداعى المرض: ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴿٨٩﴾﴾.[2]

يفسّر "الطّاهر بن عاشور" مناجاة إبراهيم عليه السّلام لنفسه، متعمّدا أن يسمعه الآخرون ليفهموا اعتراضه عن الذّهاب معهم، أنّه "انتحل عذرا ليتركوه فيخلو ببيت الأصنام ليخلص إليها عن كثب، فلا يجد من يدفعه عن الإيقاع بها... وذكر المفسّرون أنّه اعتذر عن خروجه مع قومه من المدينة في يوم عيد يخرجون فيه، فزعم أنّه مريض لا يستطيع الخروج، فافترض إبراهيم خروجهم ببد الأصنام"[3]، ذكرت السّنة النّبوية هذه القصّة، فقالت: "لم يكذب إبراهيم عليه السّلام في شيء قطّ إلّا في ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عزّ و جلّ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصّافّات 89] ولم يكن سقيما وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء 63].[4]

---

[1]- آمنة بلعلي: تحليل الخطاب الصّوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1 2002، ص 94.

[2]- الصافات 89.

[3]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج27، ص 142.

[4]- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125] رقم 3358/ ج:4 / ص:140.

أمّا قوله في الآية ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ﴾[1] فينقل ما ذكره "ابن كثير في تفسيره، قال قتادة والعرب: تقول لمن تفكّر: نظر في النّجوم، يعني قتادة: أنّه نظر إلى السّماء متفكّرا فيما يلهيهم به".[2]

تعقيبا لهذا القول نستطيع أن نشير أنّ حوار الإنسان للكائنات المادية نوع من الخطاب الدّاخلي، كأن يحاور الطبيعة لتقاسمه مشاعره، وقد كان الشّاعر الجاهلي يقف على الأطلال ويبكيها حتّى يقضي ما بداخله من أحاسيس، وهذا النّوع من الحوار "يجري داخل الشّخصية ومجالة النفس أو باطن الشّخصية، ويقدّم المحتوى النّفسي، والعمليات النّفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي".[3]

ويضيف الطّاهر بن عاشور "ما جنح الحسن إلى تأويل معنى النجوم بالمصدر أنّه نظر فيما نجم له من الرأي، يعني أنّ النجوم مصدر نَجَمَ بمعنى ظهر"[4]، والمقصود من القول أنّه عبّر بصوت عال عن مرضه المختلق، مناجيا نفسه حتى يحقق مراده.

➢ الدّعاء للولد والبلد:

الدّعاء خطاب لغوي يستخدمه الإنسان لمناجاة ربّه وهو "نوع من أنواع المونولوج، وخاصة عندما تفضي الشخصية بمكنونات قلبها على انفراد لحظة من لحظات التطور المصيري الحاسم".[5]

---

[1]- الصافات 88.

[2]- المرجع السابق، ص 141.

[3]- هيام شعبان، السّرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 220.

[4]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 27، ص 141.

[5]- نبيل راغب، موسوعة الابداع الأدبي، مكتبة ناشرون، لبنان، ط 01، 1996، ص 141.

لما أتمّ إبراهيم عليه السّلام بناء الكعبة اتّخذ لنفسه ركنا، ودعا ربّه بحفظ البيت العتيق، وتبرئة ذريّته من عبادة الأصنام في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾.[1]

ثم ذكر أنّه استودع أهله في البيت الحرام ليعبدوا الله، فدعاه أن يحبّب هذا المكان في قلوب الناس ويغنهم من فضله في قوله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.[2]

ثم أثنى على علمه بسرائر العباد وعلانيتهم في قوله: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ ﴿٣٨﴾ ﴾[3] فحمد الله على رزقه بالولدان في كبره: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾[4]، وسأل ربّه أن يجعله وأهله من مقيمي الصلاة ويغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين وأن يستجيب دعوته في قوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.[5]

➢ **الدّعاء بالقبول:**

عندما رفع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام قواعد البيت دعا ربّه أن يقبّل منهما، ويجعله وذريّته من المسلمين ويبصرهما بمناسك الحجّ ويتوب عليهما في قوله: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً

---

[1]- إبراهيم 35.

[2]- إبراهيم 37.

[3]- إبراهيم 38.

[4]- إبراهيم 39.

[5]- إبراهيم 41/40.

تنبيه: لقد تجاوزنا ذكر السّور المكرّرة، واكتفينا بنموذج واحد.

لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴿١٢٨﴾ ﴾[1]، ثم رجا ربّه أن يبعث من بعده رسولا يكمل رسالته في قوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴿١٢٩﴾ ﴾.[2]

نستخلص أنّ ابراهيم عليه السّلام جاشت في خواطره جملة من الطلبات أرادها أن تتحقّق، فلجأ إلى ربّه منفردا بالدّعاء طامعا في عطفه ورحمته.

➢ **الدّعاء بالإنابة:**

كان آخر ما اختتم به نبيّنا –عليه الصلاة والسلام– بعد أتمّ للنّاس دينهم، أن احتمى بربّه واحتضن عطفه، وفوّض أمره إليه في قوله: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴿٤﴾﴾[3]، وسأله أن يبعده الفتن التي أيقظها المشركون، ويغفر له ذنوبه في قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴿٥﴾ ﴾.[4]

يظهر الحوار الخارجي في مناجاة إبراهيم عليه السلام ربّه بالدّعاء، الذي اتّخذه سلاحا يفتح عليه بركات السماء والأرض، ويذود عن شرفه، ويحفظ منزلته، فلا ملجأ ولا منجّى إلاّ إليه.

رابعا: الزّمن

يُعرّفه "الجرجاني" بأنّه: "مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء وعند المتكلّمين: عبارة عن متجدّد يُقدّر بمتجدّد آخر موهوم".[5]

---

[1]- البقرة 128/127.

[2]- البقرة 129.

[3]- الممتحنة 04.

[4]- الممتحنة 05.

[5]- الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، ج 01، ص 114.

القرآن الكريم لا يُصرّح بالحقبة الزّمنية التي تخطّتها أحداث قصّة إبراهيم عليه السّلام، لأنّه يمتلك منهجاً خاصّاً في عرض التّاريخ وتصوير الأحداث التي وقعت في الزّمن الماضي، فنراه مثلا لا يذكر ترتيبها الزّمني في التّاريخ... "وسبب ذلك أنّ النّص على الزّمن الذي وقعت فيه أحداث القصّة القرآنية لا يُضيف شيئا إلّا عبرة القصّة ومغزاها"[1]، لذلك نرى أنّ الزّمن التّاريخي في القصّة القرآنية بقي مجهولاً، اكتشفه العلماء عن طريق البحث والتّمحيص، و "ظلّ الفكر يؤصّل للزّمن مفاهيم مختلفة سعيا لإدراك ماهيته، فلعلّه أن يفلح يوما ما في اسْتكْنَاه حقائق ما فوق العقل، وكانت التّصنيفات من قبيل الزّمن الميتافيزيقي والواقعي والوجودي... تخريجات إجرائية ما فتئ العقل يستنبطها، محاولة منه لاستيعاب إشكالية الزّمن ببعدها الغيبي".[2]

تضمّنت قصّة إبراهيم عليه السّلام ثلاثة أنواع من الزّمن:

1/ الزّمن النّحوي:

يُعرّفه "تمّام حسّان" أنّه: "الزّمن الذي يدلّ على السّياق، وذلك من خلال الصّيغ المفردة والمركّبة، مع ما يُصاحبها من ضمائر وقرائن لفظية وحاليّة".[3]

ويُقصد بالأزمنة: الماضي، الحاضر، المستقبل والأمر، التي تتوالى في النّص السّردي لتخلق ديمومة الحركة مع الشخصيات.

للباحثين المعاصرين تصوّر آخر للزمن، مفاده أنه يؤدي وظيفته داخل السّياق لا خارجه، فقد يؤدّي زمن الماضي إذا كان مستقلّا عن العبارة، منفرداً بذاته، لكنّه ينحو نحو المضارع أو المستقبل إذا سيق في الجملة، دون أن تتغيّر وظيفته الإعرابية.[4]

---

[1]- محمّد الصّاوي الجويني، جماليات المضمون والشّكل في الإعجاز القرآني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، 1983م، ص 21-22.

[2]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م، ص 95.

[3]- تمّام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 03، 1988م، ص 105.

[4]- ينظر: تمّام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 248.

ومن أمثلة الزّمن النّحوي نذكر:

أ: الزّمن الماضي

هو كلّ حديث دلّ على زمن مضى، وقد "استخدم القرآن الكريم الأسلوب الغيبي في سائر الأشياء التي قصّها، وكان الزّمن الماضي البعيد الموغل في القدم نصراً أصيلاً بارزاً من عناصر الإعجاز الغيبي فيه".[1]

تضمّ الفعل الماضي في قصّة إبراهيم عليه السّلام أزمنة مختلفة "كالحال والاستقبال... وهي الدّلالة المحوّلة أو الطّارئة على صيغة الماضي... اتّفق النّحاة على صلاحية دلالتها على الحال أو الاستقبال لما تُحدثه القرائن والأفعال المساعدة على تعيين الجهة الزّمنية المقصود التّعبير عنها من طرف المتكلّم"[2]، ومن الدّلالات الزّمنية التي استهدفتها القصّة نذكر:

- **الماضي البعيد:** هو زمن طوى عليه الدّهر، يستحضر فيه المخاطب وقائع وحدثت في الماضي، ليعزّز بها دعوته أو يستعطف شعور المتلقّي لقوله: ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾[3]، للتّذكير بالرّسالة التي كُلّف بها النّبي، وقوله أيضاً: ﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[4]، فالزّمن مرتبط بالحقبة التّاريخية البَعِيدَةِ التي عَبَدَ فِيهَا القَوْمُ الأَصْنَامَ، وَقَوْلِهِ كَذَلِكَ: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[5]، وقوله أيضاً: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي﴾[6]؛ حيث يذكر إبراهيم عليه السّلام امتنانه لربّه على نعمة الخلق، ويحكي في موقع آخر زمن النّمرود الذي أكرمه بالملك في قوله: ﴿ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾.[7]

---

[1]- عبد الكريم بالخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مطبعة السنة المحمدية، ط 01، 1968م، ص 42-43.

[2]- عبد الله بوخلخال، التّعبير الزّمني عن النحاة العرب منذ نشأة النّحو العربي حتّة نهاية القرن الثالث الهجري دراسة في مقاييس الدلالة على الزّمن في اللّغة العربية وأساليبها، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1987م، ج 01، ص 63-64.

[3]- مريم 41.

[4]- الأنبياء، 54

[5]- النحل 123

[6]- الشعراء 78

[7]- البقرة 258

➢ **الماضي البسيط**: يسرُد أحداثاً مُتسلسلة في أسلوب حكائي، ونجده في سورة الأنعام في قوله: لَمَّا **جنَّ** عَلَيْهِ اللَّيْلُ ← **رَأى** كَوْكَباً ← **قَالَ** هَذَا رَبِّي ← لَمَّا **أَفَلَ** ← لَمَّا **رَأَى** القَمَرَ ← لَمَّا **رأَى** الشَّمْسَ ← لَمَّا **أَفِلَتْ** ← إِنِّي **وَجَّهْتُ** وَجْهِي ← حَاجَّهُ قَوْمُهُ **وسِعَ** رَبِّي.[1]

ونُلاحظ الأزمنة متوالية في مشهد ضيف إبراهيم حيث يقول: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ← **دَخَلُوا** عَلَيْهِ ← **رَاغَ** إِلَى أَهْلِهِ ← **جَاءَ** بِعِجْلٍ ← **قَرَّبَهُ** إِلَيْهِمْ ← **أَوْجَسَ** خِيفَة ← **بَشَّرُوهُ** بِغُلَامٍ ← **أَقْبَلَتْ** اِمْرَأَتُهُ ← **صَكَّتْ** وَجْهَهَا ← **قَالَتْ** عَجُوزٌ عَقِيمٌ ← **فَأَخْرَجْنَا** ← مَا **وَجَدْنَا** ← مَا **تَرَكْنَا** آيَة.[2]

وَوَرد القَصُّ فِي سُورة هود يدلّ على الزّمن الماضي البسيط في قوله: **ذَهَبَ** عَنْ إِبْرَاهِيم الرَّوْعُ ← **جَاءَتْهُ** البُشرى ← **جَاءَ** أَمْرُ رَبّك ← **جَاءَتْ** رُسُلُنَا ← **ضَاقَ** بِهِم ذَرْعاً.[3]

➢ **الماضي القريب من الحال**: هو زمن مضى، لكنّ وقائعه يستحضرها القارئ في ذهنه ويتعايش معها، وغالباً ما تدلّ على أفعال المنح والعطاء كقوله: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ﴾[4]، وقوله أيضاً: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾[5]، ووردت أزمنة اقترنت بالاستفهام دلّت على الحاضر، كقوله في مشهد هدم الأصنام: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾، ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ ﴾، ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا ﴾.[6]

---

[1]- الأنعام 74... 84.

[2]- الذَّاريات 24... 37.

[3]- هود 69... 77

[4]- مريم 49

[5]- الصافات 113/112.

[6]- الأنبياء 51... 73

وقوله في موضع آخر: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1]، أراد إبراهيم عليه السلام أن يُذكّر قومه وهو يدعوهم بقبحِ آلهتهم وتفاهتها.

- **الماضي الدّال على المستقبل:** يُخبرنا الله عزّ وجلّ بأحداث ستقع في المستقبل تحمل أخبار الإنذار أو التّبشير كقوله تعالى عن نبيّه الكريم: اِجْتَبَاهُ ← هَدَاهُ ← آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ← أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.[2]

وقوله كذلك في مشهد الذّبح: بشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ ← بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ← إِنْ شَاءَ الله ← لما أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ← نَادَيْنَاهُ ← صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ← فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ ← تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخرين ← بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ← بَارَكْنَا عَلَيْهِ.[3]

كُلُّها أزمنة دلّت على حسن البشارة عند اللّحظات الحاسمة من الفزع.

ب: الزّمن المضارع

هو ما دلّ على حدث وقع في الزّمن الحاضر أو المستقبل.

يدلّ الفعل المضارع على أزمنة مختلفة تُفهم من خلال السّياق بواسطة القرائن اللّغوية والضّمنية، ومن بين هذه الدّلالات نذكر:

[1]- الشعراء 75

[2]- النحل 120... 123

[3]- الصافات 101... 113.

➢ **المضارع الدّال على الحال:**

احتوى القرآن الكريم على أفعال مضارعة دلّت على زمنها الحقيقي كقوله: ﴿ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ۝٢٩ ﴾[1]، هذه الأفعال تضمّنت شعائر تُقام في الحجّ، اقترنت بلام الأمر، ودلّت على تحيينها زمن إنهاء بناء الكعبة.

وقول إبراهيم عليه السّلام لقومه، عندما أراد استفسارهم عن جهلهم بعاقبة ما يقومون به من شرك في قوله: ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٦٦﴾ ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ۝٧١ ﴾.[2]

وقوله مُجيباً لربّه عندما حاول أن يعرف حقيقة البعث ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾[3]، وقوله شاكياً: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ۝٣٨ ﴾.[4]

➢ **المضارع الدّال على المستقبل:**

وردت أزمنة دلّت على أفعالٍ لم يحن حدوثها كقوله في سورة الحج: ﴿لَّا تُشْرِكْ ﴾ ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا ﴾[5]، كُلّها أفعال دلّت على النّفي تارة والتّعليل تارة أخرى.

وقوله أيضاً محذّراً قومه من الخروج عن التّوحيد ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾[6]، ثمّ يسألهم عن الآلهة التي سيعبدونها من بعده فيقول: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾.[7]

---

[1]- الحج 29.

[2]- آل عمران 65... 71

[3]- البقرة 260

[4]- إبراهيم 38.

[5]- الحج 26... 29

[6]- البقرة 130

[7]- البقرة 133.

وقد وردت أفعال مضارعة أخرى دلّت على المستقبل القريب لاتّصالها بأداة تنفيس، كقول إبراهيم لأبيه على لسان ربّه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾.[2]

➢ **المضارع الدّال على الزمن الماضي:**

قد يدلّ المضارع على زمن مضى، عندما يهدف إلى استحضار مواقف حدثت من قبل، كقوله: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾.[3]

وقوله أيضاً مُذكّراً إيّاهم بضرورة تذكّر عظمة الخالق: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴿٨٠﴾﴾[4]، ثمّ يضيف في الآية التي تليها: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٨١﴾ ﴾.[5]

نُلاحظ أنّ المضارع الدّال على الماضي يكاد ينعدم في الآيات إذا قارنّاه بباقي الأزمنة.

ج: الزّمن الأمر:

هو ما دلّ على طلب وقوع الفعل على وجه الإلزام.

يحتمل فعل الأمر دلالات زمنية مختلفة نذكر منها:

---

[1]- مريم 47.

[2]- البقرة 137.

[3]- آل عمران 69.

[4]- الأنعام 80.

[5]- الأنعام 81.

- **الأمر الدّال على الماضي**: يجوز للأمر أن يُفيد الطّلب بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾[1]، ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾[2]، ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥﴾[3]، ﴿ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾[4].

تدعو هذه الأفعال إلى استذكار رسالة إبراهيم عليه السّلام، واستحضارها في الحياة من أجل العمل بها.

- **الأمر الدّال على الحاضر**: في السّند أفعال أمر دلّت على طلب، استلزم تحقيقه في أوانه كقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾[5]؛ حيث طلب إبراهيم عليه السّلام مشورة ابنه في الذّبح، فكان ردّ ابنه على الفور: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾[6]، وقوله أيضاً: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾[7]، فالأمر بالحرقة كان لحظة هدم الأصنام، ولما قُضي الأمر، أمر الله النّار أن تُسالم إبراهيم في قوله: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾[8]، كما أمر إبراهيم أن يؤذّن بالحجّ في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾[9] وأن يسلم لربّه في قوله: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ ﴾[10] وطلب منه أن يقوم ببعض الأمور حتّى يتأكّد من قدرته على إحياء الموتى: ﴿قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾.[11]

---

[1]- مريم 41.

[2]- الشعراء 69.

[3]- ص 45.

[4]- النّحل 123.

[5]- الصافات 102.

[6]- الصافات 102.

[7]- الأنبياء 68.

[8]- الأنبياء 69.

[9]- الحج 27.

[10]- البقرة 131.

[11]- البقرة 260.

وأمر إبراهيم من النّمرود أن يعكس موضع شروق الشّمس عندما حاجّه في ربّه في قوله: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾.[1]

- **الأمر الدّال على المستقبل:** يُوجد في الآيات المعتمدة أفعال طلب تدلّ على المستقبل القريب أو البعيد، وغالبا ما تأتي بغرض الدّعاء بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴿٨٦﴾ ﴾.[2]

وقد انحصر هذا النوع من الأمر في سورة البقرة كقول إبراهيم عليه السلام على لسان ربّه: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[3]، ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾[4]، ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾.[5]

وكذلك في سورة إبراهيم عليه السلام عندما يدعو ربّه بصلاح نفسه وذرّيته: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴿٤١﴾﴾.[6]

- **الأمر الدّال على الزّمن العام:** في بعض الأحيان لا يتقيّد الأمر بزمن واحد، بل يحتمل أزمنة متعدّدة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴿٣٥﴾﴾[7]، ثمّ يليه قوله: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

---

[1]- البقرة 258.

[2]- الشعراء 83... 86.

[3]- البقرة 126.

[4]- البقرة 128.

[5]- البقرة 129.

[6]- إبراهيم 40... 41.

[7]- إبراهيم 35.

يَشْكُرُونَ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، فحفظ الله البلد، وشوّق عباده إليه، كان في زمن النّبوّة ولا يزال وسيظلّ كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكذا قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾[2]، إلى أن يقول: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ ﴾[3] وغيرها من الأفعال التي يجوز استعمالها مع الأزمنة الثلاثة.

2/ الزّمن الفلكي

الساعة البيولوجية للإنسان تقتضي أن تتزامن مع روتينه اليومي، حتّى تتكيّف أعضاءه مع النّظام المعتاد، فهي تتوافق مع طائفة الحيوية، فإذا تغيّرت اختلّ النّظام وحدث الاختلال وعدم التّوازن.

يُعرّف الباحثون الزّمن الفلكي، أنّه ذلك "الذي يبدأ مع الكائن منذ لحظة تخلّقه إلى ولادته، وصولاً إلى نهايته، أي: ما يُمكن أن نُسمّيه بالزّمن النّمائي للكائن الحي، الذي يتحكّم بحالات نموّه وتطوّره البدني ضمن نسق نمائي زماني محدّد".[4]

أُجْمِلَ الزّمن الفلكي في قصّة إبراهيم عليه السّلام في الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴿٧٥﴾ ﴾[5] التي تشمل الشّمس، القمر، النّجوم، الأجرام وكل كواكب المجموعة الشّمسية.

ومن أمثلة الأزمنة الفلكية المذكورة في القصّة نذكر:

---

[1]- إبراهيم 37.

[2]- الحج 78/77.

[3]- الحج 78.

[4]- إدلبي بهيجة، الزّمن رسالة الكائن إلى ذاته، دار عبد المنعم ناشرون، حلب، د.ط، 2005، ص 06.

[5]- الأنعام 75.

- **النّجوم**: عندما اعترض إبراهيم عليه السّلام مصاحبة قومه لغرض تحطيم الأصنام، مدّ بصره إلى النّجم شاكياً إليه سقمه في قوله: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾[1]، يُفسّر "سيّد قطب" هذا الخيط التّواصلي بين إبراهيم عليه السلام والنّجوم فيقول: "أنّه نظر إلى السّماء متفكّراً فيما يُلهيهم به، أي: رفع بصره إلى السّماء ... والمراد أنّه نظر إلى السّماء التي هي قرار النّجوم"[2]، وفي هذا المقام خصّ النّجم بالذّكر للدّلالة على أنّ الرّؤية حدثت عند انطماس اللّيل، ومهو وقت من أوقات اليوم.
- **الكوكب**: هو من كلمات القرآن، وقد وردت في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾[3]، ويتّضح كما قال "الطّاهر بن عاشور": "أنّه حصلت له رؤية الكواكب عرضا من غير قصد للتّأمّل، وإلّا فإنّ الأفق في اللّيل مملوء كواكب، وأنّ الكواكب حين رآه واضحا في السّماء مُشرقا بنوره، وذلك أنور ما يكون في وسط السّماء، فالظّاهر أنّه رأى كوكباً من بينها شديد الضّوء، فعن زيد بن علي أنّ الكوكب هو الزّهرة، وعن السدي أنّه المشتري، والكوكب: النّجم".[4]

بناءً على هذا القول، نخلص إلى أنّ الكوكب الذي رآه إبراهيم عليه السّلام، عندما خيّم الظّلام هو نفسه النّجم الذي في وضح النّهار، "فلمّ أفِلَ النّجم كان في حالة أفوله محجوباً عن الاطّلاع عن النّاس".[5]

- **اللّيل**: هو موطن الهدوء والسّكن، وراحة الأجساد من أرق النّهار لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾.[6]

---

[1]- الصافات 89/88.

[2]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 23، ص 141.

[3]- الأنعام 76.

[4]- المرجع السّابق، ج 07، ص 318.

[5]- المرجع السّابق، ج 07، ص 320.

[6]- النّبأ 11/10.

رأى إبراهيم عليه السّلام النّجوم عندما جنّ اللّيل في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾[1]، لأنّ النّجوم يظهر بريقها ولمعانها عندما تختفي الشّمس ويتبدّد الظّلام، ومعنى جنّ اللّيل أي: "أظلم إظلاما على إبراهيم عليه السّلام، أي: كان إبراهيم محوطا بظلمة اللّيل وهو يقتضي أنّه كان تحت السّماء ولم يكن في بيته".[2]

- **القمر**: أقسم الله تعالى بالقمر في عدّة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴾[3]، وقوله أيضاً: ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾[4]، ثمّ بيّن عظمة خلقه، حين يبتدئ هلالاً في أوّل الشّهر، ثمّ يكتمل في آخره بعد نموٍّ بطيء طيلة ثلاثين يوماً، وهذا التّطوّر والنّماء فيه سمّاه "بالمنازل" التي يمرّ بها في حياته لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾.[5]

وكذا قوله عن ظاهرة انشقاق القمر، التي ثبتت في عهد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وهي من الإعجاز الرّباني في قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[6]، وتُعدّ علامة على اقتراب السّاعة، ولعظمته أفرد الله سورة باسمه.

أمّا في قصّة القوم فيبدو أنّ تعظيمهم له وصل إلى حدّ تقديسه وعبادته، وقد استدرجهم إبراهيم عليه السّلام عندما رآه بازغاً، وعندما اختفى بيّن لهم أنّ العظمة تقتضي البَوْنَ والظّهور الدّائمين، لا الزّوال والاختفاء، وهذا ينتفي مع هيبة الرّبوبية لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[7]، فأفول القمر يدلّ أيضاً على حلول اللّيل.

---

[1]- الأنعام 76.

[2]- المرجع السابق، ج 07، ص 317.

[3]- المدثّر 32.

[4]- الانشقاق 18.

[5]- يس 39.

[6]- القمر 01.

[7]- الأنعام 77.

➢ **الشّمس**: إذا تفحّصنا القرآن الكريم، نجد أنّ الشّمس مقترنٌ ذكرها مع القمر في مطلق الأحوال، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِى فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ٣٣﴾[1]، وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِى لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾[2]، وقوله كذلك: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ﴾[3]، وقوله في آية أخرى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِى فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ٤٠ ﴾.[4]

والشّاهد في قصّة إبراهيم عليه السّلام أيضا، أنّه ربط بزوغ الشّمس بأفولها، ويُقصد بالبزوغ "ابتداء الشّروق"[5]، أمّا الأفول فهو "خاصّ بغياب النيرات السّماوية، يُقال: أفل النّجم وأفلت الشّمس، وهو المغيب الذي يكون بغروب الكوكب وراء الأفق بسبب الدّورة الدّموية للكرة الأرضية".[6]

أمّا قوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ ﴾[7]، نستشف أنّ إبراهيم عليه السّلام أكبر في عين قومه مكان الشّمس حين بزوغها "أي في الصّباح بعد أفل القمر، وذلك في إحدى اللّيالي التي يغرب فيها القمر قبيل طلوع الشّمس"[8]، ولكن سرعان ما كشف لهم عجزهم عند مغيبها، ليُدركوا في الأخير أنّ عظمة الإله لا تبيد، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ٣٧ ﴾.[9]

---

[1]- الأنبياء 33.

[2]- فاطر 13.

[3]- الأنعام 96.

[4]- يس 40.

[5]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 07، ص 321.

[6]- المرجع نفسه، ج 07، ص 320.

[7]- الأنعام 78.

[8]- المرجع السّابق، ج 07، ص 322.

[9]- فصّلت 37.

➢ **بدء الخلق وإعادته:**

زمن بداية الخلق هو نقطة انطلاق الحياة، وتبدأ من الولادة، وإعادته تنتهي بوفاته، حيث تُطوى ملفّات أعماله ... هذه المرحلة العمرية جُبلت على كلّ كائن حيّ نفخ الله من روحه، لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾.[2]

ومسألة بدء الخلق تعني "إيجاده بعد أن لم يكن موجودا"[3]، أمّا قوله تعالى مذكّرا قومه بعاقبة الذين طغوا من قبل: ﴿ أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾[4]، هي فترة زمنية يعيشها الإنسان تنتهي في أجل مسمّى عند الله "﴿ وَجِاْيٓءَ﴾ : يُبدِئُ" بصيغة المضارع لإفادة تُجدّد بدء الخلق، كلّما وجّه النّاظر بصره في المخلوقات... وأمّا جملة ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾، تُفيد أنّ إعادة الخلق بعد انعدامه ليست مرئية لهم ولا هم يظنّونها ... والأمر بإعادة الخلق أهمّ وأرفع رتبة من بدئه، لأنّه غير مشاهد، ولأنّهم ينكرونه ولا يُنكرون بدء الخلق.[5]

لذلك أخفى الله تعالى على عباده زمن الوفاة، ليمتحن عمارتهم في الأرض ويختبر أعمالهم.

➢ **الحلم:**

تعدّد مفهوم الحلم عند العلماء، حيث يُعرّفه "فرويد" فيقول أنّ الأحلام "رسائل كائنات إلهية فوق مستوى البشر".[6]

---

[1]- الروم 11.

[2]- غافر 11.

[3]- المرجع السّابق، ج 20، ص 229.

[4]- العنكبوت 20/19.

[5]- المرجع السابق.

[6]- سيفموند فرويد، تفسير الأحلام، تر: نظمي لوقا، دار الهلال، القاهرة، د.ط، 1996، ص 12.

أمّا في المفهوم السيكولوجي فهو "المادّة الأوّلية لفهم النّفس البشرية لأنّها حقيقة تُعبّر عن ذواتها، وما تحمله من تعقيد وترميز وتأويل، ويُستخدم الحلم على نطاق لا محدودة للّغة الرّمزية التي تبقى دلالتها في غالب الأحيان مجهولة".[1]

ويُستعمل الحلم بنفس استعمال الرّؤيا في معنيَيْهِما اللّغوي، فهما "عبارة عمّا يراه النّائم في نومه"[2]، إلّا أنّه ثمّة فرق جليٌّ بينهما مفاده أنّ "الرّؤيا الصّادقة تقع في اليقظة وفق ما وقعت في النّوم، وهي رؤيا الأنبياء، ومن تبعهم من الصّالحين"[3]، ولا تؤثّر إلّا من آتاه الله بقلب سليم، وذلك ما حدث مع سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، عندما أوحى إليه ربّه بذبح ابنه، فتلك الفترة الزّمنية المتكرّرة في النّوم دفعت إبراهيم عليه السّلام أن يُصدّق الرّؤيا ويُطيع الآمر.

وبناء على ما سبق، نستطيع القول أنّ الحلم هو فترة مقدّرة من الزّمن، يسترجع فيها النّائم حادثة جرت له في واقعه، أو ستتحقّق مستقبلاً، وقد يحدث في حال اليقظة.

➢ **البقاء:**

وردت لفظة "البقاء" في سورة الزّخرف عندما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةَۢ فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝٢٨﴾[4]، ويُقصد بالبقاء: الدّيمومة والاستمرارية في الشّيء، وهو ضد الفناء، كقولنا: "البقاء لله سبحانه"، أمّا بقاء الكلمة في الآية دلالة على أنّه "أعلن تلك المقالة في قوم معاصريه، وجعلها كلمة باقية في عقبه ينقلونها إلى معاصريهم من الأمم"[5]، بمعنى أنّه أصرّ على تبرئته من ذمّته من قومه، ونفض يديه من دعوتهم التي لا جدوى لها منهم، فاتّخذ القرار شعارا له في حياته، مطبّقا قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

[1]- كمال وهبي وكمال أبو شهدة، مقدّمة في التّحليل النّفسي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 68.

[2]- خالد بن بكر بن إبراهيم آل عابد، الرّؤى الصّادقة حجّيتها وضوابطها، دراسة أصولية فقهية في مجلّة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربية وآدابها، ج19، ع 42، رمضان 1428هـ، ص 07.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- الزخرف 28.

[5]- الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 25، ص 194.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[1]، أمّا قوله عن الكلمة التي تلفّظ بها تبقى في عقبه، بمعنى أنّها "تتوالى من بعده، فالعقب يُفيد التّتابع كقولنا: تعاقب اللّيل والنّهار، أي سيرورتهما بانتظام في الكون، أمّا "الطّاهر بن عاشور" جعلها هي وما يُرادفها قولا باقيا في عقبه على مرّ الزّمان، فلا يخلو عقب إبراهيم من موحّدين لله نابذين للأصنام".[2]

3/ الزمن النّفسي

يتعلّق بالجانب السيكولوجي للإنسان، وهو اللّحظة الشّعورية التي تعكس حالة يعيشها الإنسان في داخله، سواءٌ أكانت فترات تأزّم أو انفراج، "إنّه زمن نسبي داخلي يُقدّر بقيمة متغيّرة باستمرار بعكس الزّمن الخارجي الذي يُقاس بمعايير ثابتة"[3]، بمعنى أنّ النّفس البشرية ينتابها تغيّرات نفسية بحسب المواقف، فقد تعيش في اللّحظة الواحدة شعورين مختلفين، كما قد تتبدّل الأحاسيس وفق الظّروف، فالتّغيّر من حال إلى حال فطرة أودعها الله في خلقه ليختبر إيمانهم، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾[4]، واستخدمه الباحثون للدّلالة على "ما يشعر به عامّة النّاس في حياتهم اليومية ويقيسون عليه تقلّباتهم".[5]

دلّ الزّمن في قصّة إبراهيم عليه السّلام على حالات نفسية مختلفة نذكر منها:

---

[1]- المائدة 105.

[2]- المرجع السّابق، ج 25، ص 194.

[3]- مندلاو أ. أ مُحَمَّد بن موسى، مفهوم الزّمن في القرآن الكريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص 281.

[4]- البقرة 48.

[5]- مُحَمَّد باسل الطائي، توسّع الكون بين الغزالي وابن رشد، مجلّة آفاق الثّقافة والتّراث، الإمارات العربية المتّحدة، ع 46، 2004، ص 150.

➢ **الفرح:**

يعرّف "الرّاغب الأصفهاني" الفرح بأنّه: "انشراح الصّدر بلذّة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللّذات الدّينيّة والدّنيوية".[1]

ويقوم "ابن قيم الجوزية": "الفرح لذّة تقع في القلب بإدراك المحبوب، ونيل المشتهى، فيتولّد من إدراكه حالة تُسمّى الفرح والسّرور".[2]

ذُكر مصطلح "الفرح" في مشهد ضيف إبراهيم عليه السلام، لما زاروه حاملين إليه حسن البشارة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾.[3]

ولما أبصر إضرابهم عن الطّعام، أصابه رعبٌ، فطمأنته الملائكة ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾[4]، فنبأ وهب المولود بعد اليأس يبعث الفرحة العارمة في النّفس، وهو الشّعور نفسه الذي غمر قلب زوجة إبراهيم عليه السلام لما بلغها خبر الإنجاب ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾.[5]

ثمّ إنّ الملائكة حاولت أن تُهدِّئَ من روع لوط، عندما داق صدره بما فعله قومه من فاحشة، مستحياً منها لما حلّت عليه ضيوفاً ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾.[6]

أبعدت الملائكة فترتي الخوف والحزن من قلب لوط، حتّى تُشعره بالغِبطة والرّضا، ويستمرّ في الحياة بدون قوم ضالّين تحت راية الإسلام الوارفة.

---

[1]- أبو القاسم الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، دمشق، ط 01، 1412هـ، ج 01، ص 628، مادّة (ف، ر، ح)

[2]- ابن القيّم الجوزية، مدارج السّالكين، تح: محمّد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 02، 1393هـ/ 1973م، ج 03، ص 157.

[3]- هود 69.

[4]- الذّاريات 28.

[5]- الذاريات 29.

[6]- العنكبوت 33.

ويظهر الفرح في أسمى معانيه عندما يهب الرّب لعبده فداءً بدل ابنه الذي كان على مشارف الموت، لولا رحمة الله عليه في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾.[1]

إذا استحضرنا هذا الموقف العظيم، نخلص أنّ زمن النّجاة من الموت لا تُضاهيه فرحة، ولا سيما أنّ إنقاذ الرّوح كان في آخر لحظة يأس انقطع فيها الرّجاء.

➢ **الحزن:**

الفرحة والحزن شعوران متقابلان يتقاطعان في مسيرة الإنسان، فما يكاد يفرح المرء حتّى يأتيه الحزن بغتة يكسر خاطره، والحزن "عبارة عمّا يحصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي"[2]، وهو مرادف "الخشية" التي تعبّر عن "تألّم القلب بسبب توقّع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته، وخشية الأنبياء من هذا القبيل".[3]

تستوقفنا مشاهد حزينة في قصّة إبراهيم عليه السّلام، أوّلها عندما قرّر اعتزال أبيه وقومه لما استيأس منهم، حيث قال: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾[4]، فالفراق يبعث ألما وشوقا يذيبان القلب. وثانيها، عندما نهته الملائكة من القنوط، ودعته إلى التّفاؤل، فأجابها بنفس تسترجع أحزان الماضي: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾[5]، ثمّ يظهر موقف لوط عندما استاء من رؤية الملائكة خشية أن ترقب فاحشتهم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾[6]، لقد رصدنا لحظات حاسمة في الحزن، جعلت القارئ يتأثّر بها ويعيش أحداثها.

---

[1]- الصّافّات 107.

[2]- الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، ج 01، ص 86.

[3]- المرجع نفسه، ص 98.

[4]- مريم 48.

[5]- الحجر 56.

[6]- هود 77.

➢ **الخوف:**

يقول "الجرجاني": "الخوف توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب"[1]، فإذا اضطرب القلب من رؤية الخوف أو تذكّره، وهرب من حلول المكروه، فذلكم هو زمن الشّعور بالخوف، وقد ورد هذا المصطلح في مواضع كثيرة كقول إبراهيم عليه السّلام لأبيه على لسان ربّه متوسّلا إليه بالتّوبة: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾[2]، وكذلك ذُكر خوف إبراهيم من الملائكة لما رأى أيديهم لا تصل إلى الأكل –وربّما يرجع إلى خلقتهم التي تختلف عن خلقة البشر والله أعلم–؛ حيث قال عزّ وجلّ في شأنه: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾.[3]

وجاء الخوف مرادفاً للرّوع في قوله تعالى، واصفاً حالة الهلع التي أفاضت روح إبراهيم عليه السّلام من سلوك الملائكة: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾[4]، وقوله تعالى مطمئناً عباده الذين يخشون عذاب ربّهم بالفوز العظيم ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.[5]

➢ **الرّجاء:**

إذا خاف القلب من حدوث المعصية، تحقّق رجاء الله بطلب المغفرة، والرّجاء هو "ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده"[6]، وتعلّق الجوارح به، "إنّه حدث الظّن بالله تعالى في قبول طاعة وفّقت لها، أو مغفرة سيّئة ثبت عنها"[7]، فمادام العبد مستغفراً ربّه، ازداد رجاؤه وطمعه في رحمته، لقوله تعالى واصفاً أحوال عباده الأتقياء: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾[8] وقوله أيضاً: ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾.[9]

---

[1]– الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 101.

[2]– مريم 45.

[3]– هود 70.

[4]– هود 74.

[5]– الذاريات 37.

[6]– محمّد الغزالي، إحياء علوم الدّين، تح: الشحات الطحان، عبد الله المنشاوي، القاهرة، مكتبة منصورة، د ط، د ت، ج4، ص 198.

[7]– تقي الدين عبد الملك أبي المنى عبيد الضّريري، نزهة النّاظرين في الأخبار والآثار المروية عند الأنبياء والصّالحين، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط 3، 1373هـ/1954م، ص 254.

[8]– البقرة 218.

[9]– فاطر 29.

أمّا في السّند الذي هو موضوع دراستنا، ذكرت معاني الرّجاء في قوله إبراهيم عليه السّلام لأبيه: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾[1]، إلى أن يقول: ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾.[2]

يظهر التّضرّع إلى الكبير المتعال في أجلّ صوره، ويكون أقوى وأروع في لحظات الضّعف التي يحتاج فيها العبد البقاء بجوار ربّه.

➢ **الغضب**

يُحافظ الإنسان على هدوئه إذا اشتهت الرّياح سفنه، ويثور إذا أخفق في تحقيق مراد، أو حال بينه وبين مراده عائق، والله عزّ وجلّ يرضى عن عباده إذا أطاعوه وأخلصوا في عبادته، ويسخط إذا عصوه وتعدّوا حدوده. يقول الرّاغب الأصفهاني: "الغضب ثورات دم القلب وإرادة الانتقام... وإذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره".[3]

في قصّة إبراهيم عليه السّلام نوعان من الغضب؛ غضب الرّب، وغضب العبد، أمّا الأوّل يتجلّى في خطاب الله تعالى لعباده العاصين ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.[5]

تجسّدت في الآيتين السّابقتين مظاهر الوعيد من وهول العذاب لمن يحيد عن الحق ﴿ فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.[6]

---

[1]- مريم 47

[2]- مريم 48

[3]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه هيثم طعيمي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1428هـ/2008م، ص 375-376 مادّة (غ، ض، ب)

[4]- العنكبوت 23.

[5]- العنكبوت 25.

[6]- النّحل 106.

أمّا غضب العبد، فكان آزر أوّل ثائر على منهج الله؛ حيث ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[1]، ثمّ نرى اشتداد إبراهيم على عدول أبيه وقومه عن التّوحيد: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2]، يُبيّن هذا الفاصل الزّمني تصرّف إبراهيم عليه السّلام، عندما ينشهر بمقته الكبير لقومه وإعلانه عداوته لهم.

أمّا هيجان القوم كان أشدّ وطأ وأقوم قليلا على إبراهيم عليه السّلام لما كسر أصنامهم مُقسما ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[3]، فيردّ القوم باغتياظٍ: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾[4]وكذلك: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾.[5]

تُعبّر هذه المواقف عن فترات زمنية حادّة، بلغت ذروتها من الغضب "وإنّ التّلازم بين الزّمن والحدث الفنّي المصطنع تلازم ثابت في حيّز القصّة الفنّية".[6]

لقد عرضنا أحداثا ذكرنا فيها أحسم الأزمنة التي عُرضت على مسرح القصّة القرآنية.

خامسا/ المكان:

ينأى القرآن الكريم عن إيراد المكان جغرافيا لأنّه "مرآة صادقة للحياة الجاهلية، فهو يُصوّر الظّواهر الدّينية والعقلية والاجتماعية أبلغ تصوير، وقد اقتضت حكمة الله أن يبعث كلّ نبيّ في قومه، وفي البيئة التي نشأ فيها حتّى يعرف ما لا يعرفه الغريب عنها، فيكون تأثيره فيها قويّا"[7]، فقد ذكر المكان من وعي الشّعوب العقائدي والفكري والتّربوي، وصرف النّظر عن تفاصيل أخرى.

---

[1]- مريم 46.

[2]- الشعراء 75... 77

[3]- الأنبياء 57.

[4]- الأنبياء 68

[5]- الصافات 97.

[6]- خالد أبو الجندي، الجانب الفنّي في القصّة القرآنية، ص 113.

[7]- التّوهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص 194.

يُعرّف "الجرجاني" المكان فيقول: "عند الحكماء هو السّطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظّاهر من الجسم المحوي، والمكان عند المتكلّمين: هو الفراغ المتوهّم الذي يشغله الجسم، وتنفذ فيه أبعاده".[1]

تنوّعت دلالات المكان في قصّة إبراهيم عليه السّلام بتنوّع صيغها، ومن بين المكنة نذكر:

1/ المكان الصّريح المشاهد

يقول "عبد الكريم الخطيب": "يلتزم القرآن الكريم بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك في بيان الغرض المقصود من القصّة، ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة تفتقدهما الحادثة، إذا هي لم تجيء في صحبة المكان المنصوص على اسمه ولم تلبس به"[2]، وعليه يرصد القرآن الكريم بعض الأمكنة التي نذكرها بالعقل وتشاهد هذه الحواس، فالمكان الصّريح هو كلّ مكان "صُرّح به وباسمه في القصّة"[3]، ويكون ملموس غير مبهم.

ومن بين أنواع الأمكنة المصرّح بها في قصّة إبراهيم عليه السّلام:

أ: مكان العلو: هو كلّ ما دلّ على الاستعلاء كذكره عزّ وجلّ:

- **النّجوم**: التي تقع في السّماء، وذُكر النّجم مرّة واحدة في سورة الصّافات في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ ﴾[4]، والرّاجح أنّه خاطب ربّه رافعاً رأسه إلى السّماء، فتأمّل النّجوم التي تسكنها وتدلّ على عظمة الصّانع، كون النّجوم ترمز إلى الأعالي، والعلوّ من صفة الله، والإنسان أحوج أن يعلّق رجاؤه بناموس أعلى، يبثّ له ضعفه ويطمع في رحمته، ولعبد الرحمن الثّعالبي تفسيرا آخر: "أنّ القوم كان لهم عيد يخرجون إليه، فدعوا إبراهيم عليه الاسّلام للخروج معهم، فنظر حين إذٍ واعتذر بالسّقم، وأراد البقاء

---

[1]- الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، ج 01، ص 227.

[2]- عبد الكريم بالخطيب، القصص الكريم في منطوقه ومفهومه، ص 95-96.

[3]- الدّور الوظيفي للمكان في القصّة القرآنية على ضوء البنيوية التّكوينية قصّة نبيّ الله موسى عليه السّلام نموذجا، مركز جيل البحث العلمي، نُشر في 2012/09/04. secretaria@jlrc.com

[4]- الصّافّات 88.

ليُخالفهم إلى الأصنام، ورُوِيَ أنّ علم النّجوم كان عندهم متطوّراً فيه مستعملاً، فأوهمهم من تلك الحجّة".[1]

نلاحظ أنّ كلمة "النّجم" تضمّنت مدلولين: أوّلهما زماني، حين رمز إلى وقت اللّيل، وثانيهما مكاني، حين علم إبراهيم عليه السّلام أنّ قومه عبدة النّجم، نظر إلى ذلك المكان حتّى يوقعهم في شراك الإعتقاد المزيّف بأنّه يُقدّس آلهتهم –والله أعلم–

- **البنيان:** عندما همّ القوم بحرق إبراهيم عليه السلام، أوقفوه في أعالي البنيان، وسعّروا على جسده الشّريف ناراً، لقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا ﴾.[2]
- **السّماوات:** رفع الله تعالى السماوات السّبع من غير عمدٍ، فسوّاهنّ وجعلهنّ طبقاً فوق طبق، لا تميد إحداهنّ على الأخرى، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴾.[3]

ذُكرت لفظة "السّماء" منفردة في موضع واحد من قصّة إبراهيم عليه السّلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ ﴾[4]، فعذاب قوم لوط جاء من العلوّ، وهو حجارة من سجّيلٍ منضود أمطرها عليهم من السّماء لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ ﴾[5]، ووردت معطوفة على الأرض ليبيّن الله جنود السماوات الخفيّة وعُمّار الأرض، والبون الشّاسع بين المكانين كقوله: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾[6]، وقوله أيضا: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾.[7]

---

[1]– الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ص 33.

[2]– الصافات 97.

[3]– البقرة 29.

[4]– العنكبوت 34.

[5]– هود 82.

[6]– الأنبياء 56.

[7]– العنكبوت 22.

- **الجبل**: يدلّ على العظمة والشّموخ، حيث قال الله عزّ وجل للمتكبّرين: ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، ولما أراد موسى عليه السّلام أن يرى ربّه، وجّهه إلى قبلة عُظمى قائلاً: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ﴾[2]، لأنّ استقرار الجبل على الأرض ذلالة على عظمة الخالق ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾[3]، وما يدلّ على علوّ الجبال ما فعله سيّدنا نوح عليه السلام لما أبى أن يتّبع والده إلى السّفينة: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾.[4]

أمّا في قصّة إبراهيم عليه السّلام، وردت كلمة "جبل" في سورة البقرة، عندما أمره ربّه أن يقطع الطّير ويضع على كلّ جبل منهنّ جزءاً في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ﴾[5]، ليُبيّن له أنّ التئام الطّير بعد تقطيعها ووضعها في أعالي الجبل من معجزة الله في خلقه.

ب: مكان السّعة:

هو كلّ ما دلّ على الانفساح والرّحابة في العيش، وضدّه الشّدّة والضّيق، كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴾[6] وقوله أيضا: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ ﴾.[7]

وردت أماكن السّعة في عدّة صيغ نذكر منها:

- **الحياة الدّنيا**: هي نستقرّ الإنسان ومستودعه، يعيش فيها أجلاً مكتوباً عند الله ليستخلفه فيها، لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ ﴾.[8]

---

[1]- الإسراء 37.

[2]- الأعراف 143.

[3]- الأعراف 143

[4]- هود 43.

[5]- البقرة 260.

[6]- الطلاق 07.

[7]- النساء 130.

[8]- القصص 60.

الدّنيا واسعة وخير من عمّرها المصلحون لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.[1]

وسّع الله تعالى لنبيّه إبراهيم عليه السلام في الدّنيا أن وهبه إسحاق وحفيده يعقوب عليهما السلام، فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[2]، ثمّ وجّه لومه على عبدة الأوثان التي أحبّوها في دنياهم ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[3]، فالحياة طويلة وعمر الإنسان محدود، لذا وجب أن يغتنمه في الطّاعة.

- **الملك**: هو ثروة مادّية يهبها الله لمن يشاء من عباده ليختبر إيمانهم، ومن الملوك الذين حكموا الأرض وذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم أربعة: إثنان مؤمنان وهما: سليمان وذو القرنين، وإثنان كافران وهما النّمرود وبختنصر البابلي، أمّا المشار في القصّة هو الملك النّمرود الذي وسّع الله في رزقه لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[4]، قُصد بـ "الملك" الشّمولية في الرّزق من مال وذهب وفضّة وعقّار وغيرها، وانتشاره في كلّ مكان.
- **الفجّ العميق**: يدلّ على السّعة في التّوافد إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، من كلّ جنس ومن أيّ مكان في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا من وحي الله على نبيّه إبراهيم عليه السلام، الذي لا زال وسيظلّ ساري المفعول إلى يوم يُطوى سجلّ الإنسان لقوله تعالى: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[5]، و"الفجّ العميق" في تفسير "الطّاهر بن عاشور"، هو "الشقّ بين جبلين، تسير فيه الرّكاب، فغلب الفجّ على الطّريق، لأنّ أكثر الطّرق المؤدّية إلى مكّة تسلك بين الجبال، وأمّا "العميق" البعيد إلى

---

[1]- البقرة 201.

[2]- العنكبوت 27

[3]- العنكبوت 25

[4]- البقرة 258

[5]- الحج 27

أسفل، لأنّ العمق هو البعد في القعر، وقد يُطلق على السّفر من موطن المسافر إلى مكان آخر إصعاد، كما يُطلق على الرّجوع انحدار وهبوط".[1]

كانت أمكنة تعلّقت بالوافدين إلى مكّة لأداء فريضة الحج، الذين أتوها جماعات وفرادى من كلّ بقاع الأرض.

- **الضّامر**: ذكر الله تعالى أسماء النّاس الذين يقصدون بيت الله الحرام في الآية الكريمة ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾[2]، المقصود "يأتوك رجالا" أي: "يأتيك من لهم رواحل ومن يمشون على أرجلهم"[3]، وهي جمع راجل وضدّ راكب، أمّا قوله: ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ ﴾ "وكأنّه قال، وعلى كلّ راحلة".[4]

ذكر الله تعالى أصناف المشاة إلى بيته، وبيّن مدى تعلّقهم به.

ج: مكان السّفل:

يُقصد بالسّفل "المنخفض" والمراد به في السّند: الأرض التي جعلها الأرض ذلولاً لعباده ليبتغوا فيها الرّزق، لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾[5]، آمراً عباده أن يُصلحوا فيها ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾[6]، جاءت كلمة "الأرض" مقترنة بالسّماوات في عدّة مواضع من القرآن الكريم –كما سلف الذّكر– ووردت منفردة كقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ ﴾[7]، ويقصد بالأرض "الشام" التي هاجر فيها إبراهيم عليه السلام مع زوجه مصطحبا لوطا فرارا بدينه، وكذا قوله تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[8] ليتأكّدوا من حقيقة الخلق.

---

[1]– الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج 17، ص 245.

[2]– الحج 27.

[3]– المرجع السّابق، ج17، ص 243.

[4]– المرجع نفسه، ج 17، ص 244.

[5]– البقرة 22.

[6]– البقرة 30.

[7]– الأنبياء 71

[8] – الأنعام 11.

د: مكان الضّيق:

هو ضدّ مكان السّعة، ويُقصد به كلّ موضع رتّب في الحضيض، ولم ينل قسطا من الثّواب، إمّا لعقاب أو ابتلاء صاحبه، كقوله تعالى للقوم عندما كادوا لإبراهيم عليه السّلام: ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾[1]، "فالأسفلين" لفظة استعملت للدّلالة على أدنى درك للطّاغين يوم القيامة.

هـ: المكان المبارك:

هو المكان الذي قدّسه الله تعالى، وقد أشار إلى الكعبة باسم "البيت المحرّم" الذي جعله الله تعالى قبلة للنّاس، فكان "مرجعا يتوبون إليه بحصول منافعهم الدّينية والدّنيوية، يأمن به كلّ أحد حتّى الوحش وحتّى الجمادات كالأشجار، ولهذا كانوا في الجاهلية على شركهم يحترمونه أشدّ الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، فلّما جاء الإسلام زاده حرمة وتعظيماً وتشريفاً وتكريما"[2]، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا ﴾[3]، بمعنى أنّه عزّ وجلّ "جعل قصده ركناً من أركان الإسلام حاطّا للذّنوب والآثام، وفيه من آثار الخليل وذرّيته ما عرف به إمامته وتُذكّرت حالته"[4]، فإمامة إبراهيم عليه السّلام تعلّقت بالبيت الذي جيء بمرادفه من قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا ﴾[5]، يقول "يوسف سليمان الطحّان": أنّ في الآية "دلالة اقترانية، فقد اقترن البلد بالأمن من خلال دعاء إبراهيم عليه السّلام".[6]

كما ذُكرت الأرض المباركة في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[7]، ويُقصد بها الشّام، حيث "غادر إبراهيم عليه السّلام قومه في بابل من أرض العراق

---

[1]- الصّافّات 98.

[2]- عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنّان في تفسير القرآن، ص 91

[3]- البقرة 125.

[4]- المرجع السّابق ص 91

[5]- البقرة 126.

[6]- يوسف سليمان الطحان، السّمات الأسلوبية في القصة القرآنية قصّة إبراهيم عليه السلام أنموذجا، مجلّة أبحاث كلّية التّربية الأساسية، جامعة الموصل (كلية التربية الإسلامية)، المجلّد 10، العدد 03، ص 03.

[7]- الأنبياء 71.

وقال: إنّي مهاجر إلى ربّي، ومن بركة الشّام أنّ كثيرا من الأنبياء كانوا فيها، وأنّ الله اختارها مُهاجَرا لخليله، وفيها أحد بيوته الثّلاثة المقدّسة وهو بيت المقدس"[1]، فنبيّ الله هاجر أرض السّوء الفاسق أهلها إلى أرض مباركة طيّب قومها، فاستبدله الله مكانا أراح نفسه، وعاد عليه وعلى أهله بالخير.

ومن بين الأمكنة المباركة مقام إبراهيم الذي أوصى الله تعالى أن يتّخذوه مُصلّى؛ حيث قال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾.[2]

وفي هذا المكان تأويلان: "يُحتمل أن يكون المراد بذلك المقام المعروف الذي جعل الآن مُقابل باب الكعبة، وأنّ المراد بهذا ركعتا الطّواف يُستحبّ أن تكونا خلف مقام إبراهيم، ويُحتمل أن يكون المقام مُفرداً مُضافاً، فيعمّ جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلّها من الطّواف والشّعر والوقوف بعرفة ومزدلفة ورمي الجمار والنّحر وغير ذلك من أفعال الحج، والمصلّى أي معبداً أي اقتدوا به في شعائر الحج".[3]

أمّا الوادي الذي تحدّث عنه في الآية: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾[4] يقع في مكّة المكرّمة بتفسير الطّاهر بن عاشور، عمّه الجفاف والقحط وكان مستقرّاً هاجر وابنها إسماعيل عليهما السّلام.

2/ المكان الصّريح الغيبي:

اشتمل القرآن على أماكن متداولة لدى النّاس، أدركوها بالتّربية الدّينية التي اكتسبوها من المحيط، ثمّ بالتّعليم التّربوي في المؤسّسات، لكنّهم لا يستطيعون رؤيتها بالعين المجرّدة لأنّها من الغيبيات التي أخّرها الله تعالى إلى يوم الدّين، "وقد استخدم الأسلوب الغيبي في سائر الأنباء التي قصّها، وكان الزّمن

[1]- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، ص 1075.

[2]- البقرة 125.

[3]- المرجع السابق، ص 91.

[4]- إبراهيم 37.

الماضي البعيد الموغل في القدم نصرا أصيلا بارزا من عناصر الإعجاز الغيبي فيه"[1]، ومن الأماكن الواردة في قصّة إبراهيم عليه السّلام الصّريحة الغيبية نذكر:

أ: مكان البقاء:

المراد به مصير العباد، والملجأ الذي ينتهي إليه كلّ فرد وهو الدّار الآخرة، وقد ذكرت في القرآن الكريم باسمها وبمرادفاتها، كقوله تعالى عن "الآخرة": ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] وقوله بلفظ "يوم القيامة": ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم ﴾.[3]

وورد بعبارة "يوم يُبعثون" في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، و"بيوم الحساب"، كقوله: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.[5]

ب: مكان النّعيم:

الدّنيا دار امتحان إمّا ناجٍ أو هالك، فجنّةٌ أو نار، والنّعيم ما حُقّ للمؤمنين من ثواب قام به في دنياه، فغنم به في أُخراه.

ومن الأمكنة الدّالة على النّعيم في الصّريح الغيبي قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾[6]، وقوله أيضا: ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[7]، ذكر في هذه الآية اسمي مكان أوّلهما قياسي "المولى" على وزن "مَفْعَل"، فالله مولانا نلتجئ إليه في كلّ حوائجنا، والثّاني سماعي "النّصير" الذي دلّ على أنّه عزّ وجلّ موضع نُصرتنا إن آمنّا واستقمنا.

---

[1]- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص 89.

[2]- العنكبوت 27.

[3]- العنكبوت 25.

[4]- الشعراء 87.

[5]- إبراهيم 41.

[6]- الشعراء 85.

[7]- الحج 78.

3/ المكان الضّمني المشاهَد

سبق وأن أشرنا أنّ المكان المشاهد هو ما استطعنا رؤيته والذّهاب إليه، أمّا الضّمني "هو الذي لم يُذكر بشكل صريح، وإنّما توصّلنا إلى وجوده من خلال سياق الكلام"[1]، بمعنى أنّه يُلمّح إلى المكان بقرينة تدلّ عليه دون التّصريح باسمه.

ومن أمثلة هذا النّوع من الأمكنة ما دلّ على:

أ: مكان الهلاك:

هو ما خصّ به عباده الذين سخط عليهم في دنياهم لسوء أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ۝٧٠ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ۝٦٠ ﴾[3]، فكلمتا "الأخسرين" و"الغابرين" دلّتا على نار جهنّم التي لم يُصرّح بلفظها، وجيء بلازم معناها وهو: "الخسران" و"الغبران".

وهناك ما يدلّ على مقرّ الهلاك في خطاب إبراهيم عليه السّلام مع قومه ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ۝٥٤ ﴾[4]، فالضّلال المبين يُفسّر أنّهم اتّبعوا تصوّرا خاطئا ومنهجا خاسرا، وكذلك ينفي وجود مددٍ عن غيره سبحانه، وأنّ كلّ من على الأرض هالكٌ، إلّا من اعتصم به، اتّبع نهجه لقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ۝٢٢ ﴾.[5]

ب: مكان الإنابة:

هو العودة إلى الحق والتّوبة عن الباطل، كما ورد في قول إبراهيم عليه السّلام لأبيه لما حاول هدايته: ﴿ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا۝٤٣ ﴾[6]، فالصّراط السّوي لا يُقصد به الطّريق المستقيم، بل

---

[1]- الدّور الوظيفي للمكان في القصص القرآنية على ضوء البنيوية التّكوينية.

[2]- الأنبياء 70.

[3]- الحجر 60.

[4]- الأنبياء 54.

[5]- العنكبوت 22.

[6]- مريم 43.

استعمل اللّفظ استعمالا مجازيا للدّلالة على الاستقامة، كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[1]، ثمّ قوله عز وجل في شأن القوم الذين بُهتوا لما أمرهم إبراهيم عليه السلام أن يُنطقوا كبير أصنامهم: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾[2]، وقوله كذلك: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾[3]، نفهم من القولين أنّ الرّجوع إلى النّفس ونكس الرّأس عند النّدم من الغفلة، من مواقف الإنابة والعودة إلى الله.

ج: مكان الاغتراب:

يُعرّفه "أبو بكر مرسي" بأنّه "شعور الفرد أنّه غريب عن ذاته، لا يجد لنفسه كمركز لعالمه، وأنّه خارج عن الاتّصال بنفسه كما هو خارج عن الاتّصال بالآخرين"[4]، يظهر الاغتراب عندما انسلخ إبراهيم عليه السّلام عن قومه وأهله، حين شعر بالاضطهاد والظّلم؛ حيث قال على لسان ربّه: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[5]، أيضا: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾.[6]

ويكون الاغتراب مفروضا من أبٍ لابنه لما يُفرط في الالحاح عليه بالتّوحيد، فيقول: ﴿ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ ﴾.[7]

4/ المكان الضّمني الغيبي

صوّر القرآن الكريم الأماكن الغيبية والمتخيلة التي تتحدّث عن أهوال يوم القيامة ونعيمها، والمكان الغيبي هو "الذي ذُكر في القصّة لكن الإنسان لم يستطع رؤيته إلّا بعد أن ينقضي أجله في هذه الدّنيا"[8]، وممّا ورد في السّند نذكر:

---

[1]- الفاتحة 06.

[2]- الأنبياء 64.

[3]- الأنبياء 65.

[4]- أبو بكر مرسي، أزمنة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النّفسي، مكتبة النّهضة المصرية، مصر، ط 1، 2002، ص 58.

[5]- مريم 48.

[6]- الصافات 99.

[7]- مريم 46.

[8]- الدّور الوظيفي للمكان في القصص القرآنية على ضوء البنيوية التّكوينية.

أ: مكان الجزاء:

كلّ فرد يأخذ نصيبه ممّا قدّمه، لأنّ الجزاء من جنس العمل، وإذا أردنا أن نُحدّد معنى للجزاء فهو في مفهومه العام يعني "المكافأة على الفعل، وفي الآخرة هو ما أعدّه الله تعالى من نعم أو عذاب".[1]

من أمكنة الجزاء المذكورة في قصّة إبراهيم عليه السّلام ما يدلّ على العذاب كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[2] وقوله: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[3]، وقوله كذلك: ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ۝٧٦﴾.[4]

نلاحظ أنّ مواضع العذاب تكرّرت في عدّة آيات، وكلّها تدلّ على نار جهنّم، وهي من الغيبيات التي آمنّا بها من الوحي الإلاهي، وهناك آية أخرى رمزت إلى المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَيۡسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾[5]، فالخروج من رحمة الله دلالة على دخول أصحابها النّار.

ب: مكان السّلام:

هو موضع الأمان والاستقرار، ولنا في السّند أحاديث عن أماكن الرّضا وحسن العاقبة، لمن أعدّ صالحا في دنياه كقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾[6]، وقوله: ﴿ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾[7]، نلاحظ في الآيتين عدم التّصريح بمحلّ السّلام ألا وهو الجنّة، بل أشار إلى حال أهل الجنّة وما ينعمون به من رحمة ربّهم وسلام وضعهم، كما دعا إبراهيم عليه السّلام ربّه أنّ يُنزله منزلة الرّاضين عليهم في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ۝٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ۝٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ۝٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ۝٨٩ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ۝٩٠﴾[8]، فرفع الله مقامه واصطفاه على العالمين.

---

[1]- إسلام ويب مركز الفتوى، مفهوم البعث والجزاء لغة واصطلاحا، رقم الفتوى 1791-1، تاريخ النّشر: الأحد 16 ذو القعدة 1420هـ/25-11-2007 https://www.islamweb.net

[2]- مريم 45.

[3]- العنكبوت 21.

[4]- هود 76.

[5]- العنكبوت 23.

[6]- مريم 50.

[7]- العنكبوت 21.

[8]- الشّعراء 83.

الفصل الثّاني:
أسلوبية الخطاب في قصّة إبراهيم عليه السّلام

مرتكز معرفي:

لقد أحكم بناء الخطاب القرآني في التّأليف كما أحكمت القصّة القرآنية؛ حيث نجد فيها الدقّة في التّعبير والإحكام، حتّى لا يصحّ أن يقع لفظ مكان آخر، تقول "عائشة عبد الرّحمن" "ما بهرني من أسرار له بيانية القرآن في اللّفظ لا يقوم مقامه سواه، وفي الحرف لايؤدّي معناه حرف آخر، وفي الحركة أو النّبرة تأخذ مكانها في النّظم الباهر...".[1]

وبما أنّ لكلّ لغة روائع من آدابها تعتبرها النّماذج العالية لذوقها الأصيل، فإنّ القرآن يعدّ الكتاب الأوّل الذي يجسّد الذّوقية المثالية لأمّة العربية قاطبة، سواء كانت جمالية فنية أو أدبية أو بلاغية أو لغوية...إلخ، فهو كتاب منزّه منزل من السّماء، واضعه هو الله.

يرى "السلامي" بأنّ "التّناسق الفنّي في القرآن نابع من طبيعة اللّغة العربية، وفطرة عقلية العرب البيانية"[2]، هذا ما جعل القرآن معجزة الرّسول ﷺ إلى العرب؛ حيث أنّهم لبسوا جميع ألوان البيان والفصاحة، وتذوّقوا كلّ النّكهات، فأصبحوا أمراءها وسادة البلاغة دون منازع.

يذهب "سيّد قطب" إلى أنّ "التّصوير للمعاني الذّهنية والحالات النّفسية، وإبرازها في صور حسية كسمة أولى للتّعبير القرآني"[3]، إنّه يرى بأنّ "المعاني في صورتها التّجريدية تخاطب الذّهن الواعي وتصل إلى النّفس من منافذ شتّى من الحواس بالتّخييل والإيقاع، ومن الحسّ عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأضواء والأصداء ويكون الذّهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النّفس".[4]

إنّ أبرز الظّواهر القرآنية هي جمالية النّظم القرآني، وذلك بسبب ما استعملته من مواد العربية الأولى نحو المفردة والتّركيب والصّورة الأدبية، ولكن في آفاق الإعجاز الإلهي الدّائم.

---

[1]- عائشة عبد الرّحمن، التّفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط 07، ص 18.

[2]- عمر السلامي، الإعجاز الفنّي في القرآن، مؤسّسات عبد الكريم عبد الله، تونس، 1980م، ص 163.

[3]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، ص 196.

[4]- حنان أحمد غنيم، التّصوير الفنّي في شعر سيّد قطب، إشراف: كمال غنيم، رسالة ماجيستير، تخصّص: الأدب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزّة، 1428هـ/2007م، ص 14.

يقول "تهامي نقره" "أنّ تراص الألفاظ، والأحكام في صوغها، وإنّ ضخامة المعنى وغزارته وخصوبته، وتشبّع الأجزاء بإيضاحات للهيكل العام للفكرة، تسهم في إبراز الصّورة للعبارة بمعانيها الجمالية ومواطن قوّتها.[1]

أوّلا: أنواع الخطاب في القصّة القرآنية:

لقد تعددت أنواع الخطاب داخل قصّة إبراهيم عليه السّلام، ذلك لخوضه عليه السّلام صراعات ونزاعات مع الشّخصيات التي قاسمته أطراف القصّة فاختلفت وتيرة الخطاب ونوعه الذي كان جزءا لا يتجزّأ من تلك المشاهد المكوّنة للحلقات، وما رصدناه من خلال قراءتنا في تلك المشاهد هي ثلاثة أنواع من الخطابات: خطاب الجدل ، خطاب الحجاج، خطاب التهكم.

1/ خطاب الجدل:

إن الفكر الجدلي هو فكر إنساني قائم على مبدأ المفاضلة والبقاء للأجدر حيث يحاول كلّ طرف تسويق فكره ومنطقه للآخر بمنطلق البقاء للأقوى والأقوم طريقة على أسس سليمة في تسويق الأراء والأفكار.

عرَّفَ "الباجي" الجدل بأنه "تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه".[2]

يقول "الجويني" عن الجدل: " إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة".[3]

[1]- تهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص 134.

[2]- أبو الوليد الباجي، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ص 11.

[3]- الجويني إمام الحرمين، الكافية في الجدل، تح: فوقية حسين محمود، عيسى الباهي الحلبي وشركائه، 1399هـ/1989م، ص 30.

يقول "الجرجاني" عن الجدل: "هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان أو هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة".[1]

ولقد عرّفه "أرسطو" قائلا: "نمط من التفاعل خاضع لقواعد يقابل بين طرفين المجيب الذي عليه أن يدافع عن تقرير معين والسائل الذي عليه أن يهاجمه".[2]

كما يعتبر "فرانشفيغ" الجدل تقنية نقاش بين طرفين بواسطة أسئلة وأجوبة قصيرة[3]، ويرى كلا من "شارودو" و "منغونو" أن الجدل يشير إلى شكل خاص من التحاور يدور بين طرفين، ويهيكل التبادل فيه حسب أدوار خصوصية وموجه نحو البحث المنظم عن الحقيقة.[4]

إذن فالجدل مبدأ للنقاش والمناظرة بين أطراف على وجهات نظر مختلفة وكل طرف فيها يحاول إثبات نظرته الصحيحة، ومن مرادفات الجدل الفتل والصرع والمناظرة وكذلك المكابرة، إذا علم المجادل بفساد كلامه وصحة كلام خصمه وأصر على المنازعة، وكذلك المعاندة وهي المجادلة مع الجهل بالقضية التي يجادل فيها.[5]

لقد ورد الجدل في القرآن الكريم في مواضع عديدة؛ حيث دلّ في معظم تلك الحالات على النقاشات والمنازعات المذمومة والتي تحمل في طياتها الأنانية وحبّ التصدر وكذا اتباع الأهواء – "ذكر

---

[1]– السيد الشّريف علي الجرجاني، التّعريفات، مكتبة ريجيا موناسيس، رقمنة من قبل جوجل، ص 79.

[2]– شارودو و مغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر مهيري و حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدّين الشّريف دار سيناترا، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، 2008م، ص 169.

[3]– المرجع نفسه، ص 170.

[4]– المرجع نفسه، ص 169.

[5]– ينظر: أحمد إدريس الطعان، منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنّة النّبوية، كلية الشّريعة، جامعة دمشق، 18 ديسمبر 2019م، ص 02.

الجدل في تسعة وعشرين موضعا منها خمسة وعشرون موضعا كان الجدل فيها مذموما ومنها أربع مواضع كان الجدل فيها محمودًا-".[1]

لقد تعددت آليات الجدل في قصة إبراهيم عليه السلام ولأن الجدل مطلعه التّشبّث بالرأي بدون حجة عقلية، حسب المواضع الذي ذكر فيه في القرآن -فقد لمسناه في مواضع شتى من خلال قراءتنا لقصة إبراهيم عليه السّلام، فالنّزاع والنّقاش الذي كان يدور بينه وبين قومه وأبيه كان جدالا من قبلهم لأنهم اعتمدوا رأيا باطلا خارجا عن نطاق الصدق، بل كانوا يجادلون لأجل المجادلة وتتبع أهوائهم.

وما رصدناه من خلال التّمعّن في النصّ الخطابي هو إجحاف القوم وتعدد أنواع الجدل من قبلهم على عكس إبراهيم عليه السلام الذي كان متمسكا بنوع آخر من الخطاب الذي يلامس فيه العقل والمنطق، قال تعالى: ﴿ ۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ۝٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ۝٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ۝٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ۝٥٥﴾.[2]

قال تعالى: ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ۝٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ۝٦٨ ﴾.[3]

في هذه الآيات نجد تمكين إبراهيم عليه السلام الرشد من قبل ربه أنه وهب له الحجة المنطقية والعقلية ليجادل بها قومه التي كانت لهم حجة واهية فقد كان الجدال من قبلهم ضعيفا تابعا لأهوائهم جدال يقوم على صنيع الأباء الذين كانوا يعبدون الأصنام وما كان منهم إلا أنهم اتبعوهم "هذا الجواب يدّل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة مقابل حريّة الإيمان"[4]، وعندما

[1]- المرجع نفسه، ص 04.

[2]- الأنبياء 55/51.

[3]- الأنبياء 68/67.

[4]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 3077.

لم يستطيعوا إقناع إبراهيم بحجتهم الواهية ذهبوا إلى استخدام القوة، حيث يقول "ابن كثير": "لما دحضت حجتهم وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم".[1]

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾.[2]

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾.[3]

كذلك في هذه الآيات نجد مجادلة أبيه؛ حيث يتوعّده بالعقاب والقتل إن لم يترك هذه العبادة الجديدة والدّعوة لها، والعودة لعبادة آلهته بعدما أنكر الحجج التي قدّمها له إبراهيم عليه السّلام جدالا وتكابرا، فجداله لم يكن إلّا تشبّثا برأيه وأهوائه بعيدا عن المنطق العقلي أو الحكيم فهو مجاري لقومه ليس إلّا، وقد حاول استخدام الضّغط العاطفي على إبراهيم ليعيده إلى ملّته، لأنّه يعلم أنّ إبراهيم عليه السّلام كان ابنا بارّا مطيعا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.[4]

وفي هذه الآية يذكر الله تعالى حادثة مجادلة المشركين للنبي ﷺ في نسب إبراهيم إلى اليهود والنصارى فكل فريق يجادل فيه بغير الحق، وكان الجواب قاطعا داحضا لنظريتهم لأنهم جادلوا بغير علم بعيدا عن الحجة العقلية بل اتباعا لأهوائهم.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ ﴾.[5]

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 03، ص 1905.

[2]- مريم 42.

[3]- مريم 46.

[4]- البقرة 139.

[5]- البقرة 258.

هذه الآيات تضم نوعا آخر من الجدال يعدّ أكبر من الجدل الذي قام بينه وبين قومه وأبيه لأنه قام بينه وبين الملك الذي يدعي الربوبية فهذه مناظرة بين أسلوبين من الجدل جدال متعصب لفكرة بأدلة باطلة وجدال بالمقابل يكون بحجج عقلية ومنطقية هو جدال حجاجي يلزم صاحبه التصديق واللّجوم، لأنّ قوّة الصّدق هي حاضنته؛ حيث أن هذا الملك وبسبب ما أعطاه الله من ملك وجاه وجد نفسه في مقام الاله وهو المنازع لهذه الخاصيّة –الألوهية– لأنه يملك زمام حياة قومه فهو من يقرر مصيرهم بالحياة والموت على حسب تفكيره ولكن إبراهيم عليه السلام صحح فكرته بصورة أخرى عجز عن إدراكها.[1]

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝٧٦ ﴾.[2]

هذه مجادلة خاصة ليست بمبدأ التعصب لفكرة خاطئة ولكن تعصب بمبدأ الرأفة والرحمة والودّ فهو عندما سمع خبر قوم لوط ساءه ما سيحدث لابن أخيه وقومه من وراء إرسال الملائكة من هلاك واستئصال وطبيعة إبراهيم الرحيمة الودودة لا تجعله يطيق هلاك القوم واستئصالهم جميعا ولأن الله وصفه بالحليم الذي يحتمل أسباب الغضب فيصبر ويتأنى، والأواه الذي يتضرع في الدعاء من التقوى والمنيب الذي يعود سريعا إلى ربه فهذه الصفات كلها قد دعت إبراهيم إلى مجادلة الملائكة في مصير قوم لوط، فجاءه الرد بأن أمر الله فيهم قد قضي وأنه لم يعد للجدال مجال، فسكت السياق، وقد سكت إبراهيم ولاشكّ".[3]

المجادلة التي كانت بين المشركين وبين إبراهيم عليه السّلام كانت غير متوازنة؛ حيث يعد خطاب المشركين جدالا غير عقلاني في حين قابلهم إبراهيم عليه السّلام بخطاب من نوع آخر هو الجدال الحجاجي الذي ألزمهم به اليقين حتى وإن أنكروا تعاليا وتكابرا وليس بمنطق العقل.

---

[1]– ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 544–545.

[2]– هود 74/76.

[3]– ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 2543.

2/ خطاب الحجاج:

لقد كان الجدل بين إبراهيم وقومه جدالا مستمرا متواصلا حيث استمرت دعوة إبراهيم وتواصل جحود قومه وتعنتهم وكما قلنا آنفا فإن جدال قومه ماكان إلا تكابرا وتغلظا من قبلهم فيما قابلهم إبراهيم عليه السلام بخطاب حجاجي عقلي؛ حيث اعتمد على الحجج المقنعة الملامسة للعقل والمنطق.

يعد الحجاج أسلوبا كلاميا يعتمد على الحجج العقلية والمنطقية في إقناع الأطراف الأخرى المشاركة في الجدال، ولقد عرفه العلماء أنه "التعبير عن وجهة نظر في ملفوظات عديدة أو ملفوظ واحد بل حتى في كلمة واحدة وكذلك طريقة خصوصيتة في تنظيم مجموعة ملفوظات"[1]، والحجاج نشاط اجتماعي يعتمد على الكلام والحوار المتبادل في نقل الأفكار وذلك باستخدام الحجج والدلائل.

عرّف اللسانيون الحجاج بأنه "فعل كلامي أو بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات محتملة وكائنة، يهدف إلى دفع الفاعلين في مقام خاص إلى القيام بأفعاله إزاء موقف كان موجودا ومحتملا فأساسه قائم على الجدل والمخاطبة".[2]

يقول "جان بليز غريز" عن الحجاج: "تمش يرمي إلى العمل على التأثير في رأي شخص أو موقفه بل وحتى سلوكه"[3]، ومنه الحجاج أسلوب كلامي يرمي للإقناع بفكرة خاصة من أجل تغيير سلوكيات المتلقي، فالحجاج يؤثر في سلوك الفرد مثل تأثيره في فكره وإحساسه.

---

[1]- منغونو و شارودو، معجم تحليل الخطاب، ص 68.

[2]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 01، 2009م، ص 105.

[3]- المرجع نفسه، ص 69.

يقول "فان ايميران": "الحجاج نشاط لغوي واجتماعي غايته دعم أو إضعاف مقبولية وجهة نظر متنازع فيها لدى مستمع أو قارئ وذلك بعرض كوكبة من القضايا قصد تبرير أو دحض هذه الوجهة أمام قاص عقلاني".[1]

يرى "شيفرين" أن الحجاج خطاب يدافع المتخاطبون بواسطته عن مواقف قابلة للنقاش[2]، ينبني على هذا أن الحجاج عند الغربيين أسلوب كلامي خطابي، يقوم على مبدأ المناقشة والحوار، يستخدم فيه الأطراف وسائل إقناعية، سواء منطقية أو عقلية أو كلامية توصل إلى قبول فكرته وسلوكه، وتبريرها للأطراف الفاعلة في الخطاب.

أمّا بالنّسبة للحجاج عند العرب فهو القائم على الحجة والبرهان وقد استخدم الحجاج في القرآن من جانب المشرع بوجهين فقد كان محاجة من قبل المشركين بحجج واهية وحجاج من قبل رسل الله والمؤمنين بدلائل قوية ومنطقية صائبة.

تقول "لمهابة محفوظ ميارة" "أن الحجاج القرآني هو الحوار الذي يراد به الإبانة والإبلاغ وذلك باستخدام الدلائل العقلية والعلمية واللغوية والفطرية والواقعية، والبينات القرآنية والكونية في الأنفس والآفات، إثباتا لحقيقة الاسلام والايمان بالله ولقائه ورسله وجزائه وقضاياه الآخرة بعثا وحشرا ونشرا وعرضا وحسابا ومصيرا".[3]

وتكلّم العلماء عن الحجج والبراهين الذي تناولها القرآن؛ حيث قال نجم الدّين الطوفي "اعلم أنّ القرآن العظيم قد شمل على جميع أنواع البراهين والأدلّة، وما من برهان ودلالة وتقسييم وتحديد شيء من كليّات المعلومات العقليّة والسّمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به"[4]، أما عن تلك الحجج التي استخدمها المتحاجّ في القرآن –الرّسل فقال عنها "سيد قطب" هي لمس البداهة وإيقاظ الاحساس

[1]– المرجع السّابق، ص 70.

[2]– المرجع نفسه، ص 72.

[3]– لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مجلّة مجمع اللّغة العربية بدمشق، المجلد 81، ج 03، ص 552.

[4]– جلال الدّين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشّؤون الإسلامية والدّعوة والإرشاد، المملكة العربية السّعودية.

لينفذ منهما مباشرة الى البصيرة وكانت مادّتهم المشاهد المحسوسة والحوادث المنظورة والحقائق البديهيّة الخالدة التي تدركها الفطرة المستقيمة.[1]

وقد تحدّث "لطفي فكري" عن الخطاب القرآني الإقناعي الحجاجي بخصائصه التي تميّزه من جهة التّأثير والإقناع؛ حيث أن التأثير يخاطب القلب والوجدان، أي يخاطب في الانسان إنسانيته ومشاعره المختلفة من الخوف والحذر والاشفاق وغيرها...، أمّا الاقناع فيخاطب في الانسان عقله المفكّر الذي يخبر الفكرة ويتفحّصها حتّى اذا اقتنع بها استقرت يقينا.[2]

وعرّفه بعض العلماء القدامى –الجدل الحجاجي– "تحقيق الحق، وتزهيق الباطل"[3]، كما عرف الحجاج عند "طه عبد الرحمن" "أنّه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي، قائم بلوغه على التزام صور استدلاليّة".[4]

ولقد عرّف "أبو بكر العزراوي" الحجاج قائلا عنه: "خطاب يعتمد على آليات التّقديم والتسلّل والترتيب والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع".[5]

والخطاب الذي كان من قبل إبراهيم عليه السّلام هو خطاب حجاجي إقناعي؛ حيث استوفى كل شروط الجدال الحجاجي لما يحمله من أدلّة وبراهين منطقيّة ملامسة للعقل والوجدان رغم أنّ جدال قومه كان عكس ذلك، وكان عدم اقتناع قومه ليس بمبدإ عدم التّصديق ولكن بسبب الغلو في الكبر والطّغيان وتعنّتهم لأهوائهم.

---

[1]– ينظر: سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، ص 229.

[2]– ينظر: لطفي فكري، جمالية الخطاب في النصّ القرآني، 104.

[3]– الجويني، الكافية في الجدل، ص 47.

[4]– حياة دحمان، تجلّيات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، إشراف: عز الدّين صحراوي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434هـ/2013م، ص 90.

[5]– المرجع نفسه، ص 94.

من خلال تتبّعنا لمسار الخطاب الحجاجي لمسنا أنّ الحجاج كان له ثلاثة ألوان تداولته معظم شخصيات القصّة:

- أسلوب حجاجي قاد إلى الكفر والنّفاق والهوى وطمس البصيرة وكان من قبل المشركين من قوم إبراهيم عليه السّلام وكذا من قوم الرّسول ﷺ (حججهم واهية).
- أسلوب الحجاجي إسترشادا وحبّا للاستطلاع ونضرا واعتبار وهو ما ورد على لسان إبراهيم عليه السّلام بأسلوب الدّعاء.[1]
- حجاج دفع إليه الحق والهدى وتبيان وجه الصّواب وهو مناظرات إبراهيم عليه السّلام وكذا الرّسول ﷺ مع المشركين وأهل الكتاب، ومن أجل الاستدلال داخل الخطاب الحجاجي القرآني فقد انتهج طريقين هما: القياس والاستقراء، وصورهما التقابل والعكس.[2]

أمّا القياس فهو تطبيق القاعدة الكلية على جزئياتها بمعرفة حكم الجزئيات، أمّا الاستقراء فعكسه، وهو تتبع الجزيئات للتّوصل إلى حكم كلّي ومنه نجد أنّ إبراهيم انطلق من عموميّات ليصل إلى جزئيات وكذلك انطلق من جزئيات ليصل إلى عموميّات وكانت رسالته هي التّوحيد والتّعريف بالله الواحد الذي لا يغيب.

القصة من بدايتها شهدت مناظرات عديدة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والشخصيات المتعددة (أبيه، قومه، الملك...).

[1]- ينظر: لمهابثة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، ص 552.

[2]- إبراهيم فواتيح عبد الرّحيم، لغة الخطاب القرآني بين جمالية البيان وصرامة المنطق، إشراف: سليمان عشراتي، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1434هـ/2013م، ص 2010.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾.[1]

إن هذه الآيات تنقل لنا مناظرة وقعت بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والطاغية الملك (نمرود) حسب كتب التفسير فهذا الأخير قام بمحاجة إبراهيم وجداله عن عقيدته التي رسمت في قلب هذا الأخير بماء من ذهب –عقيدة التوحيد– لأنه عرف معنى الألوهية الصحيحة وأيقن وجود الله العظيم بإدراك حسي وعقلي ولأن هذا الطاغية كان من الجبابرة المكابرين فقد طرح سؤالا على سيدنا إبراهيم عليه السلام ظنا منه أنه الإعجاز الكامل الذي سيلاقيه إبراهيم عليه السلام وبما أن الحجاج في النهاية ليس "سوى دراسة لطبيعة العقول ثمّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها "[2]، فقد كان سيّدنا إبراهيم عليه السّلام مدركا لهذه الحقيقة فأجاب عن سؤاله والذي كان واضحا من السياق "من هو ربك يا إبراهيم " أو "من هو ربك الذي تدعو إليه" فكانت إجابة سيدنا إبراهيم عليه السلام "ربي الذي يحيي ويميت"، و "في تقديم إبراهيم عليه السلام الاستدلال بخلق إدماج لإثبات البعث لأن الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام كان من الملحدين الكافرين للبعث".[3]

ولأن عقل الكافر كان متحجرا كان رده (أنا أحيي وأميت) فقاس قدرته بقدرة الإله الأوحد فعقله لم يستوعب أن إبراهيم عليه السّلام أراد بالحياة والموت مسألة الخلق، أي الذي يخلق الحياة والموت في الكائنات، وأراد الطاغية غير ذلك فهو مجرد سبب من أسباب الحياة والموت –حسب كتب التفسير أنه أتى برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر–[4]، وهذه مقارنة فاشلة، فقد كانت حماقة من نمرود ما بعدها حماقة وكانت محاجّة فاشلة وجدالا بغير حق، لأنه أجاب بما يكذبه العقل،

[1]– البقرة 258.

[2]– لطفي فكري، جمالية الخطاب في النصّ القرآني، ص 106.

[3]– ينظر: الشحات أبو ستّيت، خصائص النّظم في القرآن، ص 199–200.

[4]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 01، ص 495.

ولأن إبراهيم عليه السّلام علم جهل المجادل ومكابرته، ولم يتصدّ لإبطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل، فأتى بمثال لا يجد فيه الطاغية مجالا للتمويه والتلبيس.

قال إبراهيم عليه السّلام فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، والتعبير باسم الجلالة دون لفظ (ربي) هو الترقي في التعبير بذكر الله بالاسم المختص به الذي لايشترك معه أحد به لما فيه من بعث المهابة والخشية، والتعبير بالمضارع (يأتي) للدلالة على التجدد والاستمرار لأن الإتيان بالشمس من المشرق أمر مستمر، فكان هذا التحدي قاطعا في إفحام الطاغية وإخراسه عن الكلام فلم يستطع جوابا كما قال جلّ شأنه: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾، أي دُهِش وتحيَّر وأخذه الذهول والإلجام من... الحجة وسطوعها، فالحجة الأولى كانت في الغيب والثانية في الشهادة، فحركية الكواكب هي خارجة عن مقدور الإنسان[1]، والقاعدة "من يتحكم في الأمر العسير والخطير يتحكم في الأمر الهيّن اليسير"، وهذه القاعدة هي قياس الأصلية فالذي يستطيع الخلق والتحكم بمخلوقاته (كائنات حية أو مجسدات)، إذن فهو الخالق ربّ الأكوان مالك حق الألوهية المطلقة.

قال تعالى: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.[2]

في هذه الآية نستشف جدالا حاصلا بين أهل الكتاب عن انتماء إبراهيم عليه السلام ونسبه لأي فريق فكلا من اليهود والنصارى يدّعيه لشيعته، فاليهود يقولون أنه منهم والنصارى يرون أحقيتهم في الانتساب، فجادلوا بعضهم وكذا جادلوا الرسول محمّد ﷺ على الأحقيّة وصدق كل فريق، فردّ القرآن بحجة دامغة أبطلت صدق كل فريق حيث قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾، فجاءت الحجة صادمة داحضة لافترائهم حيث كان الدليل يسلم بصحته خاصّة الناس وعامتهم ألا وهو أن السابق لايمكن أن يكون على دين اللاحق وهذا ما يقربه العقل السليم، بل أنه

[1]- ينظر: إبراهيم فواتيح عبد الرّحيم، لغة الخطاب القرآني، ص 189.

[2]- آل عمران 66.

يبيّن في آية أخرى انتماء إبراهيم لدين الإسلام والأحق للانتساب به هم المؤمنين الذين يتبعون الإسلام.

يقول "الزركشي": "الاحتجاج هنا على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه".[1]

يقول "الزمخشريّ": "بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة وبينه وبين عيسى عليه السلام ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة... ثم يقول: أفلا تعقلون حتى تجادلوا مثل هذا الجدال".[2]

والاستدلال كان بعملية القياس؛ حيث قاس المسألة على حدوثها قبل بعثة رسلهم (موسى-عيسى) فهي مسألة باطلة إذن هي حجة باطلة، فالحجة الثانية أبطلت حجتهم والأولى فكانت الغلبة للرسول وفريقه.

قال الله تعالى: ﴿ ۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ

[1]- الزّركشي، البرهان في القرآن، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ج 03، ص 468.

[2]- الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 284-285.

حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾ ﴾.[1]

في هذه الآيات تتواصل جهود إبراهيم في إقناع قومه بعبادة الله وحده وترك عبادة المعبودات التي يعبدونها فبعد دحضه لعبادة الأصنام –أصنام قومه وأبيه–، انتقل إلى دحض عبادة الكواكب والمجسدات فهذه الأجرام مجرد مخلوقات هي الأخرى ولكن لأولي العقول والمفكرين وقومه لم يكونوا كذلك، ولأجل إقناعهم بحجته كان عليه إقامة الدليل ضدهم فانتقل من مستواه الأعلى إلى المستوى الذي يستوعبونه ويدركونه، فبدأ بالانتقال تدريجيا بين مجموعة الأجرام وقد أورد الفعل رأى لأجل الرؤية المجردة بالعين لتكون دليلا عليهم فالإنسان يصدق مايراه بعينه ولكن الرؤية بالعقل ما كان يحاول أن يوصلها إليهم، فكان ينتقل بين الكوكب والقمر من بداية الطلوع والسطوع ويؤكد مساره مع القوم في عبادتهم – مجاراتهم– ليصل إلى خاصية الزوال والأفول والله هو الباقي فلا يمكن أن يغيب أو يختفي ليصل إلى الشمس أكبر الكواكب ليطبق عليها قاعدة القياس وتلاشيها واختفائها مع غروبها –الأفول– دليل مؤكد بعد صفة الألوهية عنها وعن اقترانها مع الأجرام لأن "صفتها التغير من حال إلى حال والتنقل من مكان إلى مكان، المحتجين بستر"[2]، فاحتج بصفة الأفول ليبين لهم خاصية لا يمكن نسبها لربّ الأكوان.

يقول "الزركشي": "وقد ذكر الله تعالى في احتجاج إبراهيم الخليل عليه السلام استدلاله بحدوث الأقل على وجود المحدث، طردا للدليل في كل ماهو مدلوله، لتساويهما في علة الحدوث وهي الجسمانية"[3]، ثم أقر توحيده وأنه بعيد عن المشركين في عبادتهم ومحاجتهم ماكانت إلا مكابرة فكيف يخاف من آلهتهم التي أبطل حجتها ولا يخافون من إلهه الذي أسند له الربوبية، فكانت معادلة غير متوازنة ليأتي في الختام ويؤكد الله عز وجل نجاعة حجج إبراهيم عليه السلام وأنه قد ألهمه تلك الحجج

[1]– الأنعام 74... 84.

[2]– الزّمخشري، الكشّاف، ج 02، ص 32.

[3]– الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 25.

لتكون عليهم لا أن تكون معهم فجحودهم بعد هذه الحجج ماهو إلا تصدي ومكابرة في الشرك واستخدام إبراهيم عليه السلام للمنطق والاستدلال العقلي والنظري ماهو إلا أسلوب حجاجي ليقيم الحجة عليهم يوم القيامة وتكون عبرة لأولي العقول.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾.[1]

إن هذه الآية عظيمة كبيرة في نفس المؤمن المتضرع لأنها إقرار من الله سبحانه وتعالى أنه يجيب دعاء المؤمن إن كان متضرعا ومؤمنا طالبا للترقي في الإيمان و زيادة القرب من خالقه لتحقيق اكتمال العقيدة الصحيحة بدرا ونضوجا، والحقيقة في هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام ليس سائلا، إنما هو طالب على سبيل التضرع، وطلبه مبني على أنه مقر بالبعث، مؤمن بقدرة الله على إحياء الموتى، "ولكنه يتوق إلى مرتبة المعاينة، ويهفو إلى درجة المشاهدة ويودّ مجاوزة العلم العقلي البرهاني إلى العلم الحسي الضروري، فنال إبراهيم بأدبه مع الله تعالى وثنائه عليه من التشريف"[2] بأنه أراه الأدلة الحسيّة بعينيه وإقراره لحقيقة إحياء الموتى، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أنه ازداد إذعانا وتصديقا إلى تصديق وكانت منزلة عظيمة وضعه الله إياها أن كانت الحجة من الله سبحانه وتعالى إلى إبراهيم مباشرة ليكون اليقين لكل من يأتي بعده على السؤال الذي يطرح دائما كيفية إحياء الموتى وبعث الحياة من جديد.

3/ خطاب التّهكّم:

خطاب التهكّم هو أسلوب كلامي يكون ظاهره السخرية والمزاح وتكون غايته إيصال رسالة بغية التوجيه والتأديب أو الاستهزاء بالمخاطب، يقول "الزركشي": "خطاب التهكّم هو الاستهزاء

---

[1]- البقرة 260.

[2]- ينظر: الشحّات أبو شتيت، خصائص النّظم القرآني، ص 440.

بالمخاطب، مأخوذة من (تهكمت البئر) إذا تهدّمت"[1]، كما قال: "هو إخراج الكلام على ضدّ مقتضى الحال".[2]

يستعمل المتكلم تقنية التهكم باعتبارها إحدى الاستراتيجيات غير المباشرة، وهي تستلزم قصدًا غير ما يدل عليه الخطاب بمعناه الحرفي، كما يعدّ خطاب التهكّم خطابًا ساخرًا، فمكونه الدلالي يستند إلى ثنائية المعنى داخل المتوالية الكلامية نفسها، حيث العلاقة بين المعنى الحرفي الظاهر، والمعنى المشتق المضمر علاقة تضاد وتعارض[3].

وعند "الزجّاج" إيهام التفخيم في معنى التحقير، وقيل: هو فن من فنون البديع، وهو في المعاني السياقية التي تدرك بتظافر القرائن الداخلية والخارجية[4]، والتهكّم من أشدّ الأساليب إزعاجا وتغلظا للمستهزئ به وأشدّ أثرا في نفسه.

ويقول "برغسون" عن السخرية والتهكّم: "أداة تفكير لا أداة وسيلة" كما أنه قبل كل شيء تصحيح وإصلاح وضع من أجل التخجيل حيث يشيع في الشخص المضحوك منه إحساسا متعبا، فالمجتمع ينتقم عن طريق الضحك للحريّات التي أخذت منه".[5]

بالنسبة للتحكّم والسخرية فاختار "شيشيرون cicéron" كلمة الإخفاء والمواربة وصنفها من أساليب الهزل كما أثار إلى قلب المعني وكذا القلب الدلالي إما (كينستيليان) فيرى التهكم والسخرية نظام خطابي تتدخّل فيه عناصر الخطاب من مخاطب فمخاطب، فرسالة لا يعيها الا من ادرك سياق القول[6]، وقد أقدم "علي البوجديدي" على تقسيم أنواع التّهكم والسخرية ابتداء من مدونة "بيار

---

[1]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 232.

[2]- المرجع نفسه، ج 04، ص 58.

[3]- فتيحة بلمبروك، خطاب السّخرية ودلالته في الشّعر العربي المعاصر، إشراف: مصطفى منصوري، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014م، ص 16.

[4]- عبّاس علي الأوسي، أساليب التّهكّم في القرآن الكريم، شبكة الألوكة، جامعة ميسان، كلية التربية، ص 02.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

[6]- ينظر: المرجع نفسه، ص 20-21.

سكونشير" التي سدت فراغها هائلا في مجال التنظير و كان التقسيم كالآتي السخرية السقراطية: سخرية سقراط، السخرية المقامية: مرتبطة بالأشياء السخرية اللّفظية: مرتبطة بالألفاظ، السخرية الرومنطيقية: مرتبطة بتيّار الرّومنطقية[1]، أمّا التهكم عند العرب فكما قلنا انزياح دلالي قوامه التضاد فهي أداة التشكيك في كل ما نعتبره بديهيا وراسخا.

أمّا بالنسبة للخطاب التّهكّمي والسّاخر في رأي لطفي فكري فهو فعل انتقادي يأتي في سياقات نصية، غايتها الفضح والتندر من الخارج عن المألوف، والهزء من القبح والهجاء من التسلط والاستبداد، وهو تنفس ذهني و نفسي لا يصاب به الناس من أعطاب قد تحيلهم إلى ذوات متصدّعة تشكو القلق والكبت والتوتر، فيكون من باب التعويض، وعودة الثّقة بالنفس.[2]

كما يرى البعض من أنّ السخرية هي فن إبراز الحقائق المتناقصة والأفكار السلبية في صورة تغري بمقاومتها، والردّ عليها، وإيقاف مفعولها، من غير أن يلجأ للهجوم المباشر، أو يبدو في موقف يكون فيه هدفا للانتقام.[3]

كما أن السخرية والتهكم يعملان بذكاء لتحويل الشيء أو المنظر الذي ترصده إلى صورة دميمة، لتسقطه في النّهاية من عالم المثل ومن حسابات الجمال التي قد يكون في كثير الاحيان واقعا تحت وهم الاتصاف بها فيبدوا مثير للضحك، أو يمكن أن نعتبر ذلك في الواقع من الأساليب العجيبة للتّهكم والسخرية[4]، إذن فالخطاب التهكمي في القرآن والأسلوب الساخر استخدم من جانبه المشرق والتّوجيهي والتّأديبي من قبل الله عز وجل وعلى لسان رسلهم وكان ردّا على استهزاء المشركين والملحدين في الاستهزاء بالرّسالة والرّسل.

---

[1]- المرجع السّابق، ص 22-23.

[2]- لطفي فكري، جمالية الخطاب في النصّ القرآني، ص 145.

[3]- حامد عبده الهوال، السّخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ص 35.

[4]- ينظر: المرجع السّابق، ص 38.

إنّ الخطاب القرآني كنسق تعبيري لا يمكن النّظر إليه نظرة ضيّقة محدودة المدى، وإنما ينظر إليها في الإطار العام لأهداف القرآن الكريم وحينئذ تجد أنّها ترد في صورة متعددة، وتهدف إلى غايات كثيرة، وتحقق أكثر من مقصد.[1]

قال الله تعالى: ﴿ ۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ۝٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠ ﴾.[2]

تحمل هذه الآيات العبر والدروس في صبر سيّدنا إبراهيم عليه السلام أثناء تقديم رسالته وتبلغيها فما كان يلاقيه من قومه من جحود ونشوز جعله من أولي العزم من الرسل، فهذه الآيات تذكر تفاصيل قصة جداله مع قومه وكيف أنه عليه السلام استخدم جميع أنواع الخطابات وجميع أنواع الأساليب فاستخدم الحوار اللّين والجدال العقلي والحجج المنطقية وكذلك أساليب التهكّم والسخرية، وكلّ هذه الملكة التي أوتيها النبي إبراهيم عليه السلام تدخل في مجال إتيانه الرشد الذي يقول عنه "الزمخشريّ" "الاهتداء لوجوه الصلاح"[3] والتّعبير بالإيتاء إشعار بأن الرشد منحة من الله عزّ وجلّ

[1]- ينظر: عبد الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص 27.

[2]- الأنبياء 51... 70.

[3]- الزّمخشري، الكشّاف، ج 03، ص 91.

لإبراهيم عليه السلام لم ينلها بمحض كسبه "وإسناد الايتاء إلى نون العظمة فيه تفخيم لشأن الرشد وتعظيم له، فهو من لدن العليم الحكيم ولا يقدر عليه غيره ".[1]

ها هو ذا إبراهيم عليه السّلام نموذج الهدوء والتسامح والحلم بعدما أيقن حقيقة التوحيد وحقيقة ربّ الأكوان يجادل قومه في عبادتهم ويستعمل أسلوبا مغايرا؛ حيث يستخدم أسلوب التهكّم والسخرية من تفكيرهم المتحجر المنغلق والمنعزل في غيابات الشرك والكفر، فسألهم من باب الاستغراب ومنبع السخرية والتهكّم من استفهامه بقوله: " ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾؟!، والغرض منه "تجاهل العارف" لأنه سألهم عن أصنامهم التي يطلب بها تبيان حقيقة الشيء أو شرح الاسم كأنه لا يعرف أنها تماثيل والنكتة في ذلك التمهيد لتخطئتهم بعد أن يجيبوه ببيان حقيقتها ".[2]

تحمل هذه العبارة ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ العديد من المعاني والدلالات التي توحي باستخدام أسلوب التهكّم.

- السؤال عن شيء معلوم هو تصغير وتحقير لشأن المسؤول عنه وتهكم وتوبيخ للمسؤولين.
- التعبير باسم الإشارة (هذه) تحقير للأوثان المعبودة لأن الإشارة القريبة تميز حقيقتها المهانة والتحقير أحد عناصر التهكّم.
- ذكر آلهتهم بالتماثيل جمع تمثال وهو اسم لشيء مصنوع وفي هذه التسمية إشعار بعدم استقلالها وإثبات لتمام عجزها، وفي هذا زيادة تحقير لها.
- وصفها بجملة ﴿أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ وهو توبيخ من قبله لأنهم يعكفون على تماثيل لا حقائق.

[1]- الشحّات أبو ستيت، خصائص النّظم القرآني في قصّة إبراهيم عليه السّلام، ص 116-117.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 119. وينظر: باهي الله باهي والي، السخرية مواقعها وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، 1439هـ2018م. ص 71.

- خطابهم بـ (أنتم) فيه استهانة بهم وإشارة إلى عدم مشاركة أحد لهم في هذه الفعلة الشنعاء.
- تقديم الجار والمجرور لها على متعلّقه، وفي هذا مزيدًا من تخصيص لهم بهذا الفعل القبيح ويدخل في زيادة ذمّ العبارة لهذه الأصنام.
- استخدام لفظة العكوف وهي عبارة عن اللزوم والاستمرار على شيء لغرض من الأغراض، تحقيرًا لآلهتهم وإذلالها وتوبيخا على إجلالها.
- التعبير بصيغة الفاعل ﴿عَٰكِفُونَ﴾ إشارة إلى استمرارهم ودوامهم على ذاك الفعل مما يزيد من تهكّمه عليهم.[1]

يقول "الزمخشريّ": " ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾ تجاهل لهم وتغاب، ليحقّر آلهتهم ويصّغر شأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها"[2]، وبعد سؤاله الذي حمل الكثير من السخرية والتهكم كانت الإجابة المحايلة والغير منطقية لأنه سألهم عن سبب قناعتهم بهذه الآلهة ودورها –حقيقتها وماهيتها–، فما كانت إجابتهم إلا أن قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين وكأنهم أرادوا بذنبهم إلصاقًا لذنوب آبائهم أو كأن العقائد والقناعات تورّث من الآباء كما تورّث الممتلكات وهو من باب التقليد الأعمى كأنهم خارجين عن الإرادة الشخصية مقيدين بالتبعية فكانت الضربة الثانية لهم من قبل إبراهيم أن سخر من إجابتهم وتهكّم على بلادتهم هم وآبائهم: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

"وأكد باللام وقد لإثبات مضمون كلامه بقوة، وتقريره بوضوح"[3]، وأشركهم وآباءهم في الفعل الضال –عبادة الأصنام– "فحكم بالضلال على المقلِّدين والمقلَّدين"[4] وهذا العمل هو مبين بيّن لأولي

[1]– ينظر: المرجع السّابق، ص 120–121.

[2]– الزّمخشري، الكشّاف، ج 03، ص 91.

[3]– باهي عبد الله باهي والي، السّخرية مواقعها وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص 72.

[4]– المرجع نفسه، ج 03، ص 91.

العقول الذين يفكرون بمنطق وعقلانية عكسهم- الكافرون- كانوا في جهل الكفر وعمى القلوب والعقول.

وقولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾، يقول "الزّمخشري": "بقوا متعجبين من تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما على وجه المزاح والمداعبة".[1]

ثم بعد هذه المجادلة الشفوية جاءت المجادلة الفعلية فبعد تقرير الفعل بالكلام يجيء وقت تقرير الفعل بالفعل، هذا بعد أن كان قد توعدهم بكيد آلهتهم وعدم حمل قوله على محمل الجدّ، قام إبراهيم عليه السلام بتحطيم الأصنام جميعا وتكسيرها ماعدا كبيرها -الصنم الأكبر- وفي هذا الفعل سخرية وتهكّم منها لأنه استهانة بعجزها وتصنّمها واستجهالا لقومه لعبادتهم إيّاها.

أما السخريّة الرابعة[2]، فجاءت بعد أن رجع القوم من عيدهم، وذهبوا إلى أصنامهم فرأوا ما حلّ بها، فاستفهموا على سبيل البحث والإنكار، فعرفوا أنه إبراهيم عليه السلام، فأحضروه على مرأى من الناس، وقرّروه بالفعل بالاستفهام ﴿ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾؟، وكأنه بفعلته التحطيم والتكسير وتعليق الفأس على كبيرهم -حسب المفسرين- أراد أن يسوقهم إلى هذا السؤال الذي يرد في نفسه غايته إثبات الحجّة عليهم، فأجابهم بكل تهكّم وسخريّة ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ وهذا الجواب يحمل في طيّاته سخريّة شديدة وتهكّم لاذع بهم، وقد قال الزمخشريّ في سياق هذا السؤال وتأويله.

- أنه على سبيل التعريض، حيث قصد إثبات الفعل لنفسه من حيث أثبته للصنم الكبير، وهو عاجز عنه، تهكّما واستهزاءً به وبعابديه، وإلزاما لهم بالحجة.
- أنه من الإسناد المجازي، حيث أسند الفعل إلى سببه، فقد غاظته الأصنام لذا قام بتكسيرها وترك كبيرها لأنه كان أشدهم تعظيما من قبل القوم فأسند الفعل له.

[1]- المرجع السّابق، ص 91-92.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 73.

➢ أنه من قبيل إلزام الخصم بمقتضى مذهبه، تضييقا عليه ليتبين ما فيه من باطل، وما يجرد عليه من حرج فيرجع عنه[1].

وقد استخدم ألفاظا مثل كبيرهم لمزيد من التّهكّم بالأصنام وبعابديها ثم استخدم الفعل ﴿فَسْـَٔلُوهُم﴾ للتعجيز والتهكّم ثم العبارة ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴿٦٣﴾﴾ لمجاراتهم في زعمهم حتى يلجمهم بالحجة، ويبدو أن هذه الإجابة التي تطوي في داخلها ذلك السؤال هي إحدى مفاتيح العقول، لأنها رجّتهم رجّا وردّتهم إلى شيء من التدبر والتفكّر الذي لم يدم إلا ومضات كالبرق ما فتئ أن اختفت وتلاشت وعمّ ظلام الضلال.

يقول "سيّد قطب": "يبدو أنّ هذا التهكّم الساخر قد هزّهم هزّا وردّهم إلى شيء من التدبّر والتفكر ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٦٤﴾﴾"[2]، ثم ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴿٦٥﴾﴾، فقال عن هذا المشهد كذلك: (كانت حركة الأولى في النفس للنظر والتدّبر، أمّا الثانية فكانت انقلابا على الرأس فلا عقل ولا تفكير وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم)، ممّا أثارت حفيظة إبراهيم عليه السلام فانتفض وعبّر عن مدى سخافتهم.

واستهزائه من هذه الأخيرة؛ حيث ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴿٦٧﴾﴾، وكانت هذه العبارة أشدّ وطأة عليهم من الصاعقة شجّت رؤوسهم المتحجّرة وهزّت نفوسهم المتكابرة المتعالية لأنها كانت حجة قويّة فكانت عليهم لا لهم، لأنهم اعترفوا بعدم نطقها والتي لا تنطق لا تتكلم ولا تتحرك لحماية نفسها فأكيد هي غير نافعة ولا ضارّة فهي عاجزة تماما عن التأثير أو التأثر ، ممّا أخرج هذه العبارة التي تدّل على ضيق الصدر، وغيظ النفس، والعجب من السّخف الذي يتجاوز كلّ مألوف، فأصدر صوت المضطجر المتأفّف ﴿أُفّٖ﴾ "وهذا استعمال فيه أعلى كلمات التحقير التي لا تقال إلا لما هو غاية في

[1]- ينظر: المرجع السّابق، ص 73. وكذلك الشحات أو ستيت، خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، ص 139-140. وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 03، ص 94.

[2]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 3079.

القذارة"[1]، لأنه قد أضجره ثباتهم وتواصلهم في الدفاع عن آلهتهم وعبادتها بعد زوال عذرهم بوضوح الحقّ وزهوق الباطل، ويقول "أبو ستّيت" رتبت الأمور الثلاث في الآية ترتيبا طبيعيّا؛ حيث بدأت بإبطال عبادتهم، تلا ذلك تأفّفه من هذا الباطل وتثبيتهم بعبادتهم، وخُتمت ببيان سبب ذلك وهو عدم التعقّل، وفصلت جملتا ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ و ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ عن سابقتها لأنهما متفرعتان عليها لزيادة الذّم والتوبيخ فعبادة ما لا ينفع ولا يضّر تقتضي تحقير فعلهم واستقذاره.[2]

يقول "الزّمخشري": "أجمعوا أمرهم –لما غلبوا– بإهلاكه، وهكذا المبطل إذا فزعت شبهته بالحجّة وافتضح، لم يكن أبغض إليه من المحقّ، ولم يبق له مفزع إلاّ مناصبته"[3]، فأجمعوا على حرقه ولكن كلمة الله جلّ جلاله كانت العليا فأنقده وأنجاه وعوّض عليه محنته بأن كافأه بالإمامة له ولذريّته.

للخطاب الساخر والفعل التهكّمي أثره، ولولا التحجّر الذي كانوا يعيشونه لاستطاعوا الزحف نحو نور الهداية ولكنّ الله لا يهدي المتكبرين والمكابرين في الجهل والطغيان والضلال، ولو أمعنا في هذه القصة القرآنية لوجدناها تحوي العديد من ألوان الخطابات فكل لون يتماشى مع نمط المشهد المراد تصويره وتشخيصه داخل حلقته الخاصّة وكل حلقة مكملة للحلقة الموالية متمّمة لها وذلك في جمال أسلوبي ورونق تعبيري وروعة لغويّة ووحدة عضوية في إعجاز متكامل.

ثانيا: أساليب بلاغية في الخطاب القصصي

1/ الانزياح:

من جماليات اللّغة الأدبية تعدّد أساليبها وتنوّعها ورقيّها الفنّي، وممّا لا شكّ فيه أن المتصفّح لهذه اللّغة أو الخطاب الأدبي يستشفّ من خلال القراءة المتأنية والتحليلات الدّلالية على مواطن الرقيّ فيها، وكذا السحر الأدبي الذي يميّزها عن غيرها من اللّغة أو الخطاب العادي.

---

[1]– الشحّات أبو سيت، خصائص النّظم القرآني، ص 147.

[2]– المرجع نفسه، ص 149.

[3]– الزّمخشري، الكشّاف، ج 03، ص 94.

ظاهرة الانزياح من أهمّ الأساليب المتميّزة في الخطاب الأدبي؛ حيث تعدّ قضيّة أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية، وقاعدة من قواعد المحدثين في الدّراسات الأسلوبيّة والأدبيّة الحديثة، تعتمد من قبلهم في قراءة العمل الأدبي.

أ: مفهوم الانزياح عند الغربيين والعرب

الانزياح كما يدلّ عليه لفظه الخروج عن المألوف، أو الخروج عما يقتضيه الحال، وفي اللّغة هو انحراف عن القواعد أو المعايير الخاصة بها لغرض يقصد إليه المتكلم، أو "جاء على سياق الكلام، فخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة".[1]

تناول "عبد القاهر الجرجاني" مصطلح الغرابة في هذا الباب لخروجها عن المألوف، واستخدامها للخيال فقال عن هذا الفن "الغرابة": "هو غاية في الحسن وهو من الفنّ الأول"[2]، وجاء على ذكر مصطلح "الاتّساع"[3] في باب المجاز ويرى فيه أنّه ذكر الكلمة بدون معناها الأصلي ولكن تحولت إلى المعاني الحاملة لها –الاتّساع في المعاني– ولو أنّنا حلّلنا هذا المعنى لوجدناه يشير إلى مفاهيم الانزياح بشكل من الأشكال، إذا قلنا أنّ الانزياح هو استعمال المبدع للّغة، مفردات، وتراكيب، وصور، استعمالا يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف.

[1]– أوراس سلمان كعيد السلامي، الانزياح في كتاب فضل الكلاب على كثير ممن ليس الثياب، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلّد 28، العدد 05، 2020م، ص 220.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهد محمود محمّد شاكر، ص 78.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 293.

ذكر "السكّاكي" مصطلح التّخييل والإخفاء في باب الاستعارة والمجاز وكذلك استخدم مصطلح التلويح والرّمز على الإشارة من قريب أو بعيد على سبيل الخفية[1]، وقد فصّل في مصطلح التّعقيد في الكلام؛ حيث قال: "أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعّر مذهبك نحوه، حتى يقسم فكرك ويشعّب ظنّك إلى أن تدري من أين تتوصل، وبأي طريق معناه يتحصل"[2]، وكأنه يتحدث عن الانزياح وتأثيره في المتلقي.

استخدم "ابن جنّي" بعضا من هذه المصطلحات والتي ساقها في نفس الباب مثل "الاتّساع والعدول"[3]، وكانت كلها تندرج حول توسّع الدلالات للكلمة أو العدول إلى معاني ودلالات غير معناها.

تحدّث "الزركشي" عن العدول في معناه أن "تسند الكلمة إلى غير ما هي له أصالة بضرب من التأويل"[4]، كما أنه أتى على ذكر مصطلحات مثل "التخييل والمبالغة"[5]، عندما تناول الاستعارة.

استخدم "القزويني" مصطلح الإعارة والذي يقول عنه: "نقل اللّفظ من مسمّاه الأصلي، فجعل أو ألحق لاسم آخر على سبيل الإعارة للمبالغة"[6]، ووظّف أيضا مصطلحات كاللّطف والغرابة... إلخ.

إنّ ظاهرة الانزياح تحمل في خصوصياتها كل هذه المفاهيم؛ حيث لو حاولنا تحديده -الانزياح- لوجدناه يحمل الغرابة والتّعقيد والتخييل والخفاء، وكذلك اللّطافة والإبداع، فهو فسيح في مجالاته، عميق في سياقاته.

---

[1]- ينظر: السكّاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1407هـ/1987م، ص 402-411.

[2]- المرجع نفسه، ص 416.

[3]- ينظر: ابن جنّي، الخصائص، تح: محمّد علي النجّار، دار الكتب المصرية، 1952م، ج 02، ص 23-164.

[4]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 252.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص 432-433.

[6]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، ط 01، 1424هـ/2002م، ص 212.

والقدماء ذكروا جميع هذه المصطلحات من باب المجاز والحقيقة ومتفرّعاتها (الاستعارة، والكناية، والتّشبيه.... إلخ) وهي تدخل من باب خروج اللّغة إلى حقل أكثر ثراء هو "حقل اللّامألوف".[1]

والانزياح عند العرب المحدثين يقترب مما وضعه القدامى، وأحيانا امتدادا لمفاهيمهم في استخدام بعض المصطلحات، إلّا أنّها تتفاوت بين التقبّل للجديد أو الخروج عن التّقليد، فهذا "النويهي" سمّاه -الانزياح- عدولا عن المألوف واستخدم "إسماعيل عزّ الدين" الالتفات الذي يعدّه صيغة انفعالية غريبة عن اللّغة العربية واستخدم "كمال خيربك" مصطلح "تجاوز" و"مسافة" الذي نقلهما عن "نازك الملائكة".[2]

عرّفه "منذر عياشي" بأنّه: "إمّا خروج على استعمال المألوف للّغة وإمّا خروج على النّظام اللّغوي نفسه، أي خروج على جملة القواعد التي يصير بها الأداء إلى وجوده... وكأنه كسر المعيار... ما يعطي لوقوعه قيمة لغوية وجمالية".[3]

وإذا قلنا أن مصطلح الانزياح قد تولّد مع الحداثة فأكيد أن الغربيين استعانوا بهذا المصطلح وأنّهم وظّفوه في دراساتهم الأدبية، إلّا أنّ القدماء منهم تطرّقوا في دراساتهم لمفاهيم الانزياح، فهذا "أرسطو" "ميّز بين اللّغة العادية المألوفة والأخرى غير المألوفة".[4]

---

[1]- أوراس سلمان كعيد السلامي، الانزياح في كتاب فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثّياب، ص 222.

[2]- ينظر: حفير نادية، الانزياح في الشّعر العربي المعاصر أحمد عبد المعطي حجازي نموذجا، إشراف: بوقربة الشيخ، أطروحة دكتوراه، تخصّص: أدب عربي، قسم اللّغة العربية وآدابها ،كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، 2008م، ص 8-10.

[3]- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط 01، 2002م، ص 77.

[4]- ينظر: أحمد محمّد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبية، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط 01، 1426هـ/2005م، ص 81-82.

وقد توالا استخدام هذا المصطلح تحت مسمّيات متعدّدة، إلى أن وصلت إلى مقولة "بوفون" الذي قال إن "الأسلوب هو الرجل"[1] وعدّها "جورج مونان" أوّل تجلّ لمقولة الانزياح، غير أنّ البعض يرى أنّ "فاليري" هو أوّل من أوضح مقولة الانزياح عندما تحدّث عن اللّغة الشّعرية في الشّعر فقال: "عندما ينحرف الكلام انحرافا معيّنا عن التّعبير المباشر، أي عن أقلّ طرق التّعبير حساسية، وعندما يؤدي بنا هذا الانحراف إلى الانتباه بشكل ما إلى دنيا من العلاقات متميّزة عن الواقع العملي الخاص، فإننا نرى إمكانية توسيع هذه الرقعة الفذّة...".[2]

وبعد ذلك انتقلت مصطلحات كالانحراف بين مختلف أطياف اللّغويين الغرب كأمثال "جان كوهن"، و (سبيتزر"، و "هاستل"، و "موكا روفسكي"، و "باوم جارتنر" وغيرهم، أيضا استخدموا مصطلحات كالخرق، والتجاوز، والاختلال، والانتهاك...إلخ، فالانزياح عند الغرب ما هو إلّا امتداد للأفكار، ويبقى هو الآخر بين التقبّل للاختلاف والرّافض للفكرة.[3]

وبلا شكّ فإنّ جماليات أسلوب القرآن الكريم تنطلق من تنوّع ألوانه وتباينها فيما بينها، وتجدّدها مع كلّ قراءة في أمشاجها، وأيضا لما تحمل في طيّاتها من إعجاز بياني ولغوي، وإن قلنا أن الانزياح ظاهرة جماليّة فأكيد أنّ القرآن لن يخلو من مثل تلك الظواهر الفنيّة الإبداعيّة، فالمتلفّظ به هو صاحب الفصاحة الرّسول الأعظم وملقّنه هو ربّ الأكوان واضع اللّغات.

يقول "مالك بن نبي": "لقد كان حتما على القرآن -إذا ما أراد أن يدخل في اللّغة العربيّة فكرته الدّينية ومفاهيمه التوحيدية- أن يتجاوز الحدود التّقليدية للأدب الجاهلي، والحقّ أنّه قد أحدث انقلابا هائلا في الأدب العربي بتغييره الأداة الفنيّة في التّعبير: فهو من ناحية قد جعل الجملة

[1]- المرجع السّابق، ص 85.

[2]- المرجع نفسه، ص 86.

[3]- ينظر: أوراس سلمان كعيد السلامي، الانزياح في كتاب فضل الكلاب على كثير ممن ليس الثياب، ص 222.

المنظمة في موضوع البيت الموزون، وجاء من ناحية أخرى بفكرة جديدة أدخل بها مفاهيم وموضوعات جديدة لكي يصل العقلية الجاهليّة بتيّار التوحيد".[1]

وممّا هو مؤكّد أنّ الانزياحات في القرآن لم تخرج عن طابعها اللّغوي البياني المجمّلة للّفظ والمعنى، والتي تزيد من ثرائه الدّلالي، ومن بين هذه الانزياحات الدّلالية نجد الاستعارة، والمجاز، والكناية، والتّعريض، كما نجد في الانزياحات التّركيبية التّقديم والتّأخير...إلخ.

ب: الانزياح في قصّة إبراهيم عليه السّلام

- **المجاز**

لقد تعدّدت التّفصيلات في هذا الباب من قبل القدماء؛ حيث فصّلوه وتناولوه بالتّحليلات، فهذا "عبد القاهر الجرجاني" قد أوجز تعريفات له أجمل فيه كل الآراء التي قبله وبعده؛ حيث قال: "اعلم أنّ طريق المجاز والاتّساع في الذي ذكرناه قَبْلُ، أنّك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها، ولكن تريد معنى ما هو ردف أو شبيه، فتجوّزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللّفظ نفسه، وإذ قد عرفت ذلك، فاعلم أنّ في الكلام مجازا على غير هذا السبيل، وهو أن يكون التّجوّز في حكم يجري على الكلمة فقط".[2]

قال "الزّركشي" عن المجاز: "هو إسناد الكلمة إلى غير ما هي له، أصالة بضرب من التأويل".[3]

وفصّل "السكّاكي" بين الحقيقة والمجاز، فالحقيقة هي الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق، أمّا المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير، بالنّسبة إلى نوع

---

[1]- مالك بن نبي، الظّاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصّبور شاهين، تقديم: محمّد عبد الله دراز ومحمود محمّد شاكر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 04، 1987م، ص 192.

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 293.

[3]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 256.

حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النّوع"[1]، ومنه فالمجاز مجاله التّأويل والبحث في الدّلالات لمعرفة المعنى المراد في السّياق.

ومن أمثلته:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.[2]

فلفظ (الأمّة) يعني أنّه عليه السّلام كان وحده أمّة من الأمم بكماله في جميع صفات الخير[3]، وهذا من المجاز، لأنّ من علاقات المجاز "إطلاق اسم العام وإرادة الخاص".[4]

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾.[5]

اللّسان مجاز في الذّكر والثّناء، وعلاقته الآلية، ووصفه بالعلوّ مجاز الشرف ذلك الثّناء، كما قال "سيّد قطب" "أنّهم كانوا مسموعي الكلمة في قومهم، يؤخذ قولهم بالطّاعة والتّبجيل".[6]

قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ ﴾.[7]

هنا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون، أي أنّ هذا الغلام سيصبح عليما إذا بلغ، وهذا من أبلغ الأساليب لتنزيل الموصوف منزلة من يكون له علم في المستقبل، ولتحصل البشارة والسرور به من

---

[1]- السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 359.

[2]- النّحل 120.

[3]- الزّمخشري، الكشّاف، ج 02، ص 434.

[4]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 271.

[5]- مريم 50.

[6]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 3001.

[7]- الحجر 53.

الآن –يعني من ساعة البشرى– لأنّ غاية ما يحرص عليه الأنبياء، هو إنجاح الدّعوة، وإيصالها إلى الناس، وتسليم مهمّة الدّعوة من بعدهم إلى من هو كفئ لها.[1]

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾.[2]

فقد عبّر –عزّ وجلّ– بالأيدي للتغليب، فالأيدي هنا ليست هي الوحيدة التي اتصف بها الأنبياء، بل إنهم اتّصفوا بصفات أخرى، واستخدمها هنا لأنّها أفادت مقتضاها، لأنّ الأيدي هنا ترمز إلى "القوّة والعمل في عبادة وطاعة الله، أمّا الأبصار فالمستبصرين في دين الله"[3]،كما أنّ العمل الصّالح والعبادة والدّعوة إلى العمل لا تكون إلا بالأيدي –واليد– تقرن بجميع الأعمال –وهم كانوا كثيري الأعمال الصّالحة، أمّا عن "الأبصار فهو النّظر الصّائب أو الفكر السّديد بالأبصار".[4]

قال تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾.[5]

فقد أسند الإضلال إلى الأصنام، أي أنهم ضلّوا بسببها وهي أصنام مجسّدات، ومن الجمادات لا تعقل ولا تفعل شيئا، فلا تهدي ولا تضلّ.

قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾.[6]

---

[1]– محمّد خليل إبراهيم، آيات الدّعوى والبشرى والثّناء في قصّة إبراهيم عليه السّلام دراسة بلاغية دلالية، إشراف: شهاب أحمد إبراهيم و أحمد حمد محسن، رسالة ماجيستير، تخصّص: لغة عربية، قسم اللّغة العربة، كلية التربية، جامعة تكريت، 1423هـ/2002م، ص 79.

[2]– ص 45.

[3]– الكشّاف، الزّمخشري، ج 04، ص 74 .

[4]– سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 3799.

[5]– إبراهيم 36.

[6]– إبراهيم 39.

"على" التي تسبق الكبر، يمكن أن يؤول إلى مجاز للدّلالة على الاستعلاء، ومعنى على الكبر هنا أنّه وصل غايته فكأنّه تجاوزه وعلا ظهره.[1]

➢ **الاستعارة**

يقول "عبد القاهر الجرجاني" عن الاستعارة: "أن تريد تشبيه الشّيء بالشّيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّه وتجريه عليه".[2]

يقول "السكّاكي" عن الاستعارة: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدّعيا دخول المشبّه في جنس المشبّه به ".[3]

قال "بكري شيخ أمين عن الاستعارة": "أنّها لون من ألوان التّصوير في القرآن، وهي من الأدوات المفضّلة لديه، ومن خلالها كان يعبّر عن المعنى الذّهني، والحالة النّفسية والحادث المحسوس، فهو يعمد إلى هذه الصّورة التي رسمها، فيعطيها ألوانها وظلالها ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة، فالحوار فإذا هي شاخصة تسعى".[4]

إذن فالاستعارة من الأساليب المعتمدة على التخييل والإبداع، وهي من الأساليب اللّطيفة القريبة من النّفس والمحبّبة إلى القارئ.

ومن أمثلتها:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ ﴾.[5]

---

[1]- ينظر: محمود عوض محمود سالم، قصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللّغة النصي، إشراف: صلاح الديّن صلاح حسين و محمّد خليل نصر الله، رسالة ماجيستير، قسم الآداب، كلية الآداب، جامعة بني سويف، 1428هـ/2008م، ص 68.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 67.

[3]- السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 396.

[4]- بكري شيخ أمين، التّعبير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، ط 01، 1393هـ/1973م، بيروت، ص 195.

[5]- النّحل 123.

الإتّباع معناه اقتفاء سير على سير آخر، وهو هنا مستعار للعمل بمثل عمل آخر، فشبّه اقتفاء السّير بالإتّباع –وهي استعارة تصريحية– استعمل اللّفظة من أجل تعزيز المعنى وتركيز الدّلالة، فاستعار اللّفظة لتبلغ المقصد.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾.[1]

جاءت الاستعارة في النصّ القرآني مكنية، عملت على تصوير خضوع القوم واستسلامهم بعد أن رأوا الحجة الدّامغة، فالأصنام لا تنطق لتقول باسم من حطّمها، وقد صوّرت هذه الاستعارة القوم في حالة التردّي –من فوق إلى أسفل– على رؤوسهم، إذ أنّهم مدركون تماما لحقيقة أصنامهم التي يعبدونها، أنّها مجرّد جوامد لا تتحرك ولا تبدي أيّ انفعال، فهي بعيدة عن المضرّة أو النّفع، ولكن أخذتهم العزّة بالإثم لذلك لم يعترفوا بلسانهم ظاهرا، ولكنّهم ساقوا لهذا الاعتراف بالحركة التي كان لها الدّور الأكبر في تصوير أحوالهم.

قال تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.[2]

هذه استعارة؛ حيث شبّه تحوّلهم من الحديث مع إبراهيم عليه السّلام إلى التّدبّر والتفكّر مما هم عليه بالرّجوع، بجامع التّحول من شيء إلى شيء آخر، وفي إيثار الرّجوع إشعار بأنّهم تبيّنوا خطأ ما هم فيه فرجعوا عنه،[3] واختيار الفعل رجع في هذه النّقطة أكثر تحديدا، فهم استحسّوا الخطأ والرّجوع يكون بالانتقال من نقطة النّهاية إلى نقطة البداية، وكأنّما تنّبه منهم، أمّا الفعل مثلا أعاد أو عاد ففيه التّكرار على العودة ولذلك نلاحظ حسن انتقاء كل لفظة في الاستخدام، ووضعها في السّياق المناسب لها.

[1]– الأنبياء 65.

[2]– الأنبياء، 64.

[3]– الشحّات أبو ستيت، خصائص النّظم القرآني، ص 143.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.[1]

في هذه الآية توجد استعارتان مكنيتان؛ حيث شبّه كلّا من الرّوع والبشرى بالكائنات الحيّة التي تتحرك فأسند الذّهاب للرّوع كما أسند المجيء للبشرى، واستخدمت الاستعارة هنا لتعزيز الدّلالة، وكذلك من أجل تحريك الصّورة في ذهن المتلقّي.

قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾.[2]

الكلام هنا استعارة تصريحيه، إذ شبّه توجّه إبراهيم عليه السّلام بقلبه مخلصا لربّه بالمجيء، والمجيء هنا بمعنى التوجّه، أي معناها أنّه توجّه إلى ربّه بقلب سليم، والجملة كلّها استعارة تمثيليّة، بأن شبّه الهيئة المنتزعة من إخلاص إبراهيم عليه السلام قلبه لربّه –جلّ ثناؤه– وعلمه سبحانه، "ذلك الإخلاص منه موجودا بالهيئة من المجيء بالغائب بمحضر شخصه ومعرفته إيّاه وعلمه بأحواله ثمّ يستعار ما يستعار".[3]

قال الله تعالى: ﴿ ۞فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾.[4]

استعارة مكنية، شبّه هجرته إلى الأرض التي أمره الله تعالى بأن يهاجر إليها، كأنها هجرة إلى ذات الله جلّ ثناؤه، أو استعارة تبعيّة؛ حيث أنه هاجر من بلاد الكفر الذي لا يذكر فيه اسم الله، ولا يعبد جلّ جلاله، إلى بلاد يستطيع فيها أن يعبده بحريّة ويدعوا إليه جهرا بحماية من الله جلّ جلاله "وتكون مستعارة لمعنى لام التّعليل".[5]

---

[1]– هود 74.

[2]– الصّافّات، 84.

[3]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التّراث العربي، ص 100.

[4]– العنكبوت 26.

[5]– مُحَمَّد عوض محمود سالم، قصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن الكريم، ص 59.

➢ **الكناية:**

يقول "الجرجاني" عن الكناية أنّها أبلغ من التّصريح فيقول: "لما كنّيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنّك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكدّ وأشدّ"[1]، وهو يقصد تعميق الدّلالة وتحريك النّفس للوصول إلى المعنى.

يقول "السكّاكي": "الكناية هي ترك التّصريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك ".[2]

قال "الزركشي" عن الكناية أنّها الكناية عن الشّيء للدّلالة عليه من غير تصريح باسمه وقال هي عند أهل البيان: "أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللّفظ الموضوع له من اللّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود، فيرمي به إليه ويجعله دليلا عليه، فيدلّ على المراد من طريق أولى"[3]، وقد أوفى ووفّى "الزركشي" بنقل تعريف أهل البيان.

يقول "بكري شيخ أمين" عن الكناية في القرآن الكريم: "أنّها تقوم بنصيبها كاملا في أداء المعاني وتصويرها خير أداء، وهي حينا راسمة مصوّرة موجبة، وحينا مؤدّبة مهذّبة، تتجنّب ما ينبو عن الأذن سماعه، وحينا موجزة تنقل المعنى الكبير في اللّفظ القليل، وكثيرا ما تعجز الحقيقة أن تؤدّي المعنى كما أدّته الكناية، في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية"[4]، ومنه فالكناية تعزّز الصّورة الحسّية في اللّغة الأدبية وتعمّق الدّلالة، ليكون تلقّيها أكثر تمكّنا من نفس المتلقّي.

ومن أمثلتها:

---

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 71.

[2]- السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 402 .

[3]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 301.

[4]- بكري شيخ أمين، التّعبير الفنّي في القرآن، ص 199.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.[1]

يعبّر التّعبير الكنائي ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ عن موافقة الابن لأبيه وتقريره هذه الموافقة بكامل الخضوع وتلبية لفعل أبيه، الذي هو إرادة ربّانية له غاية منها، فلم تكن هذه العبارة في هذا السّياق إلّا لتبيّن مدى رأفة الابن على أبيه، لأنّه يعلم كم يصعب عليه مجرّد التّفكير في الفعل الذي سيقوم به، ولكنّ إجابة الابن كانت من أجل تهوين الفعل ومن أجل تهوين وقوع ردّة الفعل.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ ﴾.[2]

في هذه الآية نجد عبارة ﴿ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ ﴾ يريد أنّ أيدي الملائكة لا تصل الطّعام، أي أنّ الملائكة لا يأكلون الطّعام، فهي كناية عن عدم الأكل فكانت العبارة عمق للدّلالة وتصوير المشهد فلوا استخدم عدم الأكل لكانت –العبارة– أكثر جفافا، فباستخدام هذه الأخيرة برزت شدّة الارتباك الذي كان يعانيه سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، فكانت العبارة مصوّرة وناقلة للعامل الحسّي الذي يدور في المشهد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ ﴾.

فمعنى الأوّاه: كثير التّأوّه والتّوجّع على النّاس، وهو ما جعله يهتمّ بقوم لوط عليه السّلام، رغم جحودهم وكفرهم، وقد ربطه بصفة الحليم الغير عجول على كلّ من أساء إليه، وصفة المنيب التّائب الرّاجع إلى الله بما يحبّ ويرضى، وكلّ هذه الصّفات دالّة على رقّة القلب والرّأفة والرّحمة[3]، ممّا جعله

---

[1]- الصّافّات 102.

[2]- هود 70.

[3]- ينظر: الزّمخشري، الكشّاف، ج 02، ص 305 .

مجادلا في مسألة عقاب قوم لوط عليه السّلم، إلاّ أنّه وفي نفس الوقت تجعل منه هذه الصّفات مدعنا خاضعا لحكمة الله وقراره دون تذمّر أو انزعاج.

قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.[1]

في هذه الآية خاطب إبراهيم عليه السّلام ربّه بالدّعاء، ويدعوا إلى أهله بالرّزق من الأكل والشّرب وكذلك يطلب إليه بأن يجعل بعضا من النّاس تحبّهم وتتعلّق بهم؛ حيث استخدم ﴿ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ كناية عن المحبّة والتعلّق، "وفي التّعبير رقّة ورفرفة، تصوّر القلوب رفافة مجنحة، وهي تهوى إلى ذلك الوادي الجديب، إنّه تعبير نديٌّ يندّي الجدب برقّة القلوب".[2]

قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.[3]

عبارة ﴿ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ كناية عن ملازمة الإسلام وكلمة التّوحيد، ففي هذه العبارة دلالة على عمق الرّسالة ومدى تعلّق المسلم بدينه حتّى نهاية الحياة –آخر نفس يجب أن يكون على توحيد الله وحده–.

➢ **التّعريض:**

يقول "السكّاكي": "الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة".[4]

---

[1]– إبراهيم 37.

[2]– سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 2755.

[3]– البقرة 132.

[4]– السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 403.

يقول "الزرّكشي" عن التّعريض: "إنّه الدّلالة على المعنى من طريق المفهوم وسمّي تعريضا لأنّ المعنى باعتباره يفهم من عرض اللّفظ، أي من جانبه".[1]

➢ **الفرق بين التّعريض والكناية:**

الكناية كالتّعريض فيها لا يراد ظاهر معناه ولكنّهما يفترقان في أنّ:

➢ الكناية تكون باللّفظ المفرد واللّفظ المركّب، أمّا التّعريض فلا يكون إلّا بالتّركيب.

➢ لفظ الكناية يدلّ على المقصود منه اللّزوم، غير أنّ التّعريض دلالة الكلام عليه لا يكون باللّزوم، وإنّما المقصود من جوّ الكلام وملابساته وطبيعة المخاطَب والمخاطِب.[2]

ومن أمثلته:

قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.[3]

في هذا الخطاب تعريض "قصد إثبات الفعل لنفسه من حيث أنّه أثبته للصّنم"[4]، وهو عاجز لا يستطيع النّفع أو إلحاق الضّرر بأحد وهذا استهزاء وتهكّم بتفكيرهم وإلزاما لهم بالحجّة.

يقول "الزّركشي": "فاسألوهم على سبيل الاستهزاء وإقامة الحجّة عليهم بما عرض لهم به من عجز كبير الأصنام عن الفعل، فتبيّن الفعل الصّادر عنه إلى الصّنم، ليبيّن لهم هذا العجز بطريق الحقيقة".[5]

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾.[6]

---

[1]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 311.

[2]- ينظر: محمود عوض، قصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن، ص 63.

[3]- الأنبياء، 63.

[4]- الزّمخشري، الكشّاف، ج 03، ص 93 .

[5]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 311 .

[6]- الصّافّات 89.

قال إبراهيم عليه السّلام إنّي سقيم، يقصد به مريض القلب، بسبب عبادة قومه للأوثان وترك عبادة الله، يقول "ابن كثير": "إنّ هذا الكلام من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني".[1]

قال تعالى: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾.[2]

تعريض بشقاء أبي إبراهيم عليه السّلام وقومه بسبب عباداتهم لغير الله –عزّ وجلّ– فقد سبق هذا الخطاب خطابه لأبيه، إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾[3]، وكلّ أولياء الشّيطان ينالهم عذاب وشقاء في الدّنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ ﴾.[4]

فقوله ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ ﴾، تعريض بأهل الكتاب وغيرهم، لأنّ اليهود كانوا يقولون: عزير بن الله، والنّصارى يقولون المسيح بن الله، أي أنّ إبراهيم عليه السّلام ما كان على هذه الحالة التي أنتم –يعني أهل الكتاب– عليها من الشّرك بالله، فكيف تدّعون عليه أنّه كان على اليهودية أو النّصرانية.

وإذا كنّا قد تحدّثنا عن الانزياح الدّلالي من خلال العناصر السّابقة، فإنّنا نجد انزياحا من نوع آخر، هو الانزياح التّركيبي والذي يمثّله التّقديم والتّأخير أفضل تمثيل.

---

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 04، ص 2442-2443.

[2]– مريم 48.

[3]– مريم 48.

[4]– البقرة 135.

➢ **التّقديم والتّأخير:**

لقد قيل في هذه المسألة الكثير، ومن أجمل ما قيل عن قضيّة التّقديم والتّأخير ما قاله "الجرجاني": "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللّفظ من مكان إلى مكان".[1]

عدّ "الزّركشي" التّقديم والتّأخير من أحد أساليب البلاغة فقال: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق، وقد اختلف في عدّه من المجاز، فمنهم من عدّه منه، لأنّه تقديم ما رتّبته التّأخير كالمفعول، وتأخير ما رتّبته التّقديم كالفاعل، نقل كلّ واحد منهما عن رتبته وحقّه والصّحيح أنّه ليس منه، فإنّ المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع".[2]

إذن فالتّقديم والتّأخير من المزايا اللّغوية التي تعدّ من الإعجازات البيانية فتزيد من جمال الأسلوب ورقيّه ونظمه، فهذه الظّاهرة هي إزاحة لفظة عن موضعها بتقديمها أو تأخيرها، على حسب تطلّب السّياق أو على حسب أفضليتها الدّلالية المراد التّركيز عليها في الكلام، والمعروف أنّ في اللّغة قواعد وأسس وبناءات لا يجب خرقها وإلّا أصاب الجملة خللا.

في الجملة يلعب المسند والمسند إليه دور الحصن والقلاع، فأحيانا تكون الأولوية للمسند في التّقدّم وفي أخرى تكون للمسند إليه، والتّوابع من الجنود تكون مرتّبة كلّ وحسب موقعه، كلعبة الشّطرنج، ولكن الفصيح الحدق هو الذي يعيد التّرتيب كلّ وعلى حسب السّياق الذي يريده أو منهجيته في اللّعب، فتكون كلّ وضعية لافتة للمتلقّي، منبّهة له على أسبقية اللّفظة التي استقدمت، والدّلالة من تقدّمها فتلقي به في بحر التّحليلات والتّأويلات.

---

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

[2]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 03، ص 233

ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾.[1]

فراغب خبر مقدّم –وهو المسند– قدّم لزيادة الإنكار، فلو أنّه قيل (أأنت راغب عنها) لكان قد أفاد أنّ هناك من يرغب عن آلهته غير إبراهيم عليه السّلام، ولم يكن أوّلهم، فقد قال "الزّركشي": "هنا استخدم التّقديم للتّخصيص".[2]

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾.[3]

في هذه الآية نجد الجملة قد احتوت على مفعولين مقدّمين على فعليهما هما (كلّا، نوحا) ف (كلّا) مفعول به مقدّم على الفعل (هدينا)، وكذلك (نوح)، لأنّ الأهمية للرّسل وأنّه (جلّ شأنه) اختصّ الرّسل بالهداية وهنا "استخدم التّقديم والتّأخير للقصر".[4]

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾.[5]

إبراهيم عليه السّلام مفعول به مقدّم، وهو واجب التّقديم عند جمهور النحّاة، لئلّا يعود الضّمير على متأخّر لفظا ورتبة، وربّه فاعل مؤخّر والهاء مضاف إليه، وفي تقديم المفعول عناية واهتمام بيان من وقع عليه الابتلاء، وتجنّب التّعقيد اللّفظي الذي كان سيحدثه عودة الضّمير على متأخّر لفظا ورتبة، وفي ذكر اسم الربّ وإضافته إلى ضمير إبراهيم تشريفا له عليه السّلام، واستخدم هنا التّقديم للإيجاز.[6]

---

[1]- مريم 46.

[2]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 03، ص 236.

[3]- الأنعام 84.

[4]- محمّد خليل إبراهيم، آيات الدّعوى والبشرى والثّناء في قصّة إبراهيم عليه السّلام، ص 64.

[5]- البقرة 124.

[6]- ينظر: الشحّات أبو ستيت، خصائص النّظم القرآني، ص 368.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾.[1]

هنا تقديم للجار والمجرور على المفعول به الثّاني؛ حيث إنَّ الاهتمام باختصاص الإمامة لجميع النّاس دون فريق على الآخر، هو ما جعل لفظة النّاس تكون متقدّمة، فهو عليه السّلام الذي جاء بعده جميع الأنبياء الذين دعوا إلى ملّته الموحّدة وهي الحنفية، فكان إمام وأبا الأنبياء "وإمامته مؤبّدة باقية على مرّ العصور.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾.[2]

في هذه الآية تقدّم المسند إليه على خبره الفعلي ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ لتقوية الحكم وتأكيده لا للتّخصيص، يرى "الجرجاني" في هذا الأسلوب "ما فيه من تشويق الخطاب، بسبب تقديم المسند إليه على الخبر، وتنبيهه على أنّ حديثا سيدور بشأنه ليلتفت إليه، فيدخل على قلبه دخول المأنوس به ويقبله قبول المتهيّأ له، وذلك أشدّ لثبوته وأدخل في تحقّقه"[3]، لأنّه بتقديم اسمه يظهر العظمة التي كان يدّعيها لنفسه.

قال تعالى: ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.[4]

فقدّم الظّرف –عند الله– على المفعول لأنّه أبلغ في الحصر، أي فاطلبوا عند الله الرّزق لا عند غيره، فإنّ غيره لا يملك شيئا.

قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾.[5]

---

[1]- البقرة 124.

[2]- البقرة 258.

[3]- الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 198.

[4]- العنكبوت 17.

[5]- الذّاريات 28.

فقدّم الجار والمجرور (منهم) على المفعول خيفة، أي أنّه استقدم (المخاف منهم) على (الخوف)، قال "فاضل السامرّائي": "وهذا التّقديم يفيد الاختصاص والحصر، أي أنّ الخوف كان منهم لا من غيرهم، ولو قال (فأوجس خيفة منهم) لكان أخبر أنّه خاف منهم ولم يخبر أنّه لم يخف من غيرهم، بل ربّما كان ثمّة خوف آخر من غيرهم، فإنّ التّعبير الوارد في الآية جعل الضّيف وعلّل سبب الخوف وقصر ذلك عليهم، وأمّا التّعبير الآخر (فأوجس خيفة) فلا يقصر الخوف عليهم، بل ربّما هناك سبب آخر معهم".[1]

ومثل هذه الأساليب كثيرة في القصّة، فاستخدمت لتحسين النّظم وتركيز الدّلالة من حصر وقصر وتخصيص، فهذه الأساليب الإعجازية الفنية ليست غريبة على كتاب معجز بكلّ أركانه وخطابه المعجز هو أساس بنائه.

كلّ هذه الأساليب كما قلنا ما هي إلّا نوع من أنواع الانزياحات التي زادت من ثراء الخطاب القصصي، الذي تلوّنت بألوانه حسب الشّخصيات والأحداث وكذا السّياقات التي تناولته.

الخطاب القرآني متنوّع الأساليب والتّراكيب، ممّا يجعله كيانا عالي الدقّة في الإحكام ومركّبا متفوّق النّسج بألوان من التّعابير والدّلالات والألفاظ، كلّ هذا جعل المتلقّي يتخبّط في عالم السّحر بين الحقيقة والخيال، وأكيد أنّ القرآن حقيقة مطلقة، لا يمكن أن تشوبها شائبة بكلّ حرف وصيغة فيه، إلّا أنّ العقل البشري الذي يبقي جزء بسيط من إحدى معارف الله في خلقة، لا يمكن أن تصل تلك الحقائق إلّا من باب الخيال والتّخييل، فالخيال الإنساني جزء من حقيقة خلق الله وهو علم يتوقّف حدّه البشر، فلا يمكنهم تجاوزه.

[1] – محمّد خليل إبراهيم، آيات الدّعوة والبشرى والثّناء، ص 65.

2/ التّجسيد والتّشخيص:

التّجسيد والتّشخيص مصطلحان جديدان من حيث التّسمية، ولكنّهما ليسا بالغريبين في الدّراسات اللّغوية والبلاغية؛ حيث أشار القدامى إلى هذين المصطلحين من خلال باب خطاب الجوامد على أساس أنّها كائنات حيّة، فالزّركشي أسماهما "خطاب الجمادات خطاب من يعقل".[1]

والتّجسيد هو إبراز الماهية والأفكار العامّة والعواطف في رسوم وهيئات محسوسة، هي في واقعها رموز معبّرة عنها، فهو إضافة الماديات على ما هو موجود[2]، أمّا التّشخيص فهو وقف أشياء جامدة على أفعال حيّة، أو هو إعطاء الموضوعات الغير حيوية صفات الأشخاص، والصّورة التّشخيصية نعني بها إحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان.[3]

يرى "سيّد قطب" في التّشخيص أنّه الارتقاء بالمجسّدات والانفعالات الوجدانية من خاصيتها المجرّدة إلى الخاصية الإنسانية الآدمية (تفكير، إحساس...).[4]

ومن أمثلته:

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.[5]

فالكلمة معنوية، والإشارة المعنوية لا يمكن أن تتّصف بصفة البقاء، لأنّها لا ترى، فالبقاء للأشياء المحسوسة المادية هو تجسيد لشيء حسّي.

---

[1]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن الكريم، ج 02، ص 246.

[2]- ينظر: عبد القادر علي زرّوقي، صور التّجسيد والتّشخيص في شعر محمّد بلقاسم خمّار دراسة في التّشكيل الدّلالي والجمالي، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، تمنراست، المجلّد 09، العدد 04، 2020م، ص 339.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 346.

[4]- ينظر: سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، ص 73.

[5]- الزّخرف 28.

قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ ﴾.[1]

فهنا تشخيص لأنّه عليه السّلام خاطب الجماد بصفة العاقل وكأنّها تتكلّم.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾.[2]

يقال بأنّ النّشأة تكون بإنشاء الحياة، وهنا النّشأة هي الحياة الأخرى، وهي شيء معنوي، وهل يمكن للحياة التي هي شيء حسّي أن يكون لها حياة، فتعالى الله من يسبّح له كلّ الكائنات والمخلوقات (حسية أو معنوية أو مجسّدة أو كائنات حيّة).

قال تعالى: ﴿ وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ﴾.[3]

فالإفك شيء معنوي لا يبثّ فيه الحياة، والخلق تمسّ الكائنات الحيّة الملموسة، فهنا تجسيد لشيء حسّي معنوي.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ ﴾.[4]

فالأصنام لا يمكنها التّحرّك، بحيث تبدي أيّ انفعال، وإعطاؤها الصّفة الحيّة، التي هي الخاصية العدائية هي صفة إنسانية، فهذه صورة تشخيصية للأصنام.

قال تعالى: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ ﴾.[5]

لقد جعل من النّار كائنا بشريّا، يعقل ويعي الكلام وينفّذ الأوامر عندما أمرها الله بأن تكون بردا وسلاما، فهو خاطبها من مبدأ العاقل، وهنا تشخيص لحالتها، وكيف لا وهي التي نفّدت أمر

[1]- الصّافّات 92/91.

[2]- العنكبوت 20.

[3]- العنكبوت 17.

[4]- الشّعراء 77.

[5]- الأنبياء 69.

ربّها وأطاعته بأن تخلّت عن فاعليتها الحرارية، ولأجل سيّدنا إبراهيم عليه السّلام تنفيذا لأمر خالقها جلّ جلاله.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ ﴾.[1]

فالعلم صفة معنوية حسية، وإعطاؤها خاصية الانتقال التي هي من خواصّ الكائنات الحيّة بالمجيء والذّهاب هو تجسيد لهذه الصّفة.

قال تعالى: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ ﴾.[2]

المناسك هي العبادات والشّعائر، وهي أشياء حسية لا نستطيع رؤيتها بالعين، والرّؤية تخصّ الموجودات، فهنا تجسيد للمناسك باعتبارها أشياء حسية لا ترى بالعين.

3/ التّذييل:

يقول "الزّركشي" عن التّذييل: "مصدر (ذيّل) للمبالغة، وهي لغة: جعل الشّيء ذيلا للآخر، واصطلاحا أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقلّ في معنى الأوّل، تحقيقا لدلالة منطوق الأوّل أو مفهومه، ليكون معه كالدّليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه".[3]

قال عنه "السّيوطي": "أن يؤتى بجملة عقب جملة، والثّانية تشتمل على المعنى الأوّل لتأكيد منطوقة أو مفهومه، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرّر عند من فهمه"[4]، فالتّذييل يزيد من تركيز الدّلالة وتعزيز الإيحاءات، كما يزيد من جمال النّظم وتماسك الأجزاء –الخطاب–.

ومن أمثلته:

---

[1]– مريم 43.

[2]– البقرة 128.

[3]– الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 03، ص 68 .

[4]– السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 02، ص 199.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾.[1]

ففي الآية تذييلان، أوّلهما قوله تعالى: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ ﴾، وهو يؤكّد ما سبق من إعلاء مكانة إبراهيم عليه السّلام على قومه ونصره عليهم، بإيتائه الحجّة المفحمة التي رفعته وحطّتهم، وثانيها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾، وهو بجانب ما تضمّنه من أخبار مؤكّدة بحكمة الله تعالى وعلمه، يؤكّد ما سبق، فالله تعالى حكيم في كلّ ما فعل من رفع وخفض، وعليم بحال من يرفعه، لأنّ الحكمة هي صفة من صفاته، وكلّ أمر يجري لحكمة يعلمها هو وحده، والتّذييل هنا تذييل تعليلي[2]، لأنّه سبحانه قدّر الحكمة بعد رفع منزلة إبراهيم عليه السّلام ومكانته برفع حجّته وتغليبها على حججهم الواهية.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾.[3]

فإنّ الآية الثّانية هي تذييل للآية الأولى، وهي تذييل تعليلي عن سبب مجادلة إبراهيم عليه السّلام للملائكة بشأن عقاب قوم لوط عليه السّلام، وما تلا من ذكر الصّفات الحميدة والجليلة التي يتّصف بها إبراهيم عليه السّلام، والتي جعلته مجادلا في هذا الموقف.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾.[4]

---

[1]- الأنعام 83.

[2]- ينظر: الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 594.

[3]- هود 75/74.

[4]- إبراهيم 38.

وعبارة ﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ تذييل، يؤكّد علم الله سبحانه وتعالى بما يخفون وما يعلنون، بجانب ما أثبته من علم الله تعالى بكلّ شيء في الكون، وهو تذييل جار مجرى المثل لاستقلاله في الإفادة.[1]

قال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾.[2]

فعبارة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ ما هي إلّا تذييل لعمليّة بداية الخلق ونشأته، فقد علّل سبحانه عمليّة الخلق وإنشائه أنّها تضمّ إلى قدرته العظيمة، ولذلك جاءت العبارة تذييلا للذي سبقها، فهو لا يستعصى على قدرته شيء، وهنا تذييل تعليلي.

4/ المشاكلة:

نستطيع القول عن المشاكلة أو التّشاكل، هو ذكر الشّيء بلفظ غيره لوقوعه في سياقه، "فكلمات النصّ تدخل في علاقة مشاكلة، فتكون كلّ كلمة من تلك الكلمات محمّلة بقيود تخصّصها، فترجع خصائص وتستغني عن أخرى، حتّى تنسجم أجزاء الكلام، وذلك أنّ الكلمة في ذاتها تكون متعدّدة السّمات والدّلالات، ولا تتخلّص من كثافتها إلّا عندما تندرج في سياق تركيبي معيّن، وذلك لتحصيل التّشاكل الدّلالي".[3]

ذكر "الزّركشي" "المشاكلة من جهة علاقة اللّفظ والمعنى؛ حيث فصّل في مشاكلة اللّفظ للّفظ وكذا مشاكلة اللّفظ للمعنى".[4]

---

[1]- ينظر: الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 595.

[2]- العنكبوت 20.

[3]- عبد الرّحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، 6-4-1434هـ/16-2-2013م، ص 47.

[4]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 377-378.

يقول "غرايماس" عن التّشاكل: "هو مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية (أي المقوّمات) التي تجعل القراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حلّ إبهامها، هذا الحلّ نفسه موجّه بالبحث عن القراءة المنسجمة".[1]

يقول "رستي" عن التّشاكل: "إعادة أيّة وحدة لغوية".[2]

ومنه فإنّ المشاكلة والتّشاكل قد يقع في الدّلالة كما يقع في التّراكيب، وهي من بين الأمور التي تفطّن لها "الزّركشي" من قبل، عندما تحدّث عن المشاكلة في اللّفظ وكذلك في المعنى.

عرّف "مُحَمَّد مفتاح" المشاكلة فقال: "التّشاكل هو تنمية لنواة معيّنة سلبيّا أو إيجابيّا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية، ومعجمية، وتركيبية، ومعنوية، وتداولية، ضمانا لانسجام الرّسالة"[3]، ومنه فالتّشاكل شكل من الأشكال الانزياحية الدّلالية، التي تزيد من تناسق الخطاب وانسجامه وتكثيف صورته للتّأثير في المتلقّي.

ومن أمثلته داخل قصّة إبراهيم عليه السّلام:

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.[4]

وهنا الزّوجة أقرنت العقم لنفسها وعدم إنجابها وشاكلته لزوجها؛ حيث يقول "الشّحات أبو ستيّت": "إنّما قدّمت بيان حالها على بيان حاله عليه السّلام، لأنّ مباينة حالها لما ذكر من الولادة أكثر"[5]، إذ ربّما يمكن أن يولد للرّجال المشايخ (أو الكبار في السنّ)، أمّا النّساء العجائز فهي مستحيلة، ولأنّ البشارة متوجّهة إليها صريحا –لأنّه وعلى حسب كتب التّفسير فقد كان لإبراهيم

[1]– مُحَمَّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التّناص)، المركز الثّقافي العربي، ط 03، يوليو 1992م، الدّار البيضاء، ص 20.

[2]– شارودو و منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 325.

[3]– المرجع السّابق، ص 25.

[4]– هود 72.

[5]– ينظر: الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 282.

عليه السّلام ولد من هاجر هو إسماعيل عليها السّلام- فجاءت المشاكلة هنا لتوهم من أوّل الأمر نسبة المانع من الولادة إلى جنب إبراهيم عليه السّلام.

قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.[1]

هنا مشاكلة بين القوم وبين أب إبراهيم عليه السّلام لعبادة الأصنام، لأنّ القول كان من قبل إبراهيم عليه السّلام، ذلك أنّ أباه أولى بالنّصيحة فأشكل القوم معه في الدّعوة، وجاءت مشاكلة الأوّل للثّاني[2]، على سياق الاستفهام الذّي طرحه إبراهيم عليه السّلام على أبيه وقومه معا حول عبادتهم للأصنام.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.[3]

في هذه الآيات نرى ذكر القمر والشّمس والكوكب وكلّها تدخل تحت مسمّيات الأجرام، فهي جزء من المجموعة الشّمسية وتجمعها خاصية الأفول كما بيّنها عليه السّلام، فكانت هنا مشاكلة بين الآيات الثّلاث.

ثمّ في الآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، هناك مشاكلة بين السّموات والأرض، بأنّ إبراهيم عليه السّلام قد رأى ملك ربّه في السّماوات وكذلك في الأرض، فأعطت هذه المشاكلة والتّشاكل في اللّفظ الجرس الموسيقي، الذي يقبع في النّفس الإنسانية، كما عزّزت من الدّلالة

[1]- الأنبياء، 52.

[2]- ينظر: الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 03، ص 377.

[3]- الأنعام 75... 78.

الإيحائية، دون أن يكون هناك خلل ونشوز، بل أنّ جمال العبارة وتناسقها زاد من تماسك الأسلوب وتناغمه مع المعنى.

ثالثا: أساليب الاتّساق والانسجام داخل قصّة إبراهيم عليه السّلام

إنّ أهمّ ما يميّز الإعجاز القرآني هو ما يظهر فيه من فصاحة وبلاغة وبيان وروعة للمعاني ودقّة في انسجام الألفاظ في مبانيها وتنسيقها، لأنّه يعتمد على سلاسة العبارة، كما أنّه يتميّز بالنّظم الصّوتي وجودة السّبك في ترابط كلماته وجمله وآلياته وسوره، فالخطاب القرآني هو فنّ الإعجاز الأسلوبي، أجمع عليه علماء اللّغة وأهل البيان قديما وحديثا.

لقد اختلف هؤلاء في رؤى وتصوّرات ترابط النصّ وتماسكها على أساس "نظم الجملة إبتداء من وحداتها الصّغرى حتّى مجمل النصّ الذي يتكوّن من جمل متتالية ودلالة الألفاظ داخلها".[1]

عرّف "سيبويه" الكلام بأنّه: "الجملة المستقلّة بنفسه الغانية عن غيرها".[2]

يرى "ابن جنّي" في هذا الصّدد "إنّما وضع الكلام للفائدة، والفائدة لا تبنى من الكلمة الواحدة، وإنّما تجنى من الجمل ومدارج القول".[3]

كما قام "ابن هشام" بتقسيم الجملة إلى "جملة صغرى وأخرى مركّبة"[4]، وبما أنّ الخطاب هو مجموعة من الجمل، فإنّ ما يجمعها هو الانسجام والاتّساق، ليكوّن لنا جمالا متنامي السموّ في قوّة البلاغة والبيان وتحقيق الإعجاز الأدبي والبياني.

---

[1]- عاصم شحادة علي، مظاهر الاتّساق والانسجام في تحليل الخطاب النّبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجا، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلّد 36، العدد 02، 2009م، ص 361.

[2]- المرجع نفسه، ص 361.

[3]- ابن جنّي، الخصائص، ج 02، ص 331.

[4]- المرجع السّابق، ص 261

1/ مفهوم الاتّساق والإنسجام:

أ: عند الغربيين

لقد اهتمّ الغربيون بدراسة بنيات النّصوص وتركيبها، فأوجدت مفاهيم عديدة لمصطلح الاتّساق والانسجام، وحاولوا تحديد مظاهرهما في النصّ أو الخطاب.

تدلّ كلمة اتّساق منذ كتاب Cohesion in english لهليداي حسن 1961م "على مجموع الوسائل اللّسانية الرّابطة بين عناصر الجملة وبين الجمل التي تسمح لملفوظ ما شفوي أو كتابي بأن يبدو في شكل نصّ".[1]

كما يقول "فان دايك" أنّ الاتّساق هو "خاصية سيمانطقية (دلالية) للخطاب، قائمة على تأويل كلّ جملة مفردة، متعلّقة بتأويل جملة أخرى".[2]

أمّا بالنّسبة "لدومينيك منغونو" فيقول: "يعتقد أنّ الاتّساق ناتج عن تسلسل الجمل وخطية النصّ، في حين أنّ الانسجام يعتمد على الاتّساق، غير أنّ الانسجام يقتحم ويفرض قيودا أخرى غير خطية مرتبطة بالسّياق"[3]، بالنّسبة إليهم –الغربيون– الاتّساق شرط أساسي للانسجام العام؛ حيث قال "شارول" عن الاتّساق والانسجام "حتّى يكون النصّ منسجما، يجب أن يتميّز بالاستمرار وبمعنى لساني يجب أن يحتوي في مساره الخطّي عناصر استمراره".[4]

---

[1]–باتريك شارودو و دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 100.

[2]– نور الدّين خيّار، الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية قصة يوسف عليه السّلام أنموذجا، إشراف: زبير سعدي، أطروحة دكتوراه، تخصّص: جامعة الجزائر، 2003م/2004م، ص 153.

[3]– دومنيك منغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2008م، ص 154.

[4]– المرجع نفسه، ص 154.

ويضيف أيضا في هذا الموضوع "أنّ الحاجة للانسجام هي نوع من الشّكل القبلي لتلقّي الخطابي"[1]، أمّا "آن روبول" و "جاك موشلر" فهما "يريان أنّ القول باتّساق خطاب ما أو عدم اتّساقه، يتحدّد تبعا لتوافقه أو عدم توافقه لقواعد الخطاب".[2]

يقول "دي بوغراند" في ثنائية الاتّساق والانسجام "نصية قائمة على الإعلام، فالاتّساق في نظره مظهر للنّحويين، في حين الانسجام مظهر للقبولية"[3]، ولقد حاول الغربيون التّمييز بين مصطلحي الانسجام والاتّساق، وجعلوا لكلّ لون منهما أدوات ومرتكزات تحدّدهما عن الآخر.

فهذان "هالداي" و "رقية حسن" يحدّدان كلّا من الانسجام والاتّساق فيقولان: "أنّ الانسجام مرتبط أكثر بالاستمرار الدّلالي للنصّ أو الخطاب الذي يشكّله تنظيمه الخاص، أمّا الاتّساق فيطبع النصّ ويسمه من وجهة نظرة القدرة الخطابية المؤكّدة والمثبتة بقواعد التّأليف الجيّد، وهذا في نظر مستقبلي النصّ أو الخطاب، كما أنّ الانسجام لا يركّز على ماذا يعني النصّ، بقدر ما يركّز كيفية تركيب النصّ باعتباره صرحا دلاليّا".[4]

ب: عند العرب

لقد أثار تماسك النصّ وانسجامه، اهتمام النّحويين واللّغويين على حدّ سواء، وأثار انشغال أدبائها منذ القدم، وإن كانت قد أثيرت بصعيد مختلف عن المصطلحات الجديدة، إلّا أنّها كانت تندرج في دراستهم وتستهدف أدوات ووسائل، تشكّل عنصرا هامّا في انسجام واتّساق النّصوص.

فهذا "الجاحظ" يقول معبّرا عن انسجام واتّساق الخطاب "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما،

---

[1]- المرجع السّابق، ص 155.

[2]- نور الدّين خيّار، الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية قصة يوسف عليه السّلام أنموذجا، ص 154.

[3]- باتريك شارودو و دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 100.

[4]- المرجع السّابق، ص 155.

ولكلّ حاجة من ذلك مقاما، حتّى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1]، و "الجاحظ" يتطرّق هنا إلى انسجام الكلام وانسجام المعنى والعلاقة بين المتلقّي والملقي والإيحاءات المستهدفة.

يقول "الجرجاني": "اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة وممّا لا يأتي لتمام الصّواب فيه إلّا الأعراب الخلّص، وإلّا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنّا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد".[2]

إنّ اتّساق النصّ، يعني ذلك التّماسك بين أجزائه، فهذا "الخطابي" يعرّفه بأنّه: "ذلك التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكّلة للنصّ/خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللّغوية (الشّكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من الخطاب أو الخطاب برمّته"[3]، كما يرى "الخطابي" في مسألة انسجام النصّ أنّه "ليس هناك نصّ منسجم في ذاته ونصّ غير منسجم في ذاته بعيدا عن المتلقّي".[4]

أمّا "سيّد قطب" فالانسجام عنده متعلّق "بالإيقاع الموسيقي المتعدّد الأنواع، الذي يتناسق مع الجوّ ويؤدّي وظيفة أساسية في البيان، فهو يرى أنّ هذه الموسيقى إشعاع للنّظم الخاص في كلّ موضع وتابعة لقصر الفواصل وطولها، إضافة إلى أنّها تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، والألفاظ في الفاصلة الواحدة".[5]

---

[1]- الجاحظ، البيان والتّبيين، ص 100.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 222.

[3]- محمّد خطابي، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط 01، 1991م، ص 05.

[4]- المرجع نفسه، ص 51.

[5]- ينظر: سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، ص 101-102.

إذن، من خلال ما رأينا من هذه التّعاريف، نجد بأنّ كلّا من الاتّساق والانسجام هي المرتكزات الجمالية والفنية المكوّنة للنصّ الخطابي، والتي حاول كلّا من النّحويين واللّغويين تحديدها بأساليب ورؤى متعدّدة، وهي متعلّقة كذلك بالمتلقّي ورؤيته للصّرح الفنّي.

ج: تحديد أدوات الاتّساق والانسجام

لقد أُجمع على أنّ الاتّساق هي عمليّة بناء منظّمة ومترابطة تركيبيّا ودلاليّا؛ حيث أنّ كلّ جملة تُوصل إلى الجملة التي بعدها، ويتحقّق هذا التّرابط والتّعالق بواسطة أدوات ووسائل لغوية، أمّا الانسجام "فهو يتحقّق في التّواصل اللّغوي؛ حيث يستعمل بعض الوحدات اللّغوية، كوحدة قاعدية للنصّ، وبواسطة الموضوع والتّوسيعات، يبدأ عملية التّدرّج الخطّي في ترتيب متّفق للنصّ، ويتمّ مقاطع الوحدات".[1]

2/ أدوات اتّساق الخطاب داخل القصّة القرآنية

ممّا سبق، رأينا أنّ للاتّساق أدوات تعمل على تماسك وترابط النصّ، وفي قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام نجد العديد من تلك الأدوات، التي سنحاول تقصّي موضعها وتحديد أهدافها في اتّساق القالب التّركيبي للقصّة القرآنية –قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام–.

أ: الوصل والفصل

لقد خصّ القدماء العرب قضيّة الوصل والفصل بدراسات وتحليلات متعدّدة؛ حيث فصّلوا في الموضوع كلّا على حسب رؤيته ووجهته، وكان الرّبط لديهم من أجل اللّبس، كما ورد الوصل لدى القدماء للتّمييز تشريفا أو لتوكيد تفرّد العلم بالتّأويل.

[1]– بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء بيانات النصّ دراسة تطبيقية في سورة البقرة، ص 19.

وبالنّسبة للجرجاني فقد خصّه بباب كامل في كتابة "دلائل الإعجاز"، وكذالك فعلا كلّا من "السكّاكي" و "الزّركشي"، والوصل هو "عطف جملة على أخرى بالواو"[1]، أمّا الفصل فهو "ترك عطف بعض الجمل على بعض"[2]، وبالنّسبة للغربيين فإنّ الفصل والوصل أساسه العلاقات التي تقوم بين الجمل داخل النصّ نفسه.

أشار "هالداي" و "رقية" أنّ علاقة الوصل هي: "تحديد للطّريقة التي يترابط بها اللّاحق مع السّابق على نحو منظم، وقسّما أنواع الوصل إلى الوصل العكسي والوصل السّببي الزّمني".[3]

أمّا "منغونو" فيقول عن الوصل: "هي عادة الوحدات اللّغوية الموفيمات التي تقيم علاقة بين جملتين، وقد يتعلّق بالظّروف...، والعطف...، والاتّباع.[4]

جاء الوصل والفصل في قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام موزّعا بين جمل وتراكيب النصّ القرآني، فقد بيّن "الشحّات أبو ستّيت" مواضع الفصل والوصل في آيات قصّة إبراهيم عليه السّلام؛ حيث أشار لوقوع الفصل بين الجمل في مائة وخمسة وثمانية موضعا، بينما جاء الوصل في نحو مائة وسبعة وأربعين موضعا آخر".[5]

من أمثلة وقوع الفصل هو ما جاء في آيات سورة البقرة، قال تعالى: ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾.[6]

وقع في هذه الآية الفصل في ثلاث مواضع؛ حيث اعتمد أسلوب الحكاية والحوار، وقد جاءت بعد قال، لأنّها جواب عن سؤال مقدّر.

---

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، ص 260.

[2]- المرجع نفسه، ص 260.

[3]- دومينيك منغونو، المصطلحات المفاتيح، ص 26.

[4]- المرجع نفسه، ص 27.

[5]- ينظر: الشحّات مُحَمَّد أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني في قصّة إبراهيم عليه السّلام، ص 572.

[6]- البقرة 124.

ويرى "الشحّات" أنّ مواضع الفصل بين الجمل سببه الاستئناف البياني، الذي هو راجع لشيئين: أوّلهما كثرة الجمل التّعليلية والتّذييلية في مقاطع الآيات، والتي تكون جوابا عن أسئلة تطرحها الجملة السّابقة لها في الأغلب، أمّا بالنّسبة للسّبب الثّاني فهو شيوع الحكاية الذي يروي ما دار بين الأطراف من حوار".[1]

هذا وقد تحدّث "الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز" في نفس الموضوع فقال: "إنّ الذي نراه في التّنزيل من لفظ (قال) مفصولا غير معطوف، جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السّؤال كما جرت به العادة في الكلام بين النّاس".[2]

كما يمكن القول بأنّ الفصل وقع لسبب بلاغي أيضا هو "كمال الانقطاع بصورتيه" -اختلاف الجملتين في الخبرية والإنشائية- وعدم وجود جامع يصلح العطف بينهما.[3]

ومن هنا نجد بأنّ ما جمع بين الجمل هو رابطة معنوية دلالية؛ حيث أنّ الجملة اللّاحقة هي جملة مكمّلة للّتي تسبقها، فإمّا تكون شارحة لها أو مكمّلة في المعنى، تفهم من السّياقات، ممّا أغناها عن الرّوابط اللّفظية، يقول "سيّد الشّريف": "الجملتان إذا لم يعطف أحدهما عن الآخر، فهم اجتماع مضمونهما في الحصول بدلالة العقل"[4]، ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾.[5]

فجاءت جملة ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ مفصولة عن جملة ﴿ قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ والسّبب في هذا الفصل أنّ الجملة الثّانية أتت توكيدا للجملة الأولى في الثّناء على سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، لأنّه كان خليل الرّحمن الذي واجه الويلات خلال دعوته، فصبر ووحّد الله ولم يكن من المشركين، وكذلك

---

[1]- ينظر: المرجع السّابق، ص 575.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 578.

[3]- الشحّات محمّد أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 578.

[4]- المرجع نفسه، ص 580.

[5]- النّحل 120.

قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ ﴾.[1]

جاءت الجملة الثّانية مستأنفة لسؤال مقدّر، (تقديره: ماذا قالت) ومنع الوصل (العطف) لوجود رابطة قويّة بين الجملتين، ففهم الكلام من السّياق، وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ ﴾.[2]

فصل بين الجملة الأولى ﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ ﴾ والجملة الثّانية ﴿ قَالَ سَلَٰمٞ ﴾ ولم يعطف بينهما، لأنّها فهمت من السّياق، فكانت الجملة الثّانية جوابا للجملة الأولى (عن سؤال تقديره: فماذا قال لهم، قال لهم سلام) وكما قلنا آنفا جرى الفصل في مواضع كثر، سواء لاستئناف بياني أو استئناف للمعاني، ممّا يزيد تماسك النصّ وترابطه، ليحدث الاتّساق داخل النصّ.

أمّا بالنّسبة للوصل الذي هو العطف بحرف الواو، فنجده في عدّة مواضع في الخطاب القرآني في قصّة إبراهيم عليه السّلام، ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ ﴾[3]، فقد عطف الجملة الثّانية ﴿ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ ﴾ على الجملة الأولى ﴿ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ ﴾ بالواو لاتّفاقهما في الخبرية، من أمثلة الوصل كذلك قوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ ﴾[4]، فقد وقع الوصل بين الجمل في الآيات السّابقة، وهي متّحدة في الإنشائية مع

[1]- هود 72/71.

[2]- الذّاريات 25.

[3]- البقرة 130.

[4]- الشّعراء 83... 87.

التّناسب القائم على التّماثل في كونها دعوات، تضرّع بها إبراهيم عليه السّلام إلى ربّه عزّ وجلّ، راجيا خيري الدّنيا والآخرة.[1]

ويقول تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]، فجملة ﴿ مَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ عطفت على الجملة الأولى ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ ﴾ بالواو، لاتّفاقهما في الخبرية.

أيضا يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]، فعطفت الجملة الثّانية ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾ على الجملة الأولى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا ﴾ لاتّفاقهما في الخبرية، وقد عطفت الجمل بعضها على بعض لوجود المناسبة بين المضمونين.[4]

وممّا سبق، نرى بأنّ الوصل شغل مواضع كثيرة من أركان التّركيب القصصي، فقد أضفى عليه جمالا فنيا بيانيا، ساهم في تماسك أركانه وترابط معانيه، ممّا لا يجعل فيه نشوزا أو شائبة.

ب: الاتّساق المعجمي

يمدّ الاتّساق المعجمي النصّ بجمال داخلي ودلالي، فهو يعتبر من أحد العناصر التي تدخل في تماسك النصّ واتّساقه، وهناك من يطلق عليه "المستوى المعجمي"، فنجد "مُحَمَّد خطابي" يعدّه وسيلة نحوية للرّبط بين عناصر النصّ"[5]، ويدرج تحت هذا المصطلح جنسان لغويان هما "التّكرار والتّضام".

---

[1]- الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 578.

[2]- إبراهيم 38.

[3]- الحديد 26.

[4]- الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 579.

[5]- مُحَمَّد خطابي، لسانيات النصّ، ص 24.

أمّا ظاهرة التّكرار فقد تناولها القدماء من باب الإطناب، الذي يعدّ: ظاهرة تركيبية، تقابل الحذف والإيجاز"[1]، كما تناول علماء العربية قديما موضوع التّضام واستخدموا بدله مصطلح "المطابقة في علم البديع " كما يسمّى "الطّباق والتّضاد"، أمّا علماء البلاغة فقد تناولوا في هذا الإطار مفهوم الجمع بين معنيين، يتعلّق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلّق مثل: السّببيّة واللّزوم.[2]

وذكر العلماء الغربيون هذا المصطلح من أمثال "هالداي" و "رقيّة"؛ حيث قالا: "لا يمكن الحديث عن العنصر المفترِض والعنصر المفترَض، ولا عن وسيلة نحوية للرّبط بين عناصر النصّ"[3]، كما قالا أنّ الاتّساق المعجمي ينقسم قسمين (التّكرار والتّكرير) وثانيا (التّضام)، والتّكرار من أشكال الاتّساق المعجمي، يتطلّب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف.[4]

أمّا الإطناب فيقول "السكّاكي" عنه: "أداؤه بأكثر عبارتهم، سواء كانت القلّة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل.[5]

وورد الاتّساق المعجمي بمسمّى آخر هو السّبك المعجمي؛ حيث عرف أنّه العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية.[6]

ومن هنا، نجد بأنّ الاتّساق المعجمي أو السّبك المعجمي أو غيرها من المسمّيات، تندرج تحتها مصطلحين يحدّدانها التّكرار والتّضام.

---

[1]- عاصم شحادة علي، مظاهر الاتّساق والانسجام في الحديث النّبوي، ص 362.

[2]- المرجع نفسه، 362

[3]- المرجع نفسه، ص363

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[5]- مُحَمَّد بن علي السكّاكي، مفتاح العلوم، ص277.

[6]- علم اللّغة النص بين النظرية والتّطبيق ،الخطابة النبوية نموذجا ،علوم اللغة ،المجلد التاسع ،لعدد الثاني، 2006م ،ص26

➢ **التّكرار:**

من المباحث اللّغوية التي نالت اهتماما في الدّراسات البلاغية التّفسيرية والدّراسات اللّسانية حديثا، يقول "الزّركشي" عن التّكرار: "هو مصدر كرّر إذا ردّد أو أعاد... وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنّا أنّه لافائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلّق بعضه، وذلك أنّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء، إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدّعاء عليه، كرّرته توكيدا، وكأنّها تقيم تكراره مقام المقسّم عليه أو الاجتهاد في الدّعاء عليه".[1]

كما أورد "الرّضي" تعريفا للتّكرار في كتابه "شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب"؛ حيث قال: "التّكرير ضمّ الشّيء إلى مثله في اللّفظ مع كونه إيّاه في المعنى للتّأكيد والتّقرير، والغالب فيما يفيد التّأكيد أن يذكر بلفظين فصاعدا"[2]، كما نجد "ديفيد كريستال" يعرّفه بقوله: "إنّه التّعبير الذي يكرّر في الكلّ والجزء".[3]

يقصد النصيون بالتّكرار هو "إعادة عنصر معجمي أو مرادفه أو شبهه أو عنصر مطلق أو اسم"[4]، والتّكرار في القرآن الكريم يزيد في ثرائه اللّغوي والفنّي واتّساقه المعنوي والدّلالي.

يقول "التّهامي نقرة": "تكرار القصّة في القرآن وثيقة الصّلة بمنهجه القصصي، إذ هو يخدم غرضين في آن واحد: غرضا فنيّا يتمثّل في تجدّد أسلوبها إيرادا أو تصويرا، والتّفنّن في عرضها إيجازا وإطنابا، والتّنوّع في أدائها لفظا ومعنى، وغرضا نفسيّا لما له من تأثير في النّفوس، لأنّ المكرّر ينطبع في النّفوس".[5]

---

[1]- بدر الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 03، ص 8-9.

[2]- الرّضي محمّد بن الحسن، شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، جامعة الإمام محمّد سعود الإسلامية، 28 مايو 2011م، ص 1060.

[3]- محمود عوض محمود سالم، قصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللّغة النصي، ص 70.

[4]- محمّد خطابي، لسانيات النصّ، ص 24.

[5]- التّهامي نقرة، سيكولوجية القصّة، ص 115-116.

التّكرار تأتي أشكاله متعدّدة؛ حيث تضمّنت الحروف والأسماء والأفعال والجمل، ممّا أثرت النصّ بتناسق وتناغم موسيقي، زاد من لونها الإعجازي والمؤثّر على المتلقّي.

➢ **تكرار الحرف:**

يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾.[1]

من خلال تكرار الحرف "حرف النّداء" "يا" المخصّص للنّداء في الآيات لأربع مرّات:

- ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ﴾.
- ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾.
- ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ ﴾.
- ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾.

من خلال هذا التّكرار، لمسنا نغما صوتيا مميّزا داخل النصّ القرآني، إضافة إلى تركيز الدّلالة والقيمة المعنوية، فالخطاب يحمل في أسلوبه سمات التّلطّف والتّحبّب في الكلام، ليبرز صفة الخليل في أدبه مع أبيه.

التّكرار ركّز على الصّيغة ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ﴾ ليوصل رسالة التّأدّب المفروضة من الله تعالى على الأبناء اتّجاه آبائهم، حتّى إن كانوا مشركين، "فالأبوّة لها منزلة عظيمة ودرجة رفيعة وضعها إيّاها الخليل".[2]

---

[1]- مريم 42... 45.

[2]- يوسف سليمان الطحّان، السّمات الأسلوبية في القصّة القرآنية قصّة إبراهيم عليه السّلام نوذجا ، مجلّة أبحات، كلية التّربية الأساسية، المجلّد 10، العدد 01، 2011م، ص217.

➢ **تكرار الفعل أو الاسم أو الجملة:**

ويمكن أن نسمّيه الكامل، فهو تكرار كامل للكلمة، سواء كانت اسما أو فعلا أو جملة، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ ﴾.[1]

لقد تكرّر الفعلان ﴿ رَءَا ﴾ و﴿ أَفَلَ ﴾ كما تكرّرت جملة ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ ثلاث مرّات متتالية في الآيات 76-77-78، فالفعل نُرِيَ في الآية 75 يقصد به ما أتمّه الله تعالى على إبراهيم عليه السّلام من رؤية ملكوت السّموات والأرض.[2]

أمّا الفعل رَءَا فهي رؤية مجرّدة بالعين، ليوقن الحقيقة المؤكّدة على مادية الجوامد التي رآها إبراهيم عليه السّلام (الكواكب والقمر والشّمس) وتتكوّن العقيدة الصّحيحة بوحدانية الله، وتكرّر الفعل للتّصديق على هذه العقيدة والتّأكيد ليزول الشكّ مع الفعل ﴿ أَفَلَ ﴾ ويعوّض باليقين (ربوبية الله).

كذلك تكرّرت جملة ﴿ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾، فهنا لتؤكّد الحيرة التي كانت تعتلي إبراهيم عليه السّلام -وهي حيرة البحث عن الله- وقد زالت بأفول هذه المجسّدات لتصبح الحقيقة المطلقة على أنّ الله أسمى من المخلوقات، فهو الذي لا يغيب ولا يختفي بمرور الفترة أو وقت، بل هو موجود في كلّ مكان وكلّ زمان، سواء زمن جزئي أو زمن أبدي، وهذا ما أكّدته وظيفة التّكرار المستخدمة في النّصوص القرآنية، وهي غايتها التّأكيد والتّوضيح والتّركيز على القضايا المطروحة داخل الخطاب.

يقول "سيّد قطب": "قد يستقلّ لفظ واحد -لا عبارة كاملة- برسم صورة شاخصة -لا بمجرّد المساعدة على إكمال معالم صورة- وهذه خطوة أخرى في تناسق التّصوير، أبعد من الخطوة الأولى،

[1]- الأنعام 75... 78.

[2]- المرجع السّابق، ص 218.

وأقرب إلى قمة جديدة في التّناسق خطوة يزيد من قيمتها أنّ لفظا مفردا هو الذي يرسم الصّورة، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظلّه الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظلّ جميعا".[1]

يقول تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]، إذ أنّ الخليل عليه السّلام كرّر نداءه في دعائه لربّه للمبالغة في التّضرّع واللّجوء إليه عزّ وجلّ[3]، وهذه من خصال إبراهيم عليه السّلام، الذي كان نعم العبد ونعم النّبي الصّالح، الذي يلجأ إلى الله في كلّ محنة بالدّعاء.

➢ تكرار الفاصلة:

الفاصلة من مصطلحات النّظم القرآني الخاصّة به، يراد بها الحرف الذي يتكرّر في رؤوس الآيات المتتابعة، ليعطيها جرسا إيقاعيّا متماثلا ويشبه السّجع في النّثر والرّوي في الشّعر، والغرض منها هو الفصل بين الاثنين فصلا يحقّق الجمال الفنّي والاستقلال الدّلالي، ويقع منه في القرآن كثيرا.

يقول "عمر السلامي" "فالفاصلة في القرآن الكريم لها ميزة هامّة، ترتبط بما قبلها من الكلام، بحيث تنحدر على الإسماع انحدارا، وكأنّ ما سبقها لم يكن إلّا تمهيدا لها؛ حيث إذا حذفت اختلّ المعنى في الآية، ولو سكت عنها القارئ لاستطاع السّامع أن يختمه بها انسياقا مع الطّبع، والذّوق السّليم".[4]

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى

---

[1]- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، ص 91.

[2]- إبراهيم 36... 38.

[3]- الزّمخشري، الكشّاف، ج 02، ص 42.

[4]- عمر السلامي، الإعجاز الفنّي في القرآن، ص 85.

سَقِيمٌ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴿٩٨﴾ ﴾.[1]

جاءت الفاصلة في النصّ القرآني لإعطاء سمة إيقاعية ونغما متناوبا بين حرفي الميم والنّون، وهذان الحرفان متناسبان من حيث وقعهما على الأذن، وكأنّهما اختيرا ليعزّزا السّمة "الإيقاعيّة والمضمون الفكري".[2]

إبراهيم/سليم/تعبدون/تريدون/العالمين/تريدون/

العالمين/النجوم/سقيم/مدبرين/تأكلون/باليمين/يزفون/تنحتون/تعلمون/الجحيم/الأسفلين.

فالفاصلة بحرف الميم، دالّة على إبراهيم عليه السّلام، في حين جاءت الفاصلة بالنّون لتدلّ على أفعاله مع قومه وما يتعلّق بهم، وقد جاءت الفاصلة لتعزّز ذلك النّغم والتّماسك الصّوتي، فهذا الصّوت يضفي جمالا وعذوبة للنصّ، والفاصلة في هذه الآيات فاصلة قصيرة.

ومن أمثلة الفاصلة المتوسّطة قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴿٨٧﴾ ﴾.[3]

[1]- الصّافّات 83... 98.

[2]- يوسف سليمان الطحّان، السّمات الأسلوبية في القصة القرآنية، ص 219.

[3]- الشّعراء 69... 87.

جاءت الفاصلة المتوسّطة في النصّ القصصي بحرف النّون، ما عدا الفاصلة الأولى بالميم.

إبراهيم/تعبدون/عاكفين/تدعون/يضرون/يفعلون/تعبدون/الأقدمون/العالمين/يهدين/يسقين/يشين /يحيين/الدّين/الصالحين/الآخرين/النّعيم/الضالّين/يبعثون.

تدلّ القاعدة الأولى على إبراهيم عليه السّلام لوحده، لتدلّ الفواصل التي تليها على قومه وعبادته لأصنامهم وهو يذكّره بعبادة الله تعالى، ثم لتنتقل وتيرة الفاصلة بعد تغيّر مسرى الحوار بين إبراهيم وقومه، لتنطلق باتّجاه آخر؛ حيث ذهب إبراهيم عليه السّلام لتعداد نعم الله عليه، ليصل في الختام إلى الدّعاء والمناجاة، فتغيّرت نبرة الفاصلة مع تغيّر مسار الخطاب مع المحافظة على تناسق الجرس النّغمي ونفس الصّوت.

يقول "الزمخشري": "ما أحسن ما رتّب إبراهيم عليه السّلام كلامه مع المشركين، حين سألهم أوّلا عمّا يعبدون، سؤال مقرّر لا مستفهما، ثمّ انحى على آلهتهم فأبطل أمرها، لا تضرّ ولا تنفع... ثمّ صوّر المسألة في نفسهم دونهم... فعظم شأنه وعدّد نعمته... ثمّ أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين".[2]

ومن الفاصلة الطّويلة قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾.[1]

جاءت الفاصلة الطّويلة في النصّ القرآني بحرف الألف.

[1]- مريم 42... 48.

شيئا/سويّا/عصيّا/وليّا/مليّا/حفيّا/شقيّا

لقد جاءت الفاصلة بحرف الألف، والذي يتّسم باللّين، معبّرا عن الأسلوب الذي اتّبعه إبراهيم عليه السّلام في دعوته لأبيه، ممّا يتناسب مع الحالة الشّعورية والنّفسية التي كانت تعتلي إبراهيم عليه السّلام في ذلك المقام؛ حيث أنّه استخدم أسلوب التّلطّف والتّحبّب، والألف أضفت جرسا إيقاعيّا، انسجم مع موضوع الخطاب.

يقول "مُحَمَّد طول" "إنّ الإيقاع الصّوتي والتّناسق الفنّي في السّرد القصصي، يؤدّي دوره كاملا غير منقوص، يلين ويشدّ، يهدئ أو يهيج، يناسب انسيابا كاملا كالماء، أو يعصف عصفا كالرّيح الصّرصر، وفق المقام، وحسب تقلّبات الشّخصيات".[1]

لقد عمد التّكرار في النصّ القرآني إلى تحقيق التّماسك العام بين الجمل؛ حيث تناسبت الألفاظ مع بعضها وانسجمت، مكوّنة جرسا عامّا إيقاعا متناغما داخله، زاد من إثراء التّركيب القصصي بالقيمة البيانية والمعنوية والفنية.

➢ **التّضام:**

يعدّ التّضام عنصرا مهمّا في المستوى المعجمي، فهي العلاقات التي تربط بين الوحدات المعجمية المنفردة، وهذه الوحدات المعجمية تتلازمان في الاستعمال.

فهذا "مُحَمَّد خطابي" يرى بأنّ هذه العلاقة "تنظم أزواجا من الكلمات، سواء كانت قائمة على التعارض، أو الكل – الجزء، أو الجزء – الجزء، وغالبا ما يحدد ذلك حس المتلقّي الذي يخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية اعتمادا على حدسه اللّغوي، ومعرفته بالمعنى".[2]

[1] – مُحَمَّد طول، البنية السّردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، نوفمبر، 1991م، ص 208.

[2] – مُحَمَّد خطابي، لسانيات النص، ص 25.

يعمل التّضام على تماسك النصّ من خلال ذلك التّناسق الذي تكوّنه الألفاظ المجتمعة في حقل دلالي ومعجمي، يستطيع القارئ الواعي بفضل مكتسباته ومرجعياته الثقافية من تحديدها ورصدها؛ حيث قال "فيرث" نعرف الكلمة بالمجموعة التي تلازمها[1]، كما أن هذه الظاهرة تتميّز بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة، بحيث يمكن توقع ورود كلمة محدّدة في النص، من خلال ذكر كلمة أخرى فيه.[2]

إنّ البحث في التضام هو بحث في العلاقات اللغوية بين الكلمات والتي تقوم على مبدإ التفسير والنظرة العميقة، بحيث أنها تقوم على مبدأ المحايثة الذي هو تفسير اللغة باللغة نفسها"[3]، في إطار سياقات اللغة ومعانيها المعجمية.

لقد صنّف النصّيون هذه العلاقات المعجمية الخاصة بالمصاحبة تصنيفا علميا، وذلك لشدة التداخل بين هذه الأصناف على حسب التصنيف الآتي:[4]

- **علاقة التضاد بين الأسماء المتعارضة:**

عرف بالطباق بين المفردات وبالمقابلة في الجمل: يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ

[1]- فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا لمحمود درويش، إشراف: سامح الرواشدة، رسالة ماجيستير، تخصّص: لغة عربية، جامعة مؤتة، 2005م، ص 77.

[2]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 34.

[3]- المرجع السابق، ص 78.

[4]- المرجع نفسه، ص 34.

حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾.[1]

نجد استخدام الكلمة وضدها كثيرا في القرآن الكريم، ومثال على ذلك في هذه الآيات؛ حيث وقع طباق بين الأسماء والأفعال.

- **الاسم**: المشرق ≠ المغرب
- **الفعل**: يحي ≠ يميت، ننشرها ≠ نكسوها

الطباق هو من المحسنات البديعية المستخدمة في النص القرآني، والتي تزيد من تحسين الأسلوب وتقوية المعنى، فهو يستخدم من باب المعارضة في الكلام؛ حيث أنّه استخدم في الخطاب ليعزّز من فكرة خلاف إبراهيم عليه السلام مع النمرود وجداله حول ربوبية الله، فدعوة إبراهيم عليه السلام إلى ربه سابقة ومستمرة، وجداله مع قومه كذلك، وبناء على هذه السوابق، أرسل إلى الطاغية ملكهم (نمرود) ليجادله فيما يدعو إليه.[2]

يقول تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.[3]

المقابلة جاءت رابطة بين الجمل المتتابعة عبر النص، فالجملتان المتعارضتان هما: (فيما لكم به علم) ≠ (فيما ليس لكم به علم).

هذا التعارض كان بعد الخلاف الذي وقع بين أهل الكتاب -أنفسهم- وبين الرّسول ﷺ حول إبراهيم وأيّ الطائفتين أولى به -الانتساب له-.

---

[1]-البقرة 259/258.

[2]- ينظر: الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 195.

[3]- آل عمران 66.

يقول "سيّد قطب" "فيزعم اليهود أنه كان يهوديا، ويزعم النصارى أنه كان نصرانيا، على حيث أن إبراهيم سابق لليهودية والنصرانية، سابق للتوراة والإنجيل.[1]

➢ **علاقة التدرج التسلسلي المرتب بين زوجين من الألفاظ:**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾.[2]

ذكر إبراهيم عليه السّلام النعم التي أنعم الله عليه بها جاءت متسلسلة؛ حيث أنه ابتدأ من الخلق والهداية والطعام والشّراب، ثمّ المرض والشفاء إلى الموت والبعث، ثم الغفران من الخطايا، هذه الألفاظ كلها تقع في معجم دلالي يندرج تحت عبارة نعم الله على عباده.

وقد جمع بينها التّدرّج التّسلسلي والتّرتيب المحكم الذي كان بين هذه الألفاظ في هذا الخطاب القرآني، ممّا زاد في تعالق وتماسك وحداته التّركيبية، يقول "الشحّات": "وقد رتّبت هذه النعم والنّعوت ترتيبا طبيعيا يلي اللاحق فيها السّابق وجودا وزمانا".[3]

➢ **علاقة الجزء بالكل:**

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيۡفَ تُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَ لَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِىۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنۡهُنَّ جُزۡءًا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيًاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾.[4]

لقد جاءت العلاقة بين الجزء والكل في الخطاب القرآني؛ حيث ذكر الطّير في بداية الآية ليأتي ذكر أجزاء الطير في النهاية، فالقصة هي قصة الإحياء والموت، أي بعد قتل الطّير وتقسيم أجزائه،

---

[1]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 675.

[2]- الشّعراء 78... 82.

[3]- الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 675.

[4]- البقرة 260.

أعاد الله جمع الأجزاء وبثّ الرّوح في الطّير ليعود من جديد، فكانت الآية المعجزة لإبراهيم –تركيب الأجزاء من جديد– بعث الخلق.

يقول "سيّد قطب": "رأى إبراهيم عليه السّلام هذا السر يقع بين يديه طيور فارقتها الحياة، وتفرّقت مزّقها في أماكن متباعدة تدب فيها الحياة مرّة أخرى".[1]

إنّ هذه التفاصيل الدّقيقة من جزئيات اللّغة ومعانيها أحكمت هذا الخطاب المنفرد المعجز بيانيا وزادت من تعميق المحتوى الفكري والدلالي الذي يسوق إليه.

➢ **علاقة الجزء بالجزء:**

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[2]، في الآيات الكريمات ذكرت علاقة الجزء بالجزء وتمثلت في مفردات تدخل في نفس المقامية؛ حيث ذكر الكوكب والقمر والشمس وكلها أجزاء من نظامنا الشمسي خاصّيتها الأفول فسبحان الذي صوّر كل شيء وجعل له ميزانا محدّدا، فالترتيب الذي ذكر في الآيات هو ترتيب علمي دقيق من خالق عليم بخلقه، إنّ هذه العلاقات المعنويّة –دلالة اللّفظة– هو ما زان هذا التّركيب وما أحكم قواعده، وكذلك أعطى إيقاعا نغميا شد به أذن ونفس القارئ.

[1]– سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 550.

[2]– الأنعام 76... 78.

➢ **علاقة الصنف العام:**

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾.[1]

نرى أنّ الآيات اشتملت على بعض العبادات والشّعائر وهذه الشّعائر (الطواف والوقوف والرّكوع والسّجود) كلّها شعائر تدخل في صنف عبادة محدّدة وهي الحج، فجيء على ذكر الصنف في الآية الأولى ليأتي ذكر العام وهو الحج في الآية الثانية، فالله علّم إبراهيم الشّعائر في البداية وطلب منه بناء البيت من أجل أن تقام فيه تلك الشّعائر ليتمّ الله نعمته على العباد بأن يصبح ذلك البيت قبلة كل مؤمن سواء للصلاة أو الحج.

➢ **علاقة التلازم الذكري:**

قال تعالى : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤﴾.[2]

في هذه الآية ذكرت لفظتين هما النّار والحرق وهما كلمتان متلازمتان دلاليّا؛ حيث أنّنا ندرك بأنّ الحرق يقع بالنار بالعودة إلى الذّاكرة اللّغوية والسّياقات الدّلالية، فإذا ذكرت إحداهما وجب الإحالة على الأخرى.

قال "سيّد قطب": "وكان في نجاته من النار على النحو الخارق الذي تمت به آية لمن تهيأ قلبه للإيمان"[3]، فجميع هذه العلاقات عملت على اتّساق وتماسك النصّ، مما جعلت مبدأ العلائقية مبدءا سائدا في جميع النّصوص القرآنية (قصّة سّيدنا إبراهيم عليه السّلام).

---

[1]- الحج، 27/26.

[2]- العنكبوت 24.

[3]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 3473.

ج: الحذف

عدّت ظاهرة الحذف من القضايا المهمّة التي أثارت اهتمامات اللّغويين والبلغاء، فتناولوها بالدّرس والتّحليل ومنهم من أفردلها فصلا كاملا في كتبه.

يقول "الجرجاني" عن الحذف: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذّكر والصّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم بيانا إذا لم تبن".[1]

أما اصطلاحا هو إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل، وأما قول النحويين فالحذف لغير دليل يسمى اقتصارا فلا تحرير فيه، لأنّه حذف فيه بالكلية[2]، فالحذف هو إسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادا على فهم المخاطب تارة ووضوح قرائن السّياق تارة أخرى.

يعرّفه علماء اللغة النصيون بأنّه: "اعتداد بالمبنى العدمي* أو ما يسمّونه Zéro morphème فالبنيات السّطحية في النصوص غير مكتملة غالبا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللّغة العادي[3]، كما هو معلوم أن الكلام إن خفي كان أكثر تشويقا وإثارة.

يقول "الزّركشي" "الحذف زيادة لذة بسبب المحذوف، وكلّما كان الشّعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن".[4]

---

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

[2]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 03، ص 102.

*- المبنى العدمي: وهي استحضار أشياء تكون غائبة يهتدي إليها القارئ بالتأويل وحقها الحضور.

[3]- علم اللّغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، ص 21.

[4]- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 03، ص 105.

يعدّ "الخطابي" الحذف أسلوبا متقاربا مع الإحالة القبلية، ليترك أثرا له في النصّ ويتعرّف على المحذوف من الجمل السّابقة، أي أنّه يشكّل علاقة داخل النصّ وأنّه لا يشكّل علاقة داخل الجملة الواحدة.[1]

أمّا بالنّسبة للغربيين فقد عرّف الحذف من قبل "هالداي" و "رقية حسن" على أنّه: "علاقة داخل النصّ، وفي معجم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أنّ الحذف علاقة قبلية"[2]، كما يضع له "كريستال" تعريفا اصطلاحيا تحت مسمّى مصطلح (Fllipsis): "هو حذف جزء من الجملة الثانية، ودلّ عليه دليل في الجملة الأولى".[3]

ومنه فإنّ الحذف يشكّل ظاهرة أسلوبية تزيد من إثراء النصّ بدلالات وإيحاءات مختلفة؛ حيث يعمد الانقطاع بين المقاطع والأجزاء إلى إثارة فضول المتلقّي والوصول إلى تأويلات ومقاصد عن طريق السّياق للتركيب العام، إنّ هذه الظّاهرة تزيد من انسجام وتماسك البناء العام للنصّ.

من خلال حديث علماء النّحو العربي وعلماء اللّغة المحدثين عن أنواع الحذف، نجد أنّها لا تخرج عن الأنواع التّالية".[4]

- **حذف الإسم**: هو أن يكون المحذوف اسما، سواء مضافا أو مضافا إليه، أم صلة، أم موصولا...إلخ، يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.[5]

---

[1]- ينظر: الخطابي، لسانيات النص، ص 24.

[2]- المرجع نفسه، ص 21.

[3]- محمود عوض محمود سالم، قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن، ص 260.

[4]- المرجع نفسه، ص 87.

[5]- الأنبياء 60.

ذكر العلماء أنّ إبراهيم عليه السّلام يجوز أن يكون مرفوعا على أنّه خبر والمبتدأ محذوف، والتقدير: هو إبراهيم[1]، فالقرآن نقل المخاطب المختزل من النقاش والجدال الذي دار بين قوم سيدنا إبراهيم عليه السّلام، واستخدام هذا الأسلوب ما هو إلّا التّصغير والتّحقير الذي كان يكنّه له قومه وما كانوا يتوعّدوه.

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ۝٢٩ ﴾.[2]

ذهب العلماء أن جملة (عجوز عقيم) يجوز أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: أنا عجوز عقيم فكيف ألد، وهذا رد المتعجب المتلهّف لسماع جواب لسؤاله[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ۝٢٦ ﴾.[4]

والتقدير: فجاء أضيافه بعجل سمين، فحذف المفعول (أضيافه) وحذف المفعول دليل سرعته بتقديم الضيافة دون معرفته خصوصيات الضّيوف، فالجود والكرم يسبق معرفة نوعية الضّيوف وحالهم وأحوالهم.

- **حذف الفعل**: وهو أن يكون المحذوف فعلا، قال تعالى: ﴿ ۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾[5]، فحذف الفعل (اذكر) والتقدير: اذكر إذ قال، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ ﴾.[6]

---

[1]- محمّد خليل إبراهيم، آيات الدّعوى والبشرى والثّناء في قصّة إبراهيم عليه السّلام دراسة بلاغية دلالية، ص 49.

[2]- الذّاريات 29.

[3]- المرجع السّابق، ص 49.

[4]- الذّاريات 26.

[5]- الأنعام 74.

[6]- مريم 42.

قال "ابن الأنباري": "وتقديره واذكر إذ قال لأبيه..."[1]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2]؛ حيث إنّهما وبعد بناء البيت قاما بالدّعاء –فيقولان ربّنا تقبّل منّا– فحذف القول استغناء بذكر المقول، مختصرا للعبارة، لأنّه واضح من السّياق وهذا ما زيّن آيات القرآن والخطاب القصصي القرآني من إعجاز وبيان.

- **حذف الحرف**: والمقصود بالحروف هي المعاني، قال تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3]، فقوله ﴿ رَبِّ ﴾ منادى محذوف منه حرف النّداء والتقدير: يا رب، وهذا من حسن التّأدّب مع الله، فالله هو المدرك لما في نفس إبراهيم عليه السّلام وهو يجيب دعوته قبل دعائه، قال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾[4]، فقوله ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى ﴾ حذفت فيه نون الوقاية، وبقيت نون الرّفع، لأن أصله ﴿ أَتُحَٰٓجُّونِّي ﴾.[5]

كذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾.[6]

قال "ابن الأنباري" في نصب ﴿سَفِهَ﴾: "على تقدير حذف حرف الجرّ، فاتّصل الفعل بالاسم فنصبه، فيكون التقدير: إلّا من سفه نفسه"[7]، وحذف الحروف يقع كثيرا في الخطاب القرآني ليكون تداركا للتكرار أو تعزيزا للدّلالات الإيحائية.

- **حذف الجملة**: هذا النّوع من الحذف له مقامه الكبير عند البلغاء والحكماء، لما فيه من رفعة بيانية وطلاقة بلاغية؛ حيث تتطلّب الدقّة في التّعبير ومعرفة بأساليب الإيجاز،

---

[1]– محمّد خليل إبراهيم، آيات الدّعوى والبشرى والثّناء في قصّة إبراهيم عليه السّلام دراسة بلاغية دلالية، ص 53.

[2]– البقرة 127.

[3]– إبراهيم 36.

[4]– الأنعام 80.

[5]– المرجع السّابق، ص 55.

[6]– البقرة، 130

[7]– المرجع السّابق، ص 55.

ليصل صاحبها إلى ملكة اللّغة الأولى المتحكّمة في جماليات الخطاب، دون أن يشوبه شائبة، وبكلّ تأكيد لا يوجد أفضل من الخطاب القرآني ليحوي مثل هذه المعجزات والتّفرّدات البيانية والفنية، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ ﴾.[1]

فبين الآيتين جملة محذوفة معلومة من الكلام، والتّقدير: فأتو به، فقالوا: أأنت فعلت... وفي حذف الجملة دلالة على سرعة مجيئهم به؛ حيث لم يمض وقت بين الأمر بالإتيان به، وبين سؤاله.[2]

قال تعالى: ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ٥٢ ﴾.[3]

حذف ردّ إبراهيم عليه السّلام عليهم بقوله (سلام) حسب ما بيّن في الآيات في سورتي هود والذّاريات، وجاء الحذف لإبراز شدّة الوجل الذي سيطر على إبراهيم عليه السّلام من جرّاء قدومهم على هيئة غريبة، وعدم الأكل من الطّعام الذي قدّمه إليهم، وكأنّ الوجل شغله عن ردّ السّلام.[4]

د: الاستبدال

يلعب دورا هامّا في تماسك واتساق النصّ؛ حيث يعدّ من أهمّ العناصر المكوّنة للخطاب فقد عرّفه النصّيون بأنّه: "إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النصّ".[5]

أشار "منغونو" إلى الاستبدال من جانب مصطلح البدل فعرّفه بقوله "هو مختلف الظّواهر التي تقوم على تكرار وحدة لغوية ما بأخرى في نفس النصّ"[6]، كما أنّه أفرد نوعان لهذا التّكرار فقد يكون

---

[1]- الأنبياء 62/61.

[2]- الشحّات أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني، ص 578.

[3]- الحجر 52.

[4]- ينظر: المرجع السّابق، ص 585.

[5]- خطابي، لسانيات النصّ، ص 20.

[6]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح، ص 50.

نحويا (التكرار بواسطة الضمير) أو يكون التكرار معجميا (تكرار وحدة معجمية بأخرى معجمية)، أما "هارفج" فهو يرى بأنّ الاستبدال النّحوي بين المستبدل به و المستبدل منه مطابقة إحالية.[1]

والاستبدال في التّراث العربي القديم تناول علاقة الكلمات في الجملة على المستوى النحوي المعجمي؛ حيث يتشابه بمفهوم الترادف وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد، وتتمّ عملية الاستبدال داخل الجملة من خلال العلاقة القائمة بين الكلمات وهذه الأخيرة تدلّ على التي قبلها دلاليا ونحويا أو معجميا حيث يعرف من السّياق تعدّد اللّفظ للمعنى الواحد المراد تبليغه.[2]

يرى "خطابي" أنّ الاستبدال هي وسيلة أساسية تعتمد في اتّساق النصّ وهي تحدث داخل النصّ ومعظم حالاته –الاستبدال النصّي– قبلية أي علاقة بين عنصر متأخّر وبين عنصر متقدّم، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي أما الاستبدال فالعلاقة في المستوى الدلالي والنحوي والمعجمي.[3]

➢ أنواع الاستبدال

بما أنّ الاستبدال عنصر هام في اتساق النص فقد أوجد النصّيون أنواعا له؛ حيث تعدّدت أشكاله داخل الخطاب –الخطاب القرآني خصوصا– فقد رصد له ثلاثة أنوان:

- **استبدال اسمي:** وفيه تستبدل الكلمات "same , ones ,one" من أسماء أخرى متقدمة عليها في النص، ويقابلها في العربية الكلمات "آخر، أخرى، وواحد، وواحدة"، كما يمكن أن يكون اسم الإشارة مستبدلا لعنصر آخر متقدم.[4]

---

[1]– ينظر: علم اللغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، ص 19.

[2]– ينظر: عاصم شحادة علي، مظاهر الاتّساق والانسجام، ص 362.

[3]– ينظر: خطابي، لسانيات النصّ، ص 19.

[4]– علم اللّغة النصّي بين النّظرية والتطبيق، ص 20.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.[1]

في هذه الآيات التي تحكي عن الصّراع الدّاخلي كان يعتلي إبراهيم عليه السّلام في الوصول إلى الحقيقة المطلقة وإلى العقيدة السليمة وهي الربوبية الواحدة لإله مطلق هو الله عزّ وجلّ.

لقد كان دائم الجدال مع أبيه وقومه حول المعتقدات وكذلك العبادات وأربابهم المختلفين –كان لهم أكثر من إله– كانوا عابدين للأصنام كما كانوا عابدين للأجرام في السّماء.[2]

في الآيات السابقة نجد استبدال اسم الإشارة (هذا) بالإجرام المشار إليها في البداية؛ حيث نجده استبدال اسم إشارة (هذا) بالكوكب والقمر والشمس فكانت كل من تلك الأجرام مستبدل منه.

إنّ هذا الاستبدال عزز تماسك وتناغم النص؛ حيث نجد في هذا التركيب الخطابي وحدة متماسكة متآلفة على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة على حسب قول "الزرقاني" فهو الذي يقول: "إنّك إذا تأمّلت في القرآن الكريم وجدت منه جسما كاملا تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجرائه ولمحت فيه روحا عاما يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين أعضائه".[3]

ذكر اسم الإشارة هنا من باب التأكيد والتوضيح لقوله أنه سوف يجاريهم ليوصل إليهم فكرته الأولى وهي –وحدانية الله– فالصّراع الذي كان يعتليه هو صراع مع قومه في الأصل لأنّ فطرته السّليمة أكّدت له بأنّ الله هو الباقي الذي لا يغيب، أما كلّ ذلك فهو آفل آيل للزوال، وبالنسبة

---

[1]– الأنعام 76... 78.

[2]– سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 1571.

[3]– محمّد عبد العظيم الزّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط 01، 1415هـ/1995م، ج 02، ص 248.

لاستخدام الاستبدال في الخطاب فهو كما ذكر للإيضاح والبيان والتأكيد، فهذا "الزركشي" يقول "أنّ البدل القصد به الإيضاح بعد الإبهام و هو يفيد البيان والتّأكيد".[1]

أمّا بالنّسبة لاختيار استبدال اسم الإشارة هذا بدل المستبدل منه (الشمس) مع العلم أن الشّمس مؤنّثة واسم الإشارة (هذا) يحيل إلى المذكر، فهو كما يقول "الزمخشري": "كان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفة الله (علّام) ولم يقولوا (علّامة) وإن كان العلاّمة أبلغ".[2]

إنّ دقّة اللّفظة في القرآن ومعناها البلاغي، الذي لا يمكن أن تعوّضه لفظة أخرى، هو ما جعل هذا التركيب في منتهى الإعجاز البياني فيكون تأثيره على المتلقي كامنا في نفسه وعقله.

- **استبدال فعلي**:[3] وفيه يحلّ فعل محلّ فعل آخر متقدّم عليه، ويمثّله في الانجليزية (do) بصيغة المختلفة، وفي العربية مادة (فعل) بصيغتها المختلفة[4]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾.[5]

إنّ هذه الآية عظيمة بعظم وثقل الابتلاء الذي مرّ به سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه، لأنّ رؤية الأنبياء حقّ فصدّق الرؤيا واتّجه إلى ابنه ليشاركه الامتحان الذي كان عليهما اجتيازه، وقد نجحا بتفوّق.

في هذه الآية ذكر فعل (افعل) فكان مستبدل عن الفعل (أذبحك) والذي هو مستبدل منه، ولأن الفعل هو شديد الوقع على نفسية أبيه وتلطفه في الرد عليه فلم يتجرّأ على قول اذبحني يا أبي،

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القران، ج 02، ص 453.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج 03، ص 32.

[3]- خطابي، لسانيات النصّ، ص 20.

[4]- علم اللّغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، ص 20.

[5]- الصّافّات 102.

بل استخدم الفعل (افعل) ليكون ترؤّفا بأبيه وأقل وقعا عليه، ولأن الذّبح ليس بإرادة إبراهيم، بل هو أمر من السّماء فهو خارج عن إرادته، فكانت هنا توضيحا من الابن أنّه فهم القصد واستبانه وكان الردّ أكثر تعظيما.

يقول "سيّد قطب": "فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده، بل لا يفقده أدبه ومودته ابن سيّدنا إبراهيم عليه السلام".[1]

- **الاستبدال العباري:**[2] وفيه يتم إحلال عنصر لغوي محل عبارة داخل النص بشرط أن يتضمن العنصر المستدل به محتوى العبارة المستبدل منها[3]، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾.[4]

الآيات هنا تعرض الصّراع الدّائم بين التّوحيد والشّرك، فسيدنا إبراهيم عليه السلام كان دائم المناظرة مع قومه لإرشادهم لطريق الحقّ الذي يسيرون ضدّه ويجاهدون في سبيل الباطل.

لقد كان سيّدنا إبراهيم عليه السّلام دائم الدّعوة لله ولم ييأس ولم يمل وهذه الآيات دليل على الصراع القائم، فقد سألهم عن المعبود الذي يعبدونه فكان جوابهم ﴿ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، ليبدأ مخاطبة عقولهم بطرحه سؤال هل يسمعونكم؟ أو ينفعوكم ؟ليكون جواب قومه ﴿ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ وكأنهم أرادوا القول: (وجدنا آباءنا كذلك يعبدون الأصنام فيظلّون لها عاكفين)، وهنا استخدموا الاستبدال للإيضاح –لإبراهيم– وكذلك التأكيد وتبيان العمل الذي يفعلونه وإعطاء تبرير مقنع بالنسبة لهم وما هو إلا تبرير مغلط.

---

[1]– سيّد قطب، في ظلال القران، ص 3770.

[2]– خطابي، لسانيات النصّ، ص 20.

[3]– علم اللّغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، ص 20.

[4]– الشّعراء 69... 74 .

من كل ما سبق، يتبين لنا دقة وإعجاز القران البياني ومدى تماسك ألفاظ وتناغمها مع الدلالات وهو ما يكوّن نسيجا بنائيا يستحيل على المتلقي إلّا الوقوف على سحره البلاغي، والتعمّق في موضع كلّ لفظة ومدلولها الإيحائي.

هـ: الإحالة

الإحالة من العناصر المهمة للكيان المركب –الخطاب– فهي تلك العلائق التي تنسّق الجوّ العام للكيان، بحيث تعمد على مزج الدلالات وكذلك إحالة عنصر على عنصر أخر، "فهذا "الخطابي" يطلق عليها اسم العناصر اللّغوية في خلق النصّ على المستوى الدلالي والتداولي، فهي لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل وإنّما لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه، ولذا تسمّى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة...إلخ.[1]

أما عند القدماء فلم يذكر مصطلح الإحالة بمسماه الحالي ولكن أتى ذكره من باب آخر هو العائد الضميري، والضمائر هي من أدوات الرّبط؛ حيث فصّلوا وعدّدوا دورها في الجملة والعمل المرتّب لها داخل البناء التّركيبي، وقد تحدّث "الزركشي" عن مهام الضمير داخل البناء النصّي وذكر تصنيفات "الأنباري" الذي ألّف مجلّدين في هذا الخصوص.

قام "الأنباري" بتحديد دورين مهمّين للضمائر داخل النصّ من خلال عملها كعائد، فهي على حسب ذكر "الزركشي" تستخدم للاختصار، كما أنها تقدّم ما يدلّ عليه الضّمير بدليل الأكثرية وعدم التكليف.

أما النّحويون فقدر رأوا بأنّ الأصل في عمل الضمير هو أن يعود شيء سبق ذكره في اللّفظ بالمطابقة أو يعود إلى مذكور في سياق الكلام، مؤخّر في اللّفظ مقدّم في النّية، كما يدلّ اللّفظ على

[1]– ينظر: خطابي، لسانيات النصّ، ص 16-19.

صاحب الضمير بالتضمّن أو السياق[1]، فالضمير جعل له تفصيلات عديدة ومتعدّدة، ولكن الأصل أنه عائد للّذي سبقه، سواء كان لفظا أو معنى يراد به التعزيز الدلالي أو الإيحائي.

قال "الجرجاني" عن العوائد المحيلة على العناصر التي قبلها هي: "أنّ الذي اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، كما اجتلب ذو ليوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس... وأنّك لا تصل "الذي" إلّا بجملة من الكلام قد سبق من السّامع علم بها، وأمر قد عرفه له.[2]

وبالنسبة للغربيين فقد تحدثوا عن هذه الوحدات العائدية التي تسهم في تماسك النص واتّساقه؛ حيث أطلق عليها "منغونو" اسم العوائد البعدية التي يمكن تأويلها بفضل مقومات توجد قبل أو بعد في النص المجاور، الضمائر، البدائل المعجمية.[3]

يرى "جون ليون" أنّ الإحالة هي العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات، لأنّ الأسماء تحيل إلى المسمّيات وهي علاقة دلالية تخضع لقيد أساسي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.[4]

إذن فالإحالة هي علاقة عائدية؛ حيث يحيل عنصر على عنصر آخر وهذه العلاقة هي علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية، بل تخضع لوجوب تطابق الخصائص الدّلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال.

➢ أنواع الإحالة:

ويقسّم المحدثون الإحالة إلى إحالة (خارجية) وفيها يحيل عنصر في النصّ إلى شيء خرج النصّ يدركه منتج النصّ ومتلقّيه كلاهما، وأخرى (داخلية) فتقع داخل النصّ؛ حيث تنقسم إلى (إحالة

---

[1]- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القران، ج 04، ص 24-27.

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 199-200.

[3]- منغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 19.

[4]- عاصم شحادة علي، مظاهر الاتساق والانسجام، ص 362.

قبيلة) وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدما عليه، و (الإحالة البعدية) فيه يحيل العنصر المتقدّم إلى عنصر آخر يلحقه[1]، وقد قسمت عناصر الإحالة إلى:

➢ **شخصية:**

تستخدم فيها الضمائر سواء منفصلة أو متصلة مثل (أنا، أنت، نحن، هم، هو... إلخ)، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾.[2]

هذه المشاهد المذكورة في الآيات السابقة تصور لنل عملية رفع القواعد من قبل سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وما صاحبه من دعاء وابتهال رافق عملهما أثناء إقامة البيت، فهذه المشاهد من القصة تركّز على تلك التّفاصيل وأسلوب الخطاب فيها نقل لنا دقائق الحيثيات وجودة السبك فيه عزّزته الوحدات العائدية في إبراز دلالات المعاني لكلّ لفظة.

ففي الآيات الثلاث استخدم الضمير المتصل (نون) ليكون إحالة على إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام فكانت إحالة بعدية لأنه ورد ذكره بعد ذكر إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، وقد اختصّ الضمير المنفصل (أنت) بالإحالة على الله عزّ وجل وقد كان محال عن لفظ (ربّنا) أو (ربّ) والذي ذكر في البداية وهنا إحالة بعدية أيضا، وبالنسبة للكاف أيضا كان محال على لفظة (ربنا).

جاءت هذه الاحالات جميعها لتعزيز الدّلالات وكذا التّناسق داخل النص والإيضاح والتبيين والتخصيص للّفظة المراد الإحالة إليها، ففي استخدام النّون التي تحيل وتعود على -إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام- في قوله ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ ﴾ إنّما هي للتّخصيص والتّوضيح -إيضاح الإبهاه- أنّ

[1]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 16.

[2]- البقرة 127... 129.

الدّعاء الذي كان يدعوانه، إنّما هو مخصّص لهما بالتّحديد على وجه خاصّ، وكذا لذرّيتهما المسلمة بوجه عام، والأصحّ أنّ الأدعية التي لحقت هذا الدّعاء وتلته استخدم حرف النّون كمحال لسيّدان إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، كان يدلّ عليهما، وهنا إحالة قبلية.

يقول "الزمخشري": "لقد خصّا ذريتهما بالدّعاء لأنّهم أحقّ بالشّفقة والنّصيحة ولأنّ أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير".[1]

أمّا الضمير (أنت) فقد كان محال على لفظة (الربّ) الذي هو محال إليه، ففي الآيات الثلاث كان ذكره كالتالي:

أنت السّميع العليم/أنت التّواب الرّحيم/أنت العزيز الحكيم.

(أنت) محال أريد به التّوضيح وتعزيز الإيحاء كما جاء بتخصيص وتفرّد هذه الصّفات لله عزّ وجلّ –وحده بها–، فبعد كلّ دعاء هو رجاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام لاستخدامهما اسما من أسماء الله الحسنى وأن يمنّ عليهما خالقهما بإحدى تلك العطيّات مستأنسين أنّه هو الملك لتلك الصفات وهو الذي سيجود عليهما ببعض تلك المنن والعطايا، وجاءت تلك الصّفات بعد اسمه الربّ لأنّه جامع لها جميعا، والكاف أيضا محال على لفظة (ربّنا).

جاءت هذه الاحالات جميعها لتعزيز الدّلالات وتناسق النص واتّساقه واستخدمت للإيضاح والتّبيين والتّخصيص وهي إحالات قبيلة ففي الآية (127)، يقول "الزمخشري" عن استخدام العوائد للإحالة على ما قبلها: "هو إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في الإيضاح بعد الإبهام من تضخيم لشأن المبين".[2]

[1]– الزّمخشري، الكشّاف، ج 01، ص 144.

[2]– المرجع نفسه، ج 01، ص 144.

➢ **إحالة إشارية:**

وتعتمد الإحالة هنا على استخدام الإشارة (هذا، هو، هؤلاء، أولئك... إلخ)، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.[1]

في هذا الخطاب استخدم الاسم (هذا) محال للفظة البلد الذي كان بعده، وهنا إحالة بعدية، لأنّ المحال كان قبل المحال إليه، واستخدم هذا الاسم لتعزيز الدّلالة وتأكيد الدّعاء من قبل إبراهيم عليه السّلام، ليكون إصرارا منه لله حتى يقبل دعاءه ويكون تخصيص الدّعاء بالأمن للبلد الذي يقيم فيه عن سائر البلاد الأخرى، لأنّه بلد أحبّه إبراهيم عليه السّلام لوجود كرامة البيت العتيق فيه، والله يحب الملحّين في الدّعاء والرّاغبين في رجائه، فإبراهيم عليه السّلام يؤكد بدعائه صفة الأمن للبيت[2]، فإبراهيم عليه السّلام أواه حليم، قانت مستقيم، شاكر لربّه بالدّعاء، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾.[3]

يقول "الزمخشري" "تلك" إشارة إلى جميع ما احتجّ به إبراهيم عليه السلام على قومه، من قوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[4]، ومعنى ذلك بأنّ المحال قد يشير على لفظة كما أنّه قد يحيل على عبارة بأكملها وهذا ما قلناه، أنّ المحال يحيل على اللّفظ والمعنى معا، والإحالة هنا إحالة قبلية.

➢ **مقارنة:**

حيث تعدّ ألفاظ المقارنة من عناصر الإحالة النحوية وتنقسم إلى عامة يتفرع منها: التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل: نفس، والتّشابه وفيه تستعمل عناصر مثل: مماثل، وإلى الاختلاف

---

[1]- البقرة 126.

[2]- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 319.

[3]- الأنعام 83.

[4]- الزمخشري، الكشاف، ج 02، ص 34.

باستعمال: آخر، غير ذلك، وإلى خاصّة تتفرّع إلى كمية تتم بعناصر مثل: أكثر، وكيفية تتم بعناصر مثل: أجمل من، جميل مثل...؛ أما من منظور السبك فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في وظيفتها الاتّساقية التّماسكيّة.[1]

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.[2]

استخدم اسم التفضيل (أكبر) الذي هو على وزن (أفعل) للمفاضلة بين الشمس والأجرام الأخرى وقد كان في هذه الآية محال على المحال إليه (الشّمس) باعتبارها أكبر الأجرام في نظر عابديها ولكن قد اختفت هذه الشمس وأفلت فأفل معها حجّتها وعظمتها بأن تكون إلها، والإحالة هنا هي إحالة قبيلة، قال تعالى:﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.[3]

هنا استخدم اسم التفضيل (أحق) الذي يعود على إبراهيم وفريقه لأنّ المفاضلة هنا في صفة الأحقيّة فرجحت لكفّة إبراهيم الذي كفر بآلهة قومه لانها ليست لها القدرة للدّفاع عن نفسها فكيف بإحداث الأذى لإبراهيم على عكس إلهه هو الذي يحي ويميت ويعذّب من يشاء.

قد يكون أيضا اسم التفضيل (أحق) يعود إلى الآية التي بعدها عند إجابة إبراهيم عليه السّلام على سؤاله هو عندما قال ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[4]، فالتّأويل هنا أيضا قد يكون محال على الإجابة كما قال "الزمخشري": "ويحتمل العدول إلى ذلك ليعلم بالأمن كل موحد، وبالخوف كل مشترك ويندرج هو في حكم الموحدين وقومه في حكم المشركين".[5]

---

[1]- ينظر: علم اللغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، ص 17.

[2]- الأنعام 78.

[3]- الأنعام 81.

[4]- الأنعام 82.

[5]- الزمخشري، الكشاف، ج 02، ص 33.

إذن فقد يستخدم اسم التفضيل هذا في كلتا الإحالتين إحالة قبلية (تعني إبراهيمعليه السّلام) وكذا إحالة بعدية (تعني جميع المؤمنين) فما أعظم ما يُحمّله الأسلوب الخطابي في القرآن من تعدد الدلالات والمعاني للّفظة الواحدة، وهذا ما يجعله خطابا انفراديّا لا يضاهيه خطابا آخر في تناسق سبكه وتناغم أطراف عناصره بعضا ببعض، وكلّ ذلك يجعل من متلقّيه مشدوها به فكريّا وعاطفيّا.

➢ **الموصولات:**

في هذه الحالة تعدّ أدوات الوصل من الإحالات العائدية حيث عدّها "تمّام حسّان" عنصرا لا يقل أهمية عن العناصر السّابقة فوظيفتها تعزيزية؛ حيث أنها تقوّي الجانب الدّلالي وتسهم في تماسك النسيج النصّي، وقد استشهد على قوله بالآية الكريمة:[1] ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[2]، فالاسم الموصول (الذي) قوّى المعنى، وذلك بإحالته السّابقة إلى (الرّسول النّبي) لكون المراد وصف الرّسول بأنه مكتوب في التوراة والإنجيل، كما أحيل إليه بالعائد الضميري في (يجدونه) وبذلك يكون للموصول إحالتين قبلية وبعدية.[3]

قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.[4]

في هاته الآية أحال الموصول (التي) على (التماثيل) التي عدت محال إليه فكانت إحالة قبلية لأنّ (التي) وردت بعد لقطة التماثيل، وقد استخدمت الإحالة هنا للتأكيد على لفظة التماثيل، والتي هي عبارة عن منحوتات طينية عاجزة عن أداء أيّة حركة، سواء بالايحاب أو السّلب ونعتها بلفظة المنحوتات ثم الإشارة المؤكّدة لها ما هي إلّا تحقير وزيادة في الاستحقار عن طريق الموصول الذي استخدم للإيضاح والتأكيد على العمل الذي يقوم به قومه لهاته الحجارة المنحوتة، واستخفافا بهم.

---

[1]- علم اللغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، ص 16.

[2]-الأعراف 157.

[3]- المرجع السّابق، ص 16.

[4]- الأنبياء 52.

قال "الزمخشري": "تجاهل لهم وتغاب، ليحقّر آلهتهم ويصغّر شأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها"[1]، يقول تعالى: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.[2]

هنا الموصول (الذي) محال للفظة (ربّكم) فجاءت في الخطاب للتّأكيد على قدرة الله وكانت إحالة قبلية لأنّ المحال كان بعد المحال إليه".

استخدام (الذي) كان تعزيزا للدّلالات وتبيانا وتوضيحا لقدرة ربّ السّموات وعظمته وإنكارا من إبراهيم لربوبية ما يعبدون قومه بعدما قدّم لهم الدّليل والحجج على ضعف ألهتهم.

ومن خلال توفّر كلّ عناصر الاتّساق داخل التّركيب البنائي لهذا الخطاب القصصي، فإنّه لا يسعنا إلّا أن نقف على جودة السّبك في هذا الكيان العظيم وثرائه بعناصر تناسبية عديدة، وما هذه العناصر إلّا جزء من قالبه ومكوّناته الإعجازيّة التي لا تحصى، فقد بلغ في اتّساقه السبيكة الواحدة التي تأخذ بالأبصار وتلعب بالعقول والأفكار، فيقف المتلقي منبهرا للمعجزة البيانية التي بين يديه.

3/ مبادئ انسجام الخطاب داخل القصّة القرانية:

الانسجام من العناصر التكوينية لجمالية الخطاب في الأعمال الأدبية، فهو الميزة التي ترقى بهذه الأعمال إلى المستوى الأعلى أو تنزل إلى المستوى الأدنى، لأنّه على المتلقّي النظر في النسيج التركيبي ليس من ناحيته الشكليّة والمعجميّة فحسب، بل إلى علاقات خفيّة قائمة داخله؛ حيث يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدّلالية المتحقّقة فيه، باعتماده على أنواع عديدة من المعارف الذاتيّة، والقراءة العميقة داخل هذه البنية النسيجية، ليصل إلى مفاتيح الانسجام والتناسقي "فهو الذي يشكل طبيعة الكل ويجعل من الصّورة الكليّة وعلاقتها الدّاخلية لوحة واحدة لا مكان فيها للتّجزئة إلى عناصر...

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج 03، ص 91.

[2]- الأنبياء 56.

كأنها الوحدة العضوية التي تجمع أجزاء الكائن الحي"[1]، وقد وضع للانسجام مبادئ عديدة نجملها في بعض العناصر:

أ: مبدأ السّياق

تعتبر اللّغة أداة تواصل في سياق معين، للتعبير عن معان وتحقيق المقاصد فالألفاظ تقوم فيما بينها على علاقات ممتدة ومتتابعة ومتآلفة، وهذا التآلف يعتمد على العلاقات السياقية.

تناول الغربيون السياق من جوانب عديدة، فقد اعتبروه المبدأ الأساسي لتحليل الخطاب لأنّه أساس الدّلالات والإحاءات التي تمثّل داخل النصّ وتحيل إلى ما هو خارجها وتكون العلاقة عكسية كذلك، فهذا "فيرث" زعيم المدرسة السياقية صرّح بأنّ المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللّغوية.[1]

يذهب "براون ويول" كإطار عام، إلى أنّ محلّل الخطاب ينبغي"أن يأخذ بعين الاعتبار السّياق الذي يظهر فيه الخطاب (والسّياق لديهما يتشكّل من المتكلّم، الكاتب، والمستمع أو القارئ، والزمن والمكان) لأنّه يؤدّي دورا فعّالا في تأويل الخطاب" فيختلف التّأويل باختلاف السياق[2]، أما "هايمس" فيرى أن للسّياق دورا مزدوجا "إذ يحصر مجال التأويلات الممكنة... ويدعم التأويل المقصود".[3]

يرى "باتريك شارودو" و "دومنيك منغونو" أنّ العلاقة بين النصّ والسّياق ليست أحادية الإتّجاه وإنّما هي جدلية[4]، وبالنّسبة لفان دايك فإنّ السّياق يعمل عملا مهمّا سواء بأنشطة الإنتاج أو التّأويل، ولا يتمّ ذلك إلّا بإدراك المتلقي للمعلومات السّياقية.[5]

[1]- لطفي فكري، جمالية الخطاب، ص 216.

إذن هناك اتّفاق بين الغربيين على دور السياق في تحليل الخطاب وكذا دور المتلقي في المساهمة السياقية لتحديد التأويلات من خلال نظرته العميقة وقراءته البصيرة للّفظ والمعنى معا، وكذا مراعاة المقامات والحالات.[1]

أمّا بالنسبة للقدامى العرب فتناولوه من باب الحديث عن المقام فقد حدّدوا له التّفصيلات وتفطّنوا للدّور الهام الذي يلعبه، سواء بين إلقاء الخطاب أو تلقيه وعلى أساسه يؤوّل ويفهم، فكان "الجاحظ" من بين الأوائل من تحدّثوا عن المقام وسياقه فهو القائل: "يقسّم أقدار الكلام على المعاني وتقسّم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".[2]

ثم يأتي "السكّاكي" ليتناول هذه الفكرة؛ حيث يقول: "ولا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام التّشكّر يباين الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية... وجميع ذلك معلوم لكلّ لبيب... ثمّ إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام... وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو ما نسمية مقتضى الحال".[3]

يبدو أن "السكّاكي" من الأوائل الذين تنبّهوا لدور السياق وعناصره ونوعه؛ حيث تحدّث عن مختلف المقامات "مقام التهنئة والتعزية –أي الجو العام للسياق (المكان والزمان) ثم الكلمة مع صاحبتها– أي السياق اللّغوي (هو الذي يرتبط بتنظيم وحدات الكلام أو النص بالسياق اللغوي أي الاستعمال الغير العادي للّغة"[4]، ثم تحدث عن إتمام المقصدية للكلام؛ حيث يبلّغ الرّسالة المراد لها أيضا فتناسب المناسبة والمقام المحدّد لها.

---

[1]– ينظر: المرجع السّابق، ص 134.

[2]– ورد ذكره في جزء الانسجام والاتّساق.

[3]– السكّاكي، مفتاح العلوم، ص 168.

[4]– نور الدين خيار، الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية، ص 116.

يقول "الزركشي": "الكلام لا يعرف إلّا بالذّوق وأهل الذّوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرّسائل والخطب والكتابة والشّعر، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامّة، فإلى أولئك ينبغي أن يرجع معرفة الكلام، وفضل بعضه على بعض".[1]

ومن هنا نجد بأن الزركشي قد وضع شروطا لمحلّل الخطاب وقارئه حتى يصل لمستوى الإشباع الحسّي فالفكري فينطلق به بنفس جديد ونبض مختلف يفيد به بعد أن أفاد منه فالمعارف الدّلالية الواسعة عند المتلقّي تجعله موافقا للسياق راكبا في أمواجه غير مستصعب الغوص في البحر النسيجي ليفهم المعاني والدّلالات الخفيّة.

نجد في قصة إبراهيم العديد من الدّلالات التي تقبل تأويلات عديدة ولا تفهم إلّا من خلال العودة إلى السياقات التي وضعت فيها، وجمع تلك السياقات ووضعها في مقاماتها المناسبة للوصول إلى التحليل المنطقي أو التأويل المناسب لها، ومن الأمثلة على الدلالة السياقية، قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]، فالذي يقصده إبراهيم عليه السلام (بالوادي) يفهم من السياق وهو (مكة المكرمة) و (بالبيت) (الكعبة)، إذ يقول "عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي" أنّ سيّدنا إبراهيم عليه السّلام أتى بهاجر أمّ إسماعيل وابنهما إسماعيل عليهم السّلام وهو في الرّضاع من الشّام حتى وضعهما في مكّة وهي إذ ذاك ليس فيها سكن ولا داع ولا مجيب وأرضها لا تصلح للزّراعة.[3]

---

[1]- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 124.

[2]- إبراهيم 37.

[3]- عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، اعتنى به: سعد بن فواز الصّميل ، دار ابن الجوزي، ط 01، ربيع الثاني 1422هـ، المجلّد 01، ص 352.

كما يقول "الزمخشري": "بواد هو واد مكّة وقيل للبيت الحرام هي الكعبة لأنّ الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه[1]، ومن الأمثلة أيضا على الاستدلال من السياق:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣ ﴾.[2]

لم يحدد النص القصصي اسم الغلام الذي سيذبح ولكن فهم من السياق بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السّلام وليس إسحاق عليه السّلام الذي بشّر به وبابنه يعقوب عليه السّلام، فليس ممكنا أن يبشّر بإسحاق وبذرّيته ثمّ يطلب من النّبي إبراهيم عليه السّلام ذبح ابنه وهو على علم بأنّه سيكون لابنه هذا ذريّة منها المحسن والظّالم لنفسه، وقد ذكر في مواضع كثيرة من قصّة إبراهيم عليه السّلام أنّ البشرى كانت بإسحاق عليه السّلام ثم من بعده يعقوب نبيّا من الصّالحين ففهم من السياقات السّابقة بأنّه إسماعيل عليه السّلام حتى ولو حاول البعض إنكار هذا التّأويل وتحويله إلى إسحاق عليه السّلام، وما هو إلّا إنكار من ورائه غايات في أنفس أصحابها.

يقول "ابن كثير" بأنّ الذّبيح كان إسماعيل عليه السّلام، لأنّه أوّل ولد بشّر به إبراهيم عليه السّلام، وهو أكبر من إسحاق عليه السّلام باتّفاق المسلمين وأهل الكتاب وأنه سيّدنا إبراهيم عليه السّلام –بشّر بإسحاق ومن ورائه يعقوب، أي يولد في حياتهما، كما أنّ إسماعيل عليه السّلام وصف بالحلم، والصبر —إسماعيل... من الصّابرين– لأنّه مناسب لهذا المقام.[3]

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج 02، ص 411.

[2]– الصّافّات، 102... 113.

[3]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، لبنان، ط 01، 1424هـ/2002م، ج 04، ص 2444.

ب: مبدأ التّأويل المحلّي

هو الذي يقصد به التعامل مع النص من خلال معطيات النص، وفهمه انطلاقا من سياقه الخاص، وتأويله تأويلا داخليا محليّا[1]، أي أنّ التّأويل المحلي هو تأويل الخطاب وتحليل معانيه باستنتاجات مستخلصة من سياقه الخاص مفهومة من المتواليات الواردة داخل هذا الكيان بين عناصره، فقد ذهب كلا من "براون" و "يول" لتحديد مفهوم التأويل المحلي؛ حيث أنّهما وجّها المتلقي لتحديد تأويل ملائم ومعقول في مناسبة قولية معيّنة؛ حيث عليه أن لا ينشئ سياقا أكبر ممّا يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما.[2]

إذن فهما يطالبا بالتأويل عن طريق العودة إلى الكيان الأول –الخطاب– وعدم تجاوز سياقاته، وبالنّسبة للقدامى فقد كانوا السبّاقين للإشارة إلى التأويل المحلي؛ حيث ذكر "الزركشي" مسألة مهمّة وهي تأويل وتفسير القرآن بالقرآن ولا يوجد من شارح ومؤوّل أحسن من القرآن ليبيّن لبسا جاء فيه.

يقول "الزركشي" فما أجمل في مكان فقد فصّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة فإنّها شارحة للقرآن، وموضحة له".[3]

يقول "عبد الرحمن بوردع" أنّ أهمّ مزايا بيان القرآن بالقرآن "أنّه يضع اليد على مظاهر التّماسك والانسجام في النص الكريم، ويكون للمفسر ملكة يدرك بها أساليب القرآن ودقائق نظمه".[4]

---

[1]– بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النصّ، ص 22.

[2]– خطابي، لسانيات النص، ص 56.

[3]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 175.

[4]– عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، ص 33.

كذلك قال "ابن كثير" موضّحا أحسن الطّرق لتفسير القرآن: "إنّ أصحّ الطّرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنّه قد فسّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة فإنّها شارحة للقرآن وموضّحة له".[1]

أما "خطابي" فإنّه يرى بأنّ تقييد تأويلنا ليس مرتبط فقط بطبيعة الخطاب وبسلامة تأويله وإنمّا تمليه أيضا، بشكل من الأشكال تجربتنا السّابقة في مواجهة نصوص ومواقف سابقة تشبه من قريب أو بعيد النص أو الموقف الّذي نواجهه حاليا[2]، وكأنّه يشير إلى أنّ هذا العنصر يفاعل التداخل بين التأويلات على أساس مقام وسياق المتلقّي وبين مقام وسياق الخطاب –الأصلي– ومقامه.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ ﴾[3]، وقال تعالى أيضا: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[4]، ولو حاولنا معرفة الغلام العليم في الآية الأولى لعدنا للآية الثانية والتي كانت تروي نفس الحادثة من القصة ولكن بسياق يختلف وبمعلومات أدقّ وتفاصيل أكثر تحديدا لفهمنا أن المراد بالغلام العليم هو إسحاق عليه السلام.

وما نلاحظه في قصة إبراهيم عليه السّلام، هو تكرار المشاهد ولكن بأسلوب مختلف، فكل موضع يزيل اللّبس من موضع آخر أو يفسّر ما يمكن أن يبهم في مشهد من مشاهد هذه القصة، وهكذا فإن تفسير كلمة قرآنية بأخرى أو جملة أو آية بآية من القرآن الكريم ليعدّ مظهرا من مظاهر الخطاب القرآني.

---

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 01، ص 12.

[2]– خطابي، لسانيات النص، ص 57.

[3]– الحجر 53.

[4]– هود 71.

ج: مبدأ التّشابه

مبدأ التشابه هو ورود خطابات قد تكون متشابهة في الألفاظ أو في السياقات وهذا ما يجعل القارئ أو المستمع يعيد ذلك التشابه داخل ذاكرته مما يوجب عليها مقارنتها أو إعادتها لتلك اللحظة أو ذلك السياق دون اختلال للدلالات الأولى بحيث تكون المعاني مترابطة ومتماسكة بين الخطاب الثاني.

يرى "بارتليت" أنّ كل العمليات المعرفيّة من الإدراك حتى التّفكير تعد طرقا يسعى فيها جهدا أصيل وراء المعنى إلى التجسيد، وبتعبير أشمل يقول إنّ جهدا كهذا مجرّد محاولة لربط شيء معطى مع شيء آخر غيره[1]، وعلى رأيه سار كل من "براون" و "يول" فتحدّثا عن إسهامات التجربة السّابقة في إدراك المتلقّي للإطرادات عن طريق التّعميم ولن يتأتّى له ذلك إلّا بعد ممارسة طويلة نسبيا، وبعد مواجهة خطابات تنتمي إلى أصناف متنوّعة ممّا يؤهّله إلى اكتشاف الثوابت والمتغيّرات.[2]

يرى "خطابي" أنّ التّشابه وارد وبنسب متفاوتة، فإذا كانت المضامين والتعابير مختلفة فإنّ الخصائص النوعية تظلّ هي نادرا ما يلحقها التّغيير.[3]

جاد القدماء في قضية التشابه وخصوصا فيما يتعلّق بالقرآن فهناك أقوال عديدة ومتفرّعة للعلماء داخل هذا الكيان المعجز؛ حيث جعل له "الزركشي" أبوابا في كتبه ذكر فيها مفاهيم التشابه كما فصّل أحكامه ومواضعه وآراء بعض العلماء فيه، قال عن التشابه: "أصله أن يشتبه اللّفظ في الظاهر مع الاختلاف المعاني".[4]

---

[1]- خطابي، لسانيات النص، ص 59.

[2]- المرجع نفسه، ص 60.

[3]- المرجع نفسه، ص 61.

[4]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 69.

كما يرى بأنّ سياق معاني القرآن قد تتقارب وقد يتقدّم الخطاب بعضه على بعض ويتأخّر لحكمة الله في ترتيب الخطاب والوجود، فتشتبك المعاني وتشكل إلّا على أولي الألباب، فيقال هذا الفنّ متشابه بعضه ببعض.[1]

تحدث "الزرقاني" عن التشابه من باب الشرح والتحليل والتفصيل، وقد استخلص بأنّ المتشابه ما كان خفيا لا جلاء معه، ومنشأ التشابه إجمالا، هو ما يرجع خفاؤه إلى اللّفظ، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللّفظ والمعنى معا.[2]

ويقول "مناع القطان" عن تشابه الكلام: "هو تماثله وتناسبه، بحيث يصدّق بعضه بعضا، وقد وصف الله القرآن كلّه بأنّه متشابه، أي يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة، ويصدّق بعضه بعضا في المعنى ويماثله، وهذا هو التشابه العام".[3]

➢ في تشابه الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[4]، وقال أيضا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾.[5]

يقول "الزمخشري" بالنّسبة للفرق بين الآية الأولى في سورة البقرة ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ وبين الآية الثانية في سورة إبراهيم ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾، أنّه في الآية الأولى سأل أن يجعله

---

[1]- ينظر: المرجع السّابق، ج 02، ص 70.

[2]- ينظر: محمّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 02، ص 219.

[3]- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 07، ص 206.

[4]- البقرة 126.

[5]- إبراهيم 35.

من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثّانية أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدّها من الأمن كأنه قال: هو بلد مخوّف فاجعله آمنا.[1]

و "الزركشي" فسّرها لغويا –اللفّظة– (بلدا) هو المفعول الثاني (وآمنا) صفة في (الآية 126 من البقرة) ، أمّا (البلد) في سورة إبراهيم (الآية 35) فيعرب مفعولا أولا و (آمنا) مفعولا ثانيا.[2]

إذن فرغم التّشابه، إلّا أنّ الدّلالات والسّياقات قد تختلف، فتجعلها أكثر ثراء وانسجاما –القصّة–، وأكيد لم تخل من مبدئها العام، أو من تركيبها اللّغوي.

➢ في تشابه الألفاظ وتأويلها بالتشابه لسياقها

يقول تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾[3]، يقول "الزرقاني": "أي فأقبل إبراهيم عليه السّلام على أصنام قومه ضربا لها باليمين من يديه لا بالشّمال، أو ضاربا لها ضربا شديدا بالقوّة، لأنّ اليمين أقوى الجارحتين، أو ضربا لها بسبب اليمين التي حلفها ونوّه بها القرآن، إذ قال: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾ ولفظ اليمين مشترك بينهما".[4]

ما نلاحظه، أنّ مبدأ التشابه قد زاد الخطاب القرآني ثراء، سواء من حيث الدّلالة أو المعاني، كما أنّه أعطى انسجاما وتعالقا بين أطرافه وأجزائه –خصوصا القصّة القرآنية–، فالحلقات سبكت سبكا ونسجت نسيجا لتعطي تحفة فنية لا يضاهيها جمالا، سواء في الشكل أو المعنى أو في التأويل والدلالة، فكان منبع الإعجاز فيها تفردها بكلّ أنواع الجمالي في قالب واحد، هو جمال السبك وجمال التفرّد الأسلوبي وإعجازه.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف، ج 02، ص 410.

[2]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 01، ص 127.

[3]– الصافات 93.

[4]– الزرقاني، مناهل العرفان، ج 02، ص 219.

د: مبدأ التّغريض

التّغريض مصطلح له علاقة بالخطاب الذي ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة، لها بداية ونهاية، فإنّ هذا النظام يعني "الخطية والنّسقية"[1]، عرّف كلا من "براون" و "يول" التّيمة بأنّها "نقطة بداية قول ما"[2]، فهما يريان بأنّ بداية الكلام يؤثّر في تأويل ما يليه وكذا العنوان سيؤثّر في تأويل النصّ الذي يليه، وبذلك فكلّ ما يأتي في النص يؤوّل ما يليه، سواء فقرات أو ألفاظ وكلمات، حيث قالا: "كلّ جملة تشكّل جزءا من توجيه متدرّج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم".[3]

أما "خطابي" فيرى أن مفهوم التغريض يتعلق بالارتباط بين ما يدور في الخطاب أو أجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته؛ حيث يقول: "الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقة وتحوم حوله بقية أجزائه".[4]

إذن التغريض فاعل من فواعل الانسجام، لأنه يكون استمرارية الدّلالات ويعطي جمالا انسجامي، فمفهومهم عن التغريض يتجاوز إلى استنتاج المعنى من مسار الكلام، فالعبارة تدلّ على التي تلحقها والأخرى تحيل إلى التي تليها، وهو مبدأ التسلسل والتتابع الذي يزيد من تماسك وانسجام الخطاب من خلال علاقات الترابط والعلاقات العائدية التي تتماشى مع مركزية الخطاب -أي المعنى العام الذي يسير فيه-.

كلّ حلقة من حلقات القصّة القرآنية، تناول الخطاب فيها أحداثا ومشاهد، فكلّ عبارة تؤوّلنا للعبارة التي تلحقها -تأتي تفصيلا وتمعينا لها- فجميعها تناولت الغرض الأساسي -صراع الخير والشر- وجوهرها الدّعوة إلى الله وحده لا شريك له، وحامل هذه الرّسالة والرّاعي لها إبراهيم عليه السّلام.

---

[1]- بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني، ص 22.

[2]- خطابي، لسانيات النص، ص 61.

[3]- المرجع نفسه، ص 61.

[4]- المرجع نفسه، ص 62.

يقول تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾، كانت البداية بذكر إبراهيم عليه السّلام وصفاته، ثمّ جاء على ذكر الجدال مع أبيه ليصل إلى الختام في هذا المشهد؛ حيث قال في الآية 50 ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ وكأنّها جاءت تكملة للآية الأولى، فلأنّه كان صدّيقا، وهب له ربّه لسان صدق عليّا، يقول "الزمخشري": "هو الثّناء الحسن كما يقول أيضا هي لغة العرب وكلامهم، وتراد الرّسالة فصيّره قدرة حتى ادّعاه أهل الأديان كلّهم"[1]، وبذلك نرى بأنّ التغريض كان مسايرا لمشاهد حلقات قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، فهو أعطى تلاحما وتماسكا للبناء ممّا أبرزت جماليته.

هـ: مبدأ المناسبة

المناسبة هي المقاربة، ومبدأ المناسبة هو وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعدّدة، أو بين السورة والسورة، يقول "الزركشي": "علم المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول والمناسبة في اللّغة: المقاربة".[2]

قال "أبو الحسن الشهرياني": "أوّل من أظهر علم المناسبة ولم يكن سمعناه من غيره هو الشّيخ الإمام "أبو بكر النّيسابوري"، وكان غزير العلم في الشّريعة والأدب، فكان يجيب عن سبب مناسبة الآيات والسور بعضها ببعض، ويزري على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة"[3]، فهذا العلم مهم وفائدته كبيرة في معرفة مناسبة انسجام الخطاب فينموا التجانس والتعالق بين عناصره، ليكوّن حلقة واسعة مركزيّتها الرّسالة الأم –الإمان بالله وحده لا شريك له– قال الإمام "فخر الدّين الرّازي": "أكثر لطائف القرآن في الترتيبان والرّوابط".[4]

---

[1]– الزّمخشري، الكشّاف، ج 03، ص 18-19.

[2]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 01، ص 35.

[3]– المرجع نفسه، ج 01، ص 36.

[4]– المرجع نفسه، ج 01، ص 36.

وتحدث "عزّ الدّين بن عبد السّلام" فيه أيضا فقال: "المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد مرتبط أوّله بآخره، فإن وقع على أساليب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر".[1]

قال "الزركشي" في فائدة علم المناسبة: "جعل أجزاء الكلام بعضها أخدا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التّأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء".[2]

تحدّث "الخطابي" عن مبدإ المناسبة من وجهة نظر "السّجلماسي"، الذي يرى أنّ المناسبة هي "إيراد المعنى وما يليق به"[3]، أي أنّها قول مركّب من جزأين فأكثر، كلّ جزء مضاف إلى الآخر بجهة من الإضافات، ونحو من أنحاء النسبة، وفصّل المناسبة إلى أقسام هي إيراد الملائم، وإيراد النقيض، والانجرار، وبالنّسبة للغربيين فقد كان مصطلح الجملة المتسلسلة مناسبا لمبدإ المناسبة؛ حيث أنهّم فصّلوا فيه، وجعلوا منطلق التسلسل والتعالق بين الجمل مبدءا أساسيّا لتماسك النّصوص والخطابات.

عرّف "أرسطو" الجملة المتسلسلة قائلا: "جملة لها بداية ولها نهاية بذاتها وامتداد قابل أن يحيط به نظر واحد"[4]، وهي مبدأ التسلسل والامتداد بين الجمل فيكون هناك علاقة ومناسبة بين الجملة والتي تليها.

ويرى كلا من "شارودو" و "مانغونو" أنّ الأسلوب التّسلسلي هو الأسلوب الذي تكون فيه الجمل الفرعيّة والجمل المستقلّة مرتبطة ببعضها البعض، إمّا بالمعنى ذاته وإمّا بأدوات وصل.[5]

إذن فالتسلسل بالنسبة لهم هي مناسبة الجمل بعضها ببعض، وتعالقها –السابقات واللّاحقات– لتكون خطابا متماسكا متناغما بين أطرافه.

---

[1]– المرجع السّابق، ج 01، ص 40.

[2]– المرجع نفسه، ج 01، ص 36.

[3]– خطابي، لسانيات النص، ص 135.

[4]– شارودو و منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 415.

[5]– المرجع نفسه، ص 416.

➢ **المناسبة الدّاخلية بين الآيات:**

قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ ﴾.[1]

عندما أراد الانتقال–عليه السّلام– من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال (إنّ أولئك لي أعداء، إلّا الله) فانتقل بطريق الاستثناء المفصّل[2]، يقول "الزركشي" في ذكر ارتباط الآي بعضها ببعض: "فيظهر هذا لتعلّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وإن كانت الثانية تأكيد أو تفسيرا للأولى أو اعتراضا وتشديدا".[3]

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ﴾.[4]

يقول "الزركشي": "عطف قصّة على قصّة مع أنّ شرط العطف المشاكلة، فلا يحسن في نظير الآية ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي ﴾ ووجه ما بينهما من المشابهة أن ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ بمنزلة هل رأيت كالّذي حاجّ إبراهيم، وإنّما كانت بمنزلتها لأنّ ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ولذلك يجاب ببلى، والاستفهام يعطي النفي، إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم، ومن

---

[1]– الشّعراء 69... 80.

[2]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 01، ص 44.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

[4]– البقرة 259/258.

ثمّ جاء حرف الاستفهام مكان حرف النّفي، ونفي النّفي إيجاب، فصار بمثابة (رأيت) غير أنه مقصود به الاستفهام، وإن لم يكن أن يؤتى بحرفه لوجوده في اللّفظ، فلذلك أعطى معنى: هل رأيت.[1]

كما يقول "الزمخشري" أنّ: "قصّة المار معطوفة على قصّة النّمرود عطف تشريك في الفعل، منطوقا به في الأوّل ومحذوفا من الثانية، مدلولا عليه بذكره أوّلا، والتناسب هنا هو تناسب معنوي".[2]

- **المناسبة بين الآيات والسّور:**

إذا كان لكل آية مناسبة تجمعها مع الآية التي تلحقها أو تسبقها في حلقات إبراهيم عليه السّلام –المكونة لقصّته– فإنّ هذه الحلقات تكون في دائرة أكبر وهي دائرة المناسبة الكبرى للسّورة التي ذكرت تلك الحلقات فيها، وهذه بعض حلقات قصّة إبراهيم عليه السّلام ومناسبتها من السورة الأم التي وردت فيها:

- سورة البقرة هي سورة كانت معظم الآيات فيها تتحدث عن العقيدة والتوحيد وعقيدة المشركين وكذا آيات الله وقدرته على الإماتة والإحياء.
- عرضت حلقة البقرة بناء البيت من قبل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السّلام ودعائهما وكانت ضربة للمشركين من بني إسرائيل الذين لعنوا –بسبب كفرهم وتعنّتهم– وأخرجوا من باب المفاضلة التي منحوها إلى باب الغضب ونزع منهم تاج النبوّة ليورثها للمسلمين.[3]
- عرضت حلقة الأنعام بحثه عن ربّه واهتدائه إليه بعد تأمّل في النجوم والقمر والشّمس والتمعّن في أسرار الكون وخباياه، فالأنعام تدور حول العقيدة وآيات الله في الكون ودلالتها على الصّانع المبدع الذي لا شريك له، كما عرضت حلقة هود تبشيره عليه

---

[1]– المرجع السّابق، ج 01، ص 46.

[2]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 01، ص 235.

[3]– ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 3328.

السّلام بإسحاق، وكذلك مرور الملائكة المكلّفين بتدمير قرية لوط عليه السّلام، وفيها تبدو رعاية الله للمختارين من عباده وتدمير الفاسقين، وعرضت حلقة إبراهيم عليه السّلام دعاءه بجوار البيت المحرّم لمن أسكنه من ذرّيته... إلخ، وكان سياق السورة دعوة الرسل للرّسالة الواحدة وهي التوحيد ومعارضة المكذّبين المشركين والرّسالة هي المنتصرة ضد وحش الكفر البائس.

- أما في حلقة مريم فقد عرضت دعوته في رفقه بأبيه، وغلظة أبيه عليه، واعتزاله لأبيه وقومه ومجازاته بإسماعيل وإسحاق عليهما السّلام، وذلك في سورة تعرض رعاية الله للمصطفين من عباده، وجوها كله تظلّله الرحمة والود واللّين.[1]

والأمثلة كثيرة في علاقة الآيات بالسّور، ممّا جعلتها تسري في قالب واحد موحّد، هو دعوتها جميعا إلى وحدانية الله، والآيات في قصة إبراهيم عليه السّلام تدور جميعا حول قصّته عليه السّلام من بداية رسالته إلى نهايتها، مع ذكر أبرز محطّات دعوته، ولم يكن تشكيل القصّة وبنائها -تكوينها من حلقات ومشاهد- حاملا لأيّ خلل في معناه أو دلالاته، بل أنّ دقّة الصّياغة عزّزت من تركيز الإيحاءات والمعاني وتماسك الجوّ العام داخل الخطاب القصصي.

إنّ تواجد عناصر التّماسك والانسجام داخل الخطاب القرآني لهو دليل على أنّ الخطاب هو قمّة الثّروة الإعجازيّة تجمع بين الثّروة الجمالية الفنيّة والثّروة المعنوية اللّفظية، وذلك بتناسق أوضاعها وإسلاف عناصرها وأخذ بعضها بحجر بعض لتكوّن وحدة محكمة لا انفصال فيه.

[1]- ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص 3326-3327.

إنّ الخطاب القرآني والخطاب القصصي بالخصوص ورغم تنوّع الأساليب فيه وامتزاجها، إلّا أنّه لم يخل بنظمها أو تماسكها، بل جعل من هذه القصّة تحفة فنية، عالية الجودة في السّبك والبناء، وما يميّز الأسلوب القصصي القرآني هو صدق خطاباته إلى جانب تميّزها الأدبي، فهذه المصداقية تقبعها في النّفوس وتنقشها نقشا يصعب إزالته.

ومن خلال دراستنا لأسلوب الخطاب في هذه القصّة، نجد أنّها احتوت على العديد من المعاني والدّلالات التي كان تنوّع الخطاب فيها عاملا مهمّا في تسويقها لفكر المتلقّي، ويبقى الخطاب القرآني المتصدّر بإعجازه البياني والفنّي والتّصويري، والذي لا يمكن خلوّه من أيّه سمة جمالية عرفها البيان أو البلاغة العربية أو العالمية، سواء مضت أو استحدثت.

الخاتمة

ينتهي هذا البحث في مضامين قصّة إبراهيم عليه السّلام إلى استخلاص قضايا فنية وإعجازية، يؤكّد روائع البيان القرآني، وإحكام النّسيج الأسلوبي في وجود السّرد القصصي، بما يجاوز المألوف البشري والمعتاد عند النّاس، ذلك مكمن القوّة التي لا تضاهي، والجمال الذي لا ينتهي...، ومن جملة نتائج البحث من مستواه السّردي، خلصنا إلى ما يلي:

1. إنّ المقصدية من قصّة إبراهيم عليه السّلام نشر الوازع الدّعوي، وبثّ روح العقيدة في نفوس الغافلين عن الحقّ، باعتبارها قدوة للجبابرة الذين ملكوا الدّنيا -إن أرادو يعتبروا-.
2. تكشف القصّة مظاهر إعجاز الوحي في تمكين المستحيل الذي يخرق حواجز الواقع، ويتخطّى حدود الغيب الذي يجهله البشر.
3. تعدّ قصّة إبراهيم عليه السّلام من روائع القصص وأحسنها حكيا؛ حيث تداخلت مشاهدها، وتوزّعت على سور القرآن الكريم، والحكمة من عدم ورودها مرتّبة في سورة واحدة، حتّى يستجدّ القارئ سيناريو أحداثها، فتحيي الإيمان الخامل في نفسه، ويأخذ منها القدوة في حياته.
4. جاءت مشاهد القصّة موجزة، تخلو من الإغراق في تفاصيل السّرد التّاريخي، وما زادها نضارة، ذلك التّكرار الذي تباين أسلوبه، فبالرّغم من إيراد المشاهد في مواضع متعدّدة، إلّا أنّه رسم لمسة متجدّدة على صفحات الآي، تتجلّى في دقّة نسجها وقوّة ألفاظها، ممّا يشعر القارئ أنّه يقرؤها لأوّل مرّة.
5. نسج زمن ومكان القصّة مع أحداثها ووفق ما تحرّكه الشّخصيات من أدوار، إذ نجد أنفسنا نستحضر الماضي، لما يذكّرنا بعقوبة الظّالمين الذين سبقوا بالمعاصي، ونتعايش مع الحاضر؛ حيث يسرد المعارك الدّعوية بين النّبي وقومه، ثمّ يعرج بنا إلى المستقبل عندما ينبئ بمصير المؤمنين والكافرين، ونتفاعل مع الأمر لما يعرض مواقف الجزر والوعيد

تارة، والنّصح والتّبشير تارة أخرى... فقط فتحت أبوابا خدمة أجندات معيّنة تصلح لكلّ زمان ومكان.

6. شخصيات القصّة تعكس الواقع، فتجعل القارئ يقيسها بمن حوله، ويضرب بها الأمثال حين تستعصى أموره، أو تنفرج أحواله، كون قصص الأنبياء نموذج يحتذى به، وحريّ أن تلقن للأجيال حتّى يستفاد من دروسها.

أمّا من الجانب اللّغوي، فقد خلصنا إلى نتائج أهمّها:

1. تنوّع الأساليب في الخطاب القرآني بين معالم الإعجاز فيه؛ حيث تضمّن كلّ ألوان الأسلوبية التي أحدثت تماسكا في النصّ، وأضفت جمالية في المعنى، ممّا جعله يتفوّق على القصّة الأدبية في نسجها وبنائها.
2. تكرار المشاهد في القصّة لم يخل بنظامه اللّغوي، بعكس ما قد نقرؤه من حشو وتقليد في القصّة الأدبية.
3. تنفرد القصّة القرآنية عن غيرها بوجود انسجام بين الصّوت واللّفظة، فذلكم الإيقاع الموسيقي يولّد تشويقا لدى القارئ، ممّا يجعله يردّد المشهد –عند اقتضاء الأمر– في مواقفه الحياتية ليرفع من معنوياته.
4. تتميّز هيكلة القصّة القرآنية عن القصّة البشرية في فنية الإلقاء ونمطية العرض، الذين جعلاها تنفرد من جنسها، وتستقلّ بذاتها عن القصص بكلّ أشكاله.
5. نلمس دلائل الإعجاز في قصّة إبراهيم عليه السّلام في دقّة الإحكام بين اللّفظ والمعنى، فبالرّغم من تعدّدية اللّفظ في المشهد الواحد، إلّا أنّ تغيّره من موضعه يحدث إخلالا في المعنى، أمّا تباين الألوان الأسلوبية في المشهد نفسه لا يولّد التّنافر، بل يزيد المتلقّي تأثيرا؛ حيث يكون وقعه على النّفس أكبر.
6. جمالية قصّة إبراهيم عليه السّلام تكمن في تنوّع مضامينها، وتجدّد أساليبها اللّغوية، وكذا شموليتها على جلّ أصناف الخطاب القديمة والحديثة.

7. فنيات القصّة المعاصرة لم تكن حديثة النّشأة، بل سبقها القرآن الكريم في ذلك؛ حيث توافق مع الدّراسات الحديثة التي ابتكرت المصطلحات بدعوى التّجديد، فأولت عناية بالسّياق دون النّسق، وأهملت الذّوق الحسّي للمقروئية، وأضاعت الهادفية النّبيلة للقراءة.

قمنا برحلة بعيدة الأسفار مع القرآن، حاولنا من خلالها الوقوف على أبرز معالمه، راجين من المولى عزّ و جلّ أن يتقبّل منّا، ويتجاوز عن أخطائنا، ونأمل أن يفتح هذا البحث آفاقا لدراسات متجدّدة.

ملحق البحث

اعتمدنا في بحثنا على السّور والآيات التي تتعلّق بقصّة إبراهيم عليه السّلام، مرتّبة على حسب النّزول:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ مريم 41... 50.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ ﴾ الشّعراء 69... 80.

قال الله تعالى: ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَانٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣ ﴾ الصّافّات 83... 113.

قال الله تعالى: ﴿ ۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ ﴾ الأنبياء 51... 73.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤ وَقَالَ إِنَّمَا

ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ العنكبوت 16... 27.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۚ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنعام 74... 84.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة 258.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ

مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ هود 69... 77.

قال الله تعالى: ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الحجر 51... 60.

قال الله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الذّاريات 24... 37.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ العنكبوت 31... 35.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ

وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ إبراهيم 35... 40.

قال الله تعالى: ﴿ ۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ البقرة 124... 141.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحج 26... 29.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج 77... 78.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة 258.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ آل عمران 65... 71.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزّخرف 26... 28.

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ الممتحنة 4... 6.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التّوبة 114.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ ص 45... 47.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ النّحل 120... 123.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النّساء 125.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**
- **الأحاديث النّبوية:**

1. مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعثي، صحيح البخاري، تح: مُحَمَّد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النّجاة (مصورة عن السّلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط 01، 1422هـ.
2. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القيشري النّيسابوري (ت 261 هـ)، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي.

أوّلا: الكتب والمعاجم

1. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط 01، 1999م.
2. أحمد إدريس الطعان، منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنّة النّبوية، كلية الشّريعة، جامعة دمشق، 18 ديسمبر 2019م.
3. أحمد بن محمود النّسفي، تفسير النّسفي، المكتبة العصرية، ط 1، 1430هـ/2009م.
4. أحمد مُحَمَّد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبية، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط 01، 1426هـ/2005م.
5. إدلبي بهيجة، الزّمن رسالة الكائن إلى ذاته، دار عبد المنعم ناشرون، حلب، د ط، 2005.
6. إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، تح: عبد القادر يعرب، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، د ت.
7. الإمام مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصّلح، 1986م.

8. الإمام مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصّلح، 1986م.
9. آمنة بلعلي: تحليل الخطاب الصّوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2002.
10. أيوب جرجيس، الأسلوبية في النّقد العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، د ط، 2014م.
11. باتريك شارودو و دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر مهيري و حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدّين الشّريف دار سيناترا، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، 2008م.
12. باهي الله باهي والي، السخرية مواقعها وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، 1439هـ/2018م.
13. بدر الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التّراث، القاهرة.
14. بكر مرسي، أزمنة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النّفسي، مكتبة النّهضة المصرية، مصر، ط 01، 2002.
15. بكري شيخ أمين، التّعبير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، ط 01، 1393هـ/1973م، بيروت.
16. بنديتو كروتشه، علم الجمال، تر: نزيه الحكيم، مراجعة: بديع الحسم، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1963م.
17. تقي الدين عبد الملك أبي المنى عبيد الضّريري، نزهة النّاظرين في الأخبار والآثار المروية عند الأنبياء والصّالحين، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط 03، 1373هـ/ 1954م.

18. تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 03، 1988.

19. التّهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، الشّركة التّونسية للنّشر، جامعة الجزائر، 1971م.

20. جان كوهان، بنية اللّغة الشّعرية، تر: مُحَمَّد الوالي و مُحَمَّد العمري، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986م.

21. جلال الدّين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشّؤون الإسلامية والدّعوة والإرشاد، المملكة العربية السّعودية.

22. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللّاتينية، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 01، 1978م.

23. ابن جنّي، الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجّار، دار الكتب المصرية، 1952م.

24. جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال تخطيط النّظرية في علم الجمال، تر: مُحَمَّد بدوي، مراجعة: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 2001م.

25. الجويني إمام الحرمين، الكافية في الجدل، تح: فوقية حسين محمود، عيسى الباهي الحلبي وشركائه، 1399هـ/1989م.

26. حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُحَمَّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1966م.

27. حامد عبده الهوال، السّخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م.

28. حمّودي باسم عبد الحميد، مدخل إلى الشّخصية الثّانوية في الرّواية العراقية، الأقلام، العدد 06، 1988م.

29. خالد أبو الجندي، الجانب الفنّي في القصّة القرآنية منهجها وأسس بنائها، دار الشّهاب للطّباعة والنّشر، الجزائر، د ط، د ت.

30. خالد بن بكر بن إبراهيم آل عابد، الرّؤى الصّادقة حجّيتها وضوابطها، دراسة أصولية فقهية في مجلّة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربية وآدابها، ج 19، ع 42، رمضان 1428هـ.

31. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، ط 01، 1424هـ/2002م.

32. ابن خلدون، المقدّمة، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، د ط، 1428هـ/2007م.

33. خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 01، 2009م.

34. دومنيك منغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2008م.

35. راضية بوبكري، الخطاب السّياسي الخصائص واستراتيجيات التّأثير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عنّابة، الجزائر.

36. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه هيثم طعيمي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ/2008م.

37. راوية عبد المنعم عبّاس، القيم الجمالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

38. رزان حمود إبراهيم، خطاب النّهضة والتّقدّم في الرّواية العربية المعاصرة، دار الشّروق، ط 01، 2003م.

39. الرّضي مُحَمَّد بن الحسن، شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، جامعة الإمام مُحَمَّد سعود الإسلامية، 28 مايو 2011م.

40. الزّمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنات، د ط، 2005م.

41. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي (الزّمن، السّر، التبئير)، المركز الثّقافي العربي، لبنان، ط 04، 2005م.

42. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي (الزّمن، السّرد، التّبئير)، الثّقافي العربي، بيروت، ط 01، 1997م.

43. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.

44. سليمان عشراتي، مقاربة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 03، 1998م.

45. سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، دار الشّروق، القاهرة، ط 17، 1425هـ/2004م.

46. سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط 01، 1972م، ط 02، 2003م، المجلّد 01.

47. سيفموند فرويد، تفسير الأحلام، تر: نظمي لوقا، دار الهلال، القاهرة، د ط، 1996.

48. الشحّات مُحَمَّد أبو ستّيت، خصائص النّظم القرآني في قصّة إبراهيم عليه السّلام، مطبعة الأمانة، ط 01، 1412هـ/1991م.

49. الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 01، 1403هـ/1983م.

50. صبري مسلم، أنساق الحوار في الخطاب الأدبي، دار الكتب صنعاء (اليمن) ط 01، د ت.

51. صبيحة عودة زعرب، جماليات السّرد في الخطاب الرّوائي، دار مجدلاوى، عمّان، ط 01، 2006م.

52. صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، ط 01، 1419هـ/1998م.

53. صلاح الدّين عبد التوّاب، الصّورة الأدبية في القرآن الكريم، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، ط 01، 1995م.

54. الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، 1984م.

55. عاصم شحادة علي، مظاهر الاتّساق والانسجام في تحليل الخطاب النّبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجا، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلّد 36، العدد 02، 2009م.

56. عالية صالح، مقاربات في الخطاب الرّوائي، دار الكنوز للمعرفة العلمية للنّشر، عمّان، الأردن، ط 01، 2011م.

57. عائشة عبد الرّحمن، التّفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط 07.

58. عبّاس علي الأوسي، أساليب التّهكّم في القرآن الكريم، شبكة الألوكة، جامعة ميسان، كلية التربية.

59. عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصّورة الفنية (القدامة وتحليل النصّ)، المركز الثّقافي العربي، لبنان، ط 01، 1997م.

60. عبد الجواد مُحَمَّد المحص، أدب القصّة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، الدّار المصرية، الإسكندرية، ط 01، 2000م.

61. عبد الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

62. عبد الحميد هيمة، الخطاب الصّوفي وآليات التّأويل قراءة في الشّعر المغاربي المعاصر، دار الأمير خالد، ط 01، 2013م.

63. عبد الرّحمان سعود إبداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، سمير منصور للطّباعة، دروب النّشر والتّوزيع، الطّبعة العربية، 2016م.

64. عبد الرّحمن الثّعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح عمار الطالبي، عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة.

65. عبد الرّحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط 01، 1984م.

66. عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنّان في تفسير القرآن، دار ابن الجوزي، السّعودية، ط 01، 1422هـ.

67. عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، 6-4-1434هـ/16-2-2013م.

68. عبد السّلام المسدي، الأدب وخطاب النّقد، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، د ط، 2004م.

69. عبد السّلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب من سوسيولوجيا التّمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشّبكة العربية للأبحاث، لبنان، ط 01، 2008م.

70. عبد القادر شرشاب، تحليل الخطاب السّردي وقضايا النصّ، منشورات دار القدس العربي، وهران، ط 01، 2009م.

71. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهد محمود مُحَمَّد شاكر.

72. عبد الكريم بالخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مطبعة السنة المحمدية، ط 01، 1968.

73. عبد الله إبراهيم، الثّقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، بيروت، ط 01، 1999م.

74. عبد الله بوخلخال، التّعبير الزّمني عند النحاة العرب منذ نشأة النّحو العربي حتّى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة في مقاييس الدلالة على الزّمن في اللّغة العربية وأساليبها، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1987.

75. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998م.

76. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1997م.

77. عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشّخصية في القصص القرآني، مكتبة زهراء الشّرق، بيروت، ط 01، 1997م.

78. عبد الملك مرتاض، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري تحليل مستوياتي لقصيدة شنا شيللابنة الجبلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001م.

79. عبد الملك مرتاض، في نظرية النّقد متابعة لأهمّ المدارس النّقدية المعاصرة ورصد لنظريتها، دار هومة، الجزائر، 2002م.

80. أبو عثمان الجاحظ، البيان والتّبيين، قدّم له وشرحه: علي بوملحم، مكتبة الخانجي، 2006م.

81. عزّ الدّين إسماعيل، الأسس الجمالية في النّقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ/1992م.

82. عصام العبد زهد، الإعجاز في نصّ الخطاب القرآني، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين.

83. علم اللّغة النصّي بين النّظرية والتّطبيق، الخطابة النبوية نموذجا، علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2006م.

84. علوي بن عبد القادر السقّاف، صفات الله عزّ وجلّ الواردة في الكتاب والسنّة، دار الهجرة للنّشر والتّوزيع، المملكة العربية السّعودية، ط 03، 1426هـ/2005م.

85. عمر السلامي، الإعجاز الفنّي في القرآن، مؤسّسات عبد الكريم عبد الله، تونس، 1980م.

86. عمر بلختير، الخطاب الصّحفي الجزائري المكتوب (دراسة تداولية)، دار الحكمة، ط 01، 2009م.

87. عمر سليمان عبد الله الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، دار النّفائس للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط 07، 1415هـ/1995م.

88. غزوان عبد السّلام الصّنيب، أحسن القصص، مؤسّسة زاد للنّشر والتّوزيع، ط 01، 1433هـ/2012م.

89. غنيمي هلال الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، د ط، 2001.

90. فضل حسن عبّاس، قصص القرآن الكريم، دار النّفائس، الأردن، ط 03، 2010م.

91. الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، تح: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة بإشراف: نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، ط 06، 1998م.

92. فيلي ساندرس، نحو نظرية لسانية، تر: خالد جمعة، دار الفكر، سوريا، ط 01، 2003م.

93. أبو القاسم الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ.

94. أبو القاسم مُحَمَّد بن عبد الله، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، 1920م.

95. قيس عمر مُحَمَّد، البنية الحوارية في النصّ المسرحي، ناهض الرّمضاني نموذجا، دار غيداء، عمّان، ط 03، 1443هـ/2012م.

96. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تح: مُحَمَّد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 02، 1393هـ/ 1973م.

97. ابن كثير الدّمشقي، قصص الأنبياء، مؤسّسة المعارف، بيروت، لبنان، ط 02، 1430هـ/ 2009م.

98. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، لبنان، ط 01، 1424هـ/2002م.

99. كمال وهبي و كمال أبو شهدة، مقدّمة في التّحليل النّفسي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1997م.

100. لطفي فكري مُحَمَّد الجودي، جمالية الخطاب في النصّ القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرّؤية وآليات التّكوين، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط 01، 1435هـ/2014م.

101. لويس معلوف اليسوعي، المنجد معجم مدرسيّ للعربية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط 07، نيسان 1931م.

102. مالك بن نبي، الظّاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصّبور شاهين، تقديم: مُحَمَّد عبد الله دراز ومحمود مُحَمَّد شاكر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 04، 1987م.

103. مُحَمَّد أحمد خلف الله، الفنّ القصصي في القرآن الكريم، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ط 02، 1975م.

104. مُحَمَّد الصاوي الجويني، جماليات المضمون والشّكل في الإعجاز القرآني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، 1983.

105. مُحَمَّد الغزالي، إحياء علوم الدّين، تح: الشحات الطحان، عبد الله المنشاوي، القاهرة، مكتبة منصورة، د ط، د ت.

106. مُحَمَّد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ط 21، 1425هـ/2004م.

107. مُحَمَّد القاضي ومجموعة من المؤلّفين، معجم السّرديات، دار مُحَمَّد عليّ للنّشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط 01، 2010.

108. مُحَمَّد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم ،ضبطه وعلّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط 02،1407هـ/1987م، بيروت، لبنان.

109. مُحَمَّد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، دار المنشوري للنّشر، الجزائر، د ط، د ت.

110. مُحَمَّد خطابي، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط 01، 1991م.

111. مُحَمَّد طول، البنية السّردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، نوفمبر، 1991م.

112. مُحَمَّد عبد العظيم الزّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط 01، 1415هـ/1995م.

113. مُحَمَّد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار الجبل، بيروت.

114. مُحَمَّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التّناص)، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط 03، يوليو 1992م.

115. مُحَمَّد هلال أبو جاموس، بناء الشّخصية في القصّة القصيرة في الأردن (نماذج مختارة من كتابات الألفية الجديدة)، مجلّة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، الأردن، العدد 45، 2018م.

116. محمود المصري، معجزات الأنبياء وكرامات الصّحابة، مكتبة الصّفا، القاهرة، ط 01، 1433هـ/2012م.

117. محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 01، 1427هـ/2006م.

118. مصطفى حلمي، معرفة الله عزّ وجلّ وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1424هـ /2004.

119. مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 09، 1393هـ/1983م.

120. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة.

121. مندلاو مُحَمَّد بن موسى، مفهوم الزّمن في القرآن الكريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.

122. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط 01، 2002م.

123. منصور عبد الحكيم، الملك النّمرود أوّل جبابرة الأرض، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، د ط، 2016م.

124. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، مُحَمَّد أحمد حسب الله، هاشم الشّاذلي، دار المعارف، مصر.

125. ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائي، تر: مُحَمَّد برادة، دار الفكر للدّراسات، القاهرة، ط 01، 1987م.

126. نبيل راغب، موسوعة الابداع الأدبي، مكتبة ناشرون ط1، لبنان 1996.

127. نصر الدّين أبو زيد، الخطاب والتّأويل، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط 02، 2005م.

128. هيام شعبان، السّرد الرّوائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، إربد، عمّان، ط 01، 2004م.

129. الوليد الباجي، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي.

ثانيا: الرّسائل والأطروحات الجامعية

1. إبراهيم فواتيح عبد الرّحيم، لغة الخطاب القرآني بين جمالية البيان وصرامة المنطق، إشراف: سليمان عشراتي، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1434هـ/2013م.
2. التّوهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1971م.
3. حفير نادية، الانزياح في الشّعر العربي المعاصر أحمد عبد المعطي حجازي نموذجا، إشراف: بوقربة الشيخ، أطروحة دكتوراه، تخصّص: أدب عربي، قسم اللّغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، 2008م.
4. حنان أحمد غنيم، التّصوير الفنّي في شعر سيّد قطب، إشراف: كمال غنيم، رسالة ماجيستير، تخصّص: الأدب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزّة، 1428هـ/2007م.
5. حياة دحمان، تجلّيات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، إشراف: عز الدّين صحراوي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434هـ/2013م.
6. الرّحموني بومنقاش، الشّعرية بين أرسطو طاليس وحازم القرطاجنّي دراسة مقارنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1429هـ/2008م.
7. فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا لمحمود درويش، إشراف: سامح الرواشدة، رسالة ماجيستير، تخصّص: لغة عربية، جامعة مؤتة، 2005م.

8. فتيحة بلمبروك، خطاب السّخرية ودلالته في الشّعر العربي المعاصر، إشراف: مصطفى منصوري، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014م.
9. مُحَمَّد خليل إبراهيم، آيات الدّعوى والبشرى والثّناء في قصّة إبراهيم عليه السّلام دراسة بلاغية دلالية، إشراف: شهاب أحمد إبراهيم و أحمد حمد محسن، رسالة ماجيستير، تخصّص: لغة عربية، قسم اللّغة العربة، كلية التربية، جامعة تكريت، 1423هـ/2002م.
10. محمود عوض محمود سالم، قصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللّغة النصي، إشراف: صلاح الديّن صلاح حسين و مُحَمَّد خليل نصر الله، رسالة ماجيستير، قسم الآداب، كلية الآداب، جامعة بني سويف، 1428هـ/2008م.
11. نور الدّين خيّار، الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية قصة يوسف عليه السّلام أنموذجا، إشراف: زبير سعدي، أطروحة دكتوراه، تخصّص: جامعة الجزائر، 2003م/2004م.

ثالثا: المجلّات العلمية

1. أوراس سلمان كعيد السلامي، الانزياح في كتاب فضل الكلاب على كثير ممن ليس الثياب، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلّد 28، العدد 05، 2020م.
2. بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء بيانات النصّ دراسة تطبيقية في سورة البقرة.
3. حيّان التّوحيدي ومكسويه، الهوامل والشّوامل، نشر: أحمد أميد السيّد، أحمد صقر، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، سلسلة الذّخائر، القاهرة، العدد 68.
4. السّعيد هادف، مصطلحا السّرد والخطاب مقاربة بين النّظرية الغربية والنّظرية اللّغوية العربية القديمة، مجلّة المبرّز، فيفري 2002م.
5. عبد القادر سلّامي، الخطاب الإشهاري، مجلّة Semat، العدد 01، 2014م.

6. عبد القادر علي زرّوقي، صور التّجسيد والتّشخيص في شعر مُحَّد بلقاسم خمّار دراسة في التّشكيل الدّلالي والجمالي، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، تمنراست، المجلّد 09، العدد 04، 2020م.
7. عبد الواحد كريمة، سيسيولوجيا الاتّصال في الخطاب الإشهاري البصري، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، جامعة غرداية، المجلد 07، العدد 02، 2014م.
8. لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مجلّة مجمع اللّغة العربية بدمشق، المجلد 81.
9. مُحَّد باسل الطائي، توسّع الكون بين الغزالي وابن رشد، مجلّة آفاق الثّقافة والتّراث، الإمارات العربية المتّحدة، ع 46، 2004.
10. ناصر جابر شبانة، أنماط السّرد في تراثنا العربي، مجلّة جامعة النّجاح للأبحاث، المجلّد 21، 2007.
11. ولفانج إيزر، التّفاعل بين النصّ والقارئ، تر: مالك سلمان، مجلّة علامات النّادي الأدبي، جدّة، المجلّد 07.
12. يوسف سليمان الطحّان، السّمات الأسلوبية في القصّة القرآنية قصّة إبراهيم عليه السّلام نموذجا، مجلّة أبحات، كلية التّربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلّد 10، العدد 01، 2011م.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

1. الدّور الوطيفي للمكان في القصّة القرآنية على ضوء البنيوية التّكوينية –قصّة نبيّ الله موسى عليه السّلام نموذجا– مركز جيل البحث العلمي، نُشر في 2012/09/04. secretaria@jlrc.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصّفحة
بسملة	/
إهداء	/
شكر وتقدير	/
مقدّمة	أ
مدخل: مفاهيم اصطلاحية (الجمالية والخطاب)	
أوّلا: الجمالية	2
1/ معناها اللّغوي والاصطلاحي	2
أ: لغة	2
ب: اصطلاحا	2
2/ مصطلح الجمالية عند الفلاسفة الغربيين	3
3/ مصطلح الجمالية في المدوّنة النّقدية العربية:	5
ثانيا: الخطاب	9
1/ تعريف الخطاب	9
أ: لغة	9
ب: اصطلاحا	10
2/ أنواع الخطاب	12
أ: الخطاب القرآني	12
ب: الخطاب الصّوفي	12
ج: الخطاب النّقدي	13
د: الخطاب الشّعري	14
هـ: الخطاب الرّوائي	15
و: الخطاب الإعلامي	15
ز: الخطاب السّياسي	16
ح: الخطاب الإشهاري	16

3/ أسلوبية الخطاب	17
4/ تحليل الخطاب	18
الفصل الأوّل: سردية الخطاب في قصّة إبراهيم عليه السّلام	
أوّلا: أحداث قصّة إبراهيم عليه السّلام حسب ترتيب وقوعها	22
1/ الاصطفاء بالنّبوّة	22
2/ اعتراض إبراهيم عليه السّلام على أبيه	25
3/ اعتراض إبراهيم عليه السّلام على قومه	27
4/ هدم الأصنام	29
5/ مواجهة مع الملإ الأعلى	31
6/ مناظرة إبراهيم عليه السّلام للملك	32
7/ محاولة الإحراق	33
8/ الهجرة الأولى والبشرى بالولد إسماعيل عليه السّلام	35
9/ الهجرة الثّانية والبشرى بالبلد	37
10/ الابتلاء بالولد	38
11/ ضيف إبراهيم عليه السّلام والبشرى بالولد إسحاق عليه السّلام	42
12/ موقف إبراهيم عليه السّلام من عذاب قوم لوط عليه السّلام	45
13/ بناء البيت العتيق	46
14/ الآذان بالحجّ	50
15/ الجزاء الإلهي	52
ثانيا: الشّخصيات	57
1/ الله عزّ و جلّ	57
2/ إبراهيم عليه السّلام	59
3/ ضيف إبراهيم عليه السّلام	61
4/ أب إبراهيم عليه السّلام	64
5/ النّمرود	65

6/ قوم إبراهيم عليه السّلام	65
7/ سارة عليها السّلام	66
8/ لوط عليه السّلام	67
9/ إسماعيل عليه السّلام	68
ثالثا: الحوار	69
1/ الحوار الخارجي	69
2/ الحوار الجماعي	73
3/ الحوار الدّاخلي	79
4/ التّقنيات السّردية في الحوار	79
أ: الاسترجاع	79
ب: الاستباق	81
ج: تيار الوعي	82
د: المناظرة	85
هـ: المناجاة	87
رابعا: الزّمن	90
1/ الزّمن النّحوي	91
2/ الزّمن الفلكي	99
3/ الزّمن النّفسي	105
خامسا: المكان	110
1/ المكان الصّريح المشاهد	111
2/ المكان الصّريح الغيبي	117
3/ المكان الضّمني المشاهَد	119
4/ المكان الضّمني الغيبي	120
الفصل الثّاني: أسلوبية الخطاب في قصّة إبراهيم عليه السّلام	
أوّلا: أنواع الخطاب في القصّة القرآنية	124

1/ خطاب الجدل	124
2/ خطاب الحجاج	129
3/ خطاب التّهكّم	137
ثانيا: أساليب بلاغية في الخطاب القصصي	145
1/ الانزياح	145
2/ التّجسيد والتّشخيص	165
3/ التّذييل	167
4/ المشاكلة	169
ثالثا: أساليب الاتّساق والانسجام داخل قصّة إبراهيم عليه السّلام	172
1/ مفهوم الاتّساق والانسجام	173
أ: عند الغربيين	173
ب: عند العرب	174
ج: تحديد أدوات الاتّساق والانسجام	176
2/ أدوات اتّساق الخطاب داخل القصّة القرآنية	176
أ: الوصل والفصل	176
ب: الاتّساق المعجمي	180
ج: الحذف	194
د: الاستبدال	198
هـ: الإحالة	203
3/ مبادئ انسجام الخطاب داخل القصّة القرانية	210
أ: مبدأ السّياق	211
ب: مبدأ التّأويل المحلّي	215
ج: مبدأ التّشابه	217
د: مبدأ التّغريض	220
هـ: مبدأ المناسبة	221

الخاتمة	228
ملحق البحث	232
قائمة المصادر والمراجع	240
فهرس الموضوعات	256

الملخّص:

سعت هذه المذكّرة إلى البحث عن "جمالية الخطاب في القصص القرآني قصّة إبراهيم عليه السّلام أنموذجا) وهو عنوان هذه المذكّرة، وذلك بالوقوف على جانبيها الفنّي اللّغوي، والموضوعي الدّلالي، وقد انتهت إلى أنّ الخطاب القصصي ممتع في نسقه، منسجم في أساليبه، معجز في بيانه، ويحتاج قارئه إلى زخم هائل من المعارف، لينفذ من نصوصه إلى تأويلها، وتبقى كلّ المعارف عاجزة عن الإحاطة الكاملة، لذلك فإنّ للقرآن ضوابط للفهم والتّجديد.

الكلمات المفتاحية: الجمالية، الخطاب، القصّة، السّرد، الاتّساق، الانسجام، الانزياح، التّجسيد.

Summary:

This research work sought to search for the aesthetics of discourse in qur'anic stories (the model of the story of abraham , peace be upon him) , which is the title of this research work ,by standing on its two different sides :technical linguistic and semtintic objective. Its reader needs a wealth of knowledge to be to interpret. All knowledge remains uncapable and far from a full coverage Therefore, the holy Qur'an remains renewed and open.

Keywords: esthétique, The speech, Story, Narration, consistency, order, Divergence, Personification.

Résumé:

L'objet de ce mémoire est une recherche sur (l'esthétique du discours coranique,le récit, d'Ibrahim que le salut soit sur lui a été prise comme exemple) et c'est le titre de ce mémoire pour mettre en valeur la technique linguistique, la thématique objective et cela s'est terminé par montrer que le discours narratif est agréable dans son thème, cohérent dans son style et ses déclarations. Alors, son lecteur doit avoir un élan considérable de connaissances pour donner le juste significatif de ses écrits et leur donner la vrai interprétation. Par conséquent, le coran demeure renouvelable et ouvert.

Les mots clés: L'esthétique, Le discours, le récit, La narration, La cohérence, L'harmonie, Le déplacement, La concrétisation.